وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قــاصدي مرباح ورقلة

كـلــيــة الآداب واللـغـات

قسم اللغة والأدب العربي

الموضوع:

الفكر الصوتي الوظيفي بين كمال بشر و مدرسة براغ

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة و الأدب العربي.

تخصص:الفكر النحوي و اللسانيات.

إعداد الطالبة:

وفاء الأخضري

إشراف الأستاذ الدكتور:

أبو بكر حسيني

أعضاء اللجنة

	الاسم و اللقب	الرتبة	المؤسسة
الرئيس	عبد المجيد عيساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة
المشرف و المقرر	أبو بكر حسيني	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة
المناقش الأول	بوجملين لبوخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة
المناقش الثاني	مالكية بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة

الـمـوسـم الـجـامـعـي: 2012-2013م

(وَ قُـــــــــل رَّبِّ زِدْنـــــِي عِـــلْــمًـا)

طه:114

المقدمة

تعد الأصوات بنية اللغة،وأسلوبها في النظام التواصلي؛ فاللغة أصوات تتألف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معان شتى، ولما كان الأمر كذلك فقد عني أصحاب كل لغة بأصواتهاوالوظائف التي تؤديها منذ أقدم العصور؛حتى أسست لكيانها علما مستقلا بها - علم الأصوات-الذي تنطلق منه كل دراسة لغوية في جميع مستوياتها, وتبنى عليه أصولها و نظرياتها.

و لقد كان للعرب المتقدمين,و المتأخرين خطوات واسعة،و بصمات جليلة فيه,لذلك هو في مسيس الحاجة إلى دراسات مستفيضة في مختلف جوانبه, ولعل الجوانب الفكرية الوظيفية له,هي من أهم الجوانب التي تستلزم البحث فيها.للكشف عن الخطوط العريضة التي سار عليها علم الأصوات,و الأبعاد التي تأسس منها؛لدراسة القواعد الأولية للصوتيات العربية,و مبادئها,وطرائق التقعيد,ومناهج التصنيف.

أما في الدراسات الغربية الحديثة؛فإننا نجد مدرسة براغ من أبرز المدارس اللسانية التي تميزت عن غيرها بالاتجاه الوظيفي,و اهتمت بالدراسة الصوتية الوظيفية,و قطعت فيها أشواطا كبيرةمستثمرة نتائجها في الدرس اللغوي,إذ باتت نظرياتهاثورة فكرية ساهمت في التغير الذي شهده علم اللغة الحديث و تقدمه.

و هو الأمر الذي دفعني إلى التقصي عن الفكر الصوتي الوظيفي في الدرس اللغوي؛وتسليط الأضواء على أهم ركائزه,وقضاياه,و التطورات الحاصلة فيه,و لتكون الرؤية أوضح,و الفكرة أعمق؛ آثرت أن أحصر الموضوع في زاوية معينةبعقد دراسة مقارنة بين الفكر العربي و الفكر الغربي.

إذ تمثل مدرسة براغ الفكر الصوتي الوظيفي الغربي,و يمثل قطب من الأقطاب البارزة في الدراسات الصوتية الحديثة الفكر الصوتي العربي,ومن بين من أهلتهم جهودهمالعظيمة في الصوتيات الوظيفية كمال بشر.

وعليه أسس موضوع الدراسةعلى إشكالية رئيسة هي: ما هي أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر ومدرسة براغ؟

وتتفرع منها إشكاليات ثانوية هي صميم الدرس الصوتي الوظيفي عندهما,و هي:

1- ماهية الصوت اللغوي,و ما الوظيفة التي يؤديها عندهما؟

2- ما وظيفة الوحدات الصوتية- الفونيم,و المقطع,و النبر,و التنغيم- في النسيج اللغوي, و ما علاقتها به من حيث البناء و الأداء؟

3- ماالصدىالفكريالوظيفي في الدراسات الصوتية الحديثة عند كمال بشر و مدرسة براغ ؟ و ما هي تجلياته؟

ومما تقدم كانت الصياغة النهائية لعنوان الموضوع هي: **الفكر الصوتي الوظيفي بين كمال بشر و مدرسة براغ.**

لقدساهمت العديد من الدوافع في اختيار هذا الموضوع يمكن إجمال أهمها فيمايلي:

1- الميل إلى الدراسات الصوتية.
2- حب البحث في التراث اللغوي العربي و التنقيب فيه.
3- قناعتي الراسخة بأهمية هذا الموضوع و أثره في الدراسات اللغوية.
4- حاجة المكتبة العربية للتأليف في مجال الفكر الصوتي المتخصص.
5- الوقوف على أهم محطات مسار الدرس الصوتي الوظيفي,ودورها في اللسانيات.

كمايهدف هذا البحث إلى أهداف عديدة أبرزها:

1- كشف التطورات في الدرس الصوتي الوظيفي.

2- إبراز مكانة الفونولوجيا في الدرس اللساني العربي الحديث,وما يقابلها في اللغات الأخرى.

3-تبيين الموروث الفكري الصوتي الوظيفي القديم و الحديث,و إجلاله.

4- إبراز الجهود الصوتية لكمال بشر و مدرسة براغ في اللغة,و الوقوف عند مكانتهما.

أما المنهج المعتمد؛فإن طبيعة الموضوع تقتضي تآزر منهجين هما المنهج الوصفي،و المنهج المقارن.

و بناء على ذلك كانت خطة البحث مشتملة على أربعة فصول؛ يشمل كل فصل منها خمسة مباحث,و خاتمة.

الفصل الأول:هو فصل تمهيدي؛و هو علم الأصوات العربي, يضم المباحث التالية:تعريف علم الأصواتو جانبيه و علاقته بعلم اللغة؛حيث عرفت علم الأصوات العام, وعرضتأقسامه,ثم عرفت الفونولوجيا,و وقفت على علاقة علم الأصوات العام والفونولوجيا بعلم اللغة.و في المبحث الثاني عرفت الصوت اللغوي,و بينت أصنافه, وصفاته.و المبحث الثالث عرفت فيه الوحدات الصوتية الوظيفية (الفونيم-المقطع-النبر-التنغيم).أما المبحث الرابع عرضت فيه الجهود الصوتية العربية عند القدامى و المحدثين.و في المبحث الخامس تحدثت عن المجالات التطبيقية لعلم الأصوات.

و يليه الفصل الثاني: المعنون بالفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر؛ويضم المبحث الأول تأملات كمال بشر في الفكر الصوتي العربي القديم.و المبحث الثاني درست فيهأسس الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر و التي تتمثل في المرجعية الفكرية,و المنهج و طرائق البحث,و أهم النتائج التي توصل إليها. ثم عرضت في المبحثالثالث القضايا الخلافية بين كمال بشر و العلماء اللغويين القدامى المتعلقة بالصوت اللغوي,و الوحدات الصوتية الوظيفية.و في المبحث الرابع درستماهية الفونيمات التركيبية وأبعادها في اللغة العربية عند كمال بشر فوقفت على تعريف الفونيم,و تنوعاته,و وظائفه. والمبحث الخامس وقفتفيه على ماهية الفونيمات فوق التركيبية و أبعادها في اللغة العربية عند كمال بشر و أعني بها المقطع,و النبر,و التنغيم,و الفواصل الكلامية.

بعد هذا انتقلت إلىالفصل الثالث: المعنون بالفكر الصوتي الوظيفي عند مدرسة براغ؛ حيث يضم المبحث الأولالتعريف بمدرسة براغ الصوتية الوظيفية.و المبحث الثاني عرضت فيه مفهوم علم الأصوات و الصوت اللغوي عند مدرسة براغ. و درستفي المبحث الثالث أسس الفكر الصوتي الوظيفي-و هي التي أشرت إليها سابقا-عند كمال بشر.كما وقفت في المبحث الرابع على ماهية الفونيمات التركيبية عند مدرسة براغ

وأبعادها.و في المبحث الخامس درستماهية الفونيمات فوق التركيبية عند مدرسة براغ وأبعادها.

و بعد الوقوف على دراسة الفكرين كل على حده أصل إلى الدراسة المقارنة بينهما؛ والتي خصصت لها الفصل الرابع: المعنون بمقارنة بين الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر و مدرسة براغ, و لقد ضم المبحث الأول أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر و مدرسة براغ.و المبحث الثاني تناولت فيه الفونيمات التركيبية عند كمال بشر ومدرسة براغ. كما تناولت في المبحث الثالث الفونيمات فوق التركيبية عند كمال بشر ومدرسة براغ. أما المبحث الرابع فلقد سلطت فيه الضوء على صدى كمال بشر في الدرس الصوتي الحديث و تجلياته. و الحال نفسه في المبحث الخامس الذي بينت فيه صدى مدرسة براغ في الدرس الصوتي و تجلياته.

تعددت مصادر الدراسة,و تنوعت منها؛الكتاب لسيبويه,و سر صناعة الإعراب لابن جني,وعلم الأصوات,و التفكير اللغوي بين القديم و الحديث لكمال بشر,و أساسيات اللغة لرومان جاكبسون و موريس هالة,و مبادئ اللسانيات العامة لأندريه مارتينيه...وغيرها.

هذا و قد واجهتني صعوبات كثيرة أثناء إنجاز هذه الدراسة, و أهمها صعوبة الحصول على المراجع الصوتية الفونولوجية,و خاصة ما تعلق منها بمدرسة براغ.

و لا يسعني في ختام هذه المقدمةإلا أن أسدي عظيم شكري,و امتناني لكلمن ساعدني على إنجاز هذه الدراسة, من قريب أو بعيد, بالأخص أستاذنا الفاضل المشرف الدكتور أبو بكر حسيني.

الفصل الأول

علم الأصوات في الدرس اللغوي العربي

المبحث الأول: التعريف بعلم الأصوات, و جانبيه, و علاقته بعلم اللغة.

المبحث الثاني:الصوت اللغوي مفهومه,و أصنافه,و صفاته.

المبحث الثالث:الوحدات الصوتية الوظيفية: الفونيم,المقطع,النبر, التنغيم.

المبحث الرابع:الجهود الصوتية العربية.

المبحث الخامس:المجالات التطبيقية لعلم الأصوات.

المبحث الأول:علم الأصوات وجانباه,و علاقته بعلم اللغة.

أولا: تعريف علم الأصوات العام و أقسامه.

1- تعريفه:

تشكل الأصوات الإنسانية سلاسل كلامية, بها يتم التواصل والتأثير, وتحقيق المقاصد والأغراض المنشودة. فإذا كان الصوت لب الكلم ونغمه وموسيقاه؛ كما قال الجاحظ:"فهو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف, ولن تكون حركات اللسان لفظا موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت, ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع و التأليف."[1]

فوجب أن يكون هناك علم خاص به, يقف عليه ويدرسه, دراسة علمية تعتمد على مناهج, وقوانين ,و وسائل خاصة به؛ وهذا العلم هو علم الأصوات,"فالصوت الإنساني الحي، هو موضوع علم الأصوات اللغوية."[2] إذ يدرس الصوت الإنساني بصورة عامة, حيث يعتبره مادة حية, لها تأثير سمعي؛ وهي دراسة تنصب على الكيفية التباينية لطبيعة الإنتاج الصوتي, و انتقالاته ثم استقباله من طرف السامع, بعدها ينتقل إلى النظر في الوظائف التي يؤديها في النظام اللغوي والقوانين التي تحكم بنيته."فعلم الأصوات دراسة علمية لموضوع مدرك بالحواس؛ لأن حاسة النظر ترى من حركات الجهاز النطقي حركة الشفتين,و الفك الأسفل,و بعض حركات اللسان, ثم ترى كذلك بعض الحركات المصاحبة التي تقوم بها عضلات الوجه.و حاسة السمع تدرك الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات العضوية, فتميز انحباس الهواء,و تسريحه بعد انحباسه, واحتكاكه بأعضاء الجهاز النطقي بسبب تضييق المجرى عند نقطة معينة من هذا الجهاز, و حرية مرور الهواء عند عدم الحبس,و التضييق واختلاف قيمة الصوت عند اختلاف شكل حجرة الرئتين,و كون النطق مجهورا حينا,و مهموسا حينا آخر."[3]

---

[1] البيان والتبين,الجاحظ-أبو عثمان بن عمرو بن بحر-تحقيق عبد السلام محمد هارون,مكتبة الخانجي,القاهرة,ط السابعة,1998م.ج 1, ص79 .

[2] علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, محمود السعران، دار النهضة العربية, بيروت,ص 98.

[3] اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة, الدار البيضاء, المغرب, طبعة سنة 1994م,ص48.

إذاً علم الأصوات: يدرس الصوت اللغوي دراسة تحليلية وصفية مجردة؛أي بمعنى وحدة منعزلة عن السياق,أو البناء اللغوي من نواحي متعددة, ليعرِّف بصفاته, ومميزاته,و خصائصه,و يترصد الظواهر التي تطرأ عليه في اللغة المعينة, ليخلص إلى القوانين,و القواعد التي تحكمه,و تؤسس لنظريات,و دراسات أخرى هي أساس كل دراسة صوتية وظيفية,أو دراسة لغوية في جميع مستوياتها.

2- **أقسامه:**ينقسم علم الأصوات باعتبار مسار الصوت،و مراحل أدائه وصولا إلى أذن السامع إلى أربعة أقسام،و هي:

1- **علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي:**و يقصد به العلم الذي" يدرس نشاط المتكلم بالنظر في أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات فيعين هذه الأعضاء ويحدد وظائفها ودور كل منها في عملية النطق منتهيا بذلك إلى تحليل ميكانيكية إصدار الأصوات من جانب المتكلم ."[4] فهو يهتم بالصوت اللغوي عند النطق به، انطلاقا من الرئتين وصولا إلى الشفتين,و ما يعتريه من عوارض خلال مسيرته, و في هذا يعتمد على الملاحظة الذاتية,و هو أقدم الفروع الصوتية.

2- **علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي:** إذا كان علم الأصوات النطقي يهتم بمسيرة الصوت الداخلية؛أي داخل جهاز النطق, فعلم الأصوات الفيزيائي يهتم بمسيرته الخارجية, انطلاقا من الشفتين وصولا إلى أذن السامع؛" فيدرس التركيب الطبيعي للأصوات، فهو يحلل الذبذبات,و الموجات الصوتية المنتشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركة أعضاء هذا الجهاز، ومعنى هذا أن وظيفته مقصورة على تلك المرحلة الواقعة بين فم المتكلم و أذن السامع بوصفها الميدان الذي ينتظم مادة الدراسة فيه."[5]

3- **علم الأصوات السمعي:**هو العلم الذي يعنى "بدراسة ميكانيكية الجهاز السمعي,و الطرق التي تؤثر في سلوكيته،وتأثره بالأصوات التي تشكل مادته الرئيسة من حيث تموجاتها, و استقبالها,و تحويلها إلى برقيات مرمزة عبر سلسلة الأعصاب إلى الدماغ."[6]فهو يهتم

---

[4]علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب, القاهرة, سنة 2000م, ص 46- 47.
[5]المصدر نفسه، ص 49-50.
[6]الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليلدار الصفاء للنشر و التوزيع, عمان, الأردن, الطبعة الأولى, سنة 2010م ، ص 73.

بـالأذن ومسـار الصـوت اللغوي فيهـا, وطـرق نقلـه إلـى الـدماغ وكيفيـة الاسـتجابة والتـأثر, ودرجة التجاوب معه.

4- **علـم الأصـوات التجريبـي أو الآلـي أو المعملـي:** هـذا الأخيـر قـد يسـتقطب الأقسـام الثلاثـة السالفة الذكر ليجعلها مجال دراسته,فهو يقوم بإجراء التجارب المختلفة,و عمليات التحليل الصـوتي بواسـطة الوسـائل,والأدوات الفنيـة اللازمـة فـي مكـان معـد لـذلك؛ يسـمى معمـل الأصوات,وهذه الأجهزة منها ما يخدم علم الأصوات النطقي،و منها مـا يسـتخدم في دراسة وظائفها,و هي في درجة الدقة في النتائج التي تقدمها لنا.[7]

ثانيا:علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا)

1-تعريفه:

أطلقـت عليـه مصـطلحات مختلفـة منهـا علـم الأصـوات التنظيمـي,و علـم التشـكيل الصـوتي,و الفونولوجيـا,و علـم الصـوتيات[8],لكنهـا تصـب فـي مفهـوم واحـد؛إذ يقصـد بهـا "الدراسة الصوتية التي تخضع لقواعد معينة في تجاورها,و ارتباطاتها,و مواقعها, وكونهـا في هذا الحرف أو ذاك,و إمكان وجودها في هذا المقطع أو ذاك, وكثرة ورودها وقلتـه, ثـم دراسة الظواهر التي لا ترتبط بالأصوات الصحاح والعلل من حيث هـي, بل بالمجموعـة الكلاميـة بصـفة عامـة؛ كالموقعيـة و النبـر والتنغيم. ودراسـة الأصـوات مـن هذه النـواحي الأخيـرة لسلوكها فـي مواقعهـا أكثـر ممـا هـي دراسـة للأصـوات نفسـها,و تلـك هـي دراسـة التشكيل الصوتي."[9] فهي دراسة تقوم بتحليل,و تحديد المميزات الفارقة الصوتية في لغة من اللغات,و تضع النظام الفونيمي لها,و تعرض خصائصه.[10]

الفونولوجيا: هي العلم الذي يدرس الوحدات الصوتية؛ الفونيم,و المقطع,و النبر,و التنغيم, من حيث تشكيلها,و تأليفها,و علاقاتها ببعضها,و القيم التي تؤديها, كما يحدد الأسس التـي تبنـى عليهـا فـي البنـاء اللغـوي,و يرصـد الظـواهر الطارئـة,و التغيـرات الجاريـة أثنـاء

[7]انظر علم الأصوات، كمال بشر، ص 55-56.
[8]انظر:اللغة العربية معناها و مبناها, تمام حسان, ص 34,و دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختارعمر,عالم الكتب,القاهرة,سنة ط 1997م, ص65-69.

[9]مناهج البحث في اللغة, تمام حسان,مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, سنة 1990م, ص 111.
[10]انظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, محمود السعران, ص 199.

التوزيع,والأداء, و التموقع, إذ يقوم بوصفها وتحليلها؛ لأنها تعتبر بمثابة المعيار لصحة التركيب على الصعيد البنائي و ما ينتج عنه على الصعيد الأدائي.

و بناء على هذا الفونولوجيا لا تنطلق من فراغ؛ بل تستند على معطيات معينة؛ "فكل وصف تشكيلي إنما ينبني على إيجاد المقابلات الصوتية التي توجد في اللغة,و التفريق بين معانيها, و تلك أشياء تأتي بعد دراسة الأصوات من حيث هي,و لكنها تستقل عن دراسة الأصوات استقلالا تاما. فالمقابلة بين مجهور ومهموس ثم مفخم ومرقق, ثم صحيح وعلة, ثم شديد و رخو,و مركب,و متوسط,ثم بين طويل و قصير,و بين مخرج و آخر,و بين النبر وعدمه, و بين اللحن الأول و اللحن الثاني, كل أولئك و ما يتصل به من دلالة كل مقابل من هذه المقابلات هو الأساس الذي ينبني عليه علم التشكيل الصوتي."[11] فالركائز الأساسية التي ترتكز عليها الفونولوجيا هي ما يلي:

- معطيات علم الأصوات:النتائج المتوصل إليها من دراسة الصوت اللغوي دراسة وصفية تحليلية باعتباره وحدة كاملة منعزلة عن التركيب اللغوي؛ من حيث طبيعته,و مخرجه, و صفته,و صنفه (صامت أو صائت, مركب أو متوسط, طويل أو قصير).
- دراسة التناظر الصوتي لهذه الوحدة(الجهر و الهمس، و التفخيم والترقيق, الصوت الصامت والصوت الصائت, الشدة و الرخاوة)، و مكانتها في النسيج اللغوي(المقطع فالكلمة ثم الجملة) و ما ينجم عنها في التركيب و الدلالة؛(الانسجام والتلاؤم, أو التنافر والإخلال بالمعنى)، و الطريقة التي تؤدى بها أثناء النطق و الأداء (النبر و التنغيم ومواطن الفاصلة).
- بعدها تصل إلى دراسة الفونيمات دراسة تركيبية وظيفية,و العلاقات التي ترتبط بها مع المستويات الأخرى-الصرف و النحو والدلالة- داخل النظام اللغوي المعين.

مما تقدم ذكره نخلص إلى تعريف أشمل للفونولوجيا؛ فهي تسمو بالصوت اللغوي ذلك الصوت المتمثل في الهواء المار من الرئتين إلى خارج الفم و ما يعوق مجراه من عوارض، إلى الحرف-الفونيم- الذي لا يأتي منعزلا بتاتا؛ إذ يكون وفق تركيب محدد

[11]مناهج البحث في اللغة, تمام حسان, ص 112.

داخل نسق لغوي معين, حيث ينصب اهتمامها بدراسته,و دراسة تنوعاته التي تلحق به جراء موقعه التركيبي و مجاورته لحروف أخرى, وتضع له القواعد والقوانين التي ينبنى بها داخل البناء اللغوي الكبير، و تحدد الأسس الموضحة لأثره في السياق العام.

ثالثا:علاقة علم الأصوات و الفونولوجيا بعلم اللغة.

علم الأصوات و الفونولوجيا هما معا يكونان المستوى الأول من مستويات علم اللغة؛فالأصوات أصل وجودها,وهي التي تكون البناء الكبير,و بها يتسق نظامه؛و ما الوظائف التي يؤديها الصوت اللغوي إلا توازنات وتوافقات في هذا النظام لإحداث الانسجام, لذا "فالدراسة الوظيفية للأصوات، تعتبر من أهم الدراسات و أكثرها لصوقا باللغة, كونها تدرس الأصوات كنظام ذي دلالة يرتبط بعلائق داخل البنية التركيبية, ويتوزع بين الفونيمات وتنوعاتها الصوتية."[12] كما توضح العلاقة التلازمية بين هذه المستويات التي لا تنفصل عن بعضها فالصرف يوجب التركيب,و التركيب يوجب الدلالة

1-**المستوى الصرفي:** إذا كان علم الصرف يدرس التغيرات الصوتية الطارئة على الكلمة, فمجال الفونولوجيا هو تفسير تلك التغيرات الصوتية التي تعد بالنسبة إليها ظواهر وظيفية و ترجمة لقوانين صوتية, تتضح وفق نسق الفونيمات التركيبية؛ لذلك قال فيرث: "لا وجود لعلم الصرف دون علم الأصوات."[13] فقضايا الاشتقاق اللغوي,و الإعلال, والحذف,والإبدال,و الإدغام,و القلب,و التغيير الذي يلحق الكلمات المعتلة,و ما يطرأ على الأفعال العربية عند التصريف,و اتصال الفعل بهمزة الوصل,و طبيعة المصدر, وقضية التنوين وغيرهامن القضايا التي يضيق المجال لذكرها, تعتمد في أصل دراستهاعلى الفونيم -أصغر وحدة صوتية- و تنوعاته؛لأن "دراسة البنية أو الهيأة التي تكون عليها الكلمة,لا يمكن لها أن تؤدي دورها القيمي, بعيدا عن الجانب الصوتي, الذي يحلل ويصف التركيب على أساس الوحدة الصغرى المتمثلة بالصوامت والصوائت."[14] ثم يأتي عمل هذه الفونيمات داخل المقطع إذ يعتبر أهم مرحلة يمر بها الصوت اللغوي من حالة العزلة

[12] التنوعات اللغوية, عبد القادر عبد الجليل, دار الصفاء للنشر و التوزيع, عمان, الأردن, الطبعة الأولى, سنة 2009م, ص 28.
[13] علم الأصوات, كمال بشر, ص 606.
[14] المرجع السابق, ص164.

إلى حالة التركيب, كما يعتبر مرحلة وسيطة بينه و بين الكلمة المركبة من عدة أصوات, فيرصفها على أسس محددة تعد قوانينا لا يمكن الزيغ عنها, و ما عارض ذلك قُبل بالرفض و المحو من نظامه الخاص, ثم ينتقل إلى إرساء البنية الصوتية تلوى الأخرى وصولا إلى البناء الكبير, و بعدها يتبين أثره و أهميته بالتفريق بين تلك البنى؛ وهذا الذي أقره عبد الصبور شاهين " إن أهم شيء في تصريف الكلمة العربية هو إدراك نظامها المقطعي, لأن هذا النظام يفرق بين الاسم و الفعل فيها, و حسبك أن تعلم أن مادة الكلمة واحدة في كل من الاسم والفعل,و لكن الذي يفرق بينهما هو اختلاف الحركات, الذي يؤدي إلى اختلاف النظام المقطعي,و كل تغير يحدث في الكلمة العربية, سوف يكون نتيجة تصادم وضعها الأصلي مع طبيعة النظام المقطعي في اللغة, فيلزم تعديلها خضوعا لضرورة النظام."[15] فإذا ضُبط حال الكلمة داخليا, أتى النبر ليبرز حالها خارجيا أي أثناء النطق بها لتتميز عن الكلمة الأخرى, لأن النبر يساهم في توضيح الأوزان الصرفية من بعضها،و إظهار الكلمة المقصودة في الجملة.

و من هذا نستشف أن كل دراسة صرفية تنطلق من الدراسة الصوتية الوظيفية لا محالة.

2-**المستوى النحوي(التركيبي):** النحو هو أساس اللغة؛ يدرس وظيفة الكلمة في الجملة و العلاقة التي تربط الجمل فيما بينها, عن طريق الفونيمات التي تتوزع على أواخر الكلم كرفع الفاعل بالضمة و نصب المفعول بالفتحة و جر الاسم المجرور بالكسرة...إلخ؛ وبيان أثر كل جزء بالآخر منها, مع إبراز مكانتها و وظيفتها خلال الأداء الكلامي بواسطة الظواهر التي تكسو المنطوق؛ النبر و التنغيم والفواصل الكلامية, و بها يتضح الفعل الكلامي ليتحقق الفعل القصدي والغرضي. إذ يساهم النبر في تحقيق قصد المتكلم عند السامع و الكشف عن مفارقات أخرى حيث يقع النبر على الكلمة المراد تأكيدها أوإثباتها,أو توضيحها مثل؛ كتب الطالب مداخلة, الرسول أمين, الحليم هو العاقل عند الغضب,و غيرها من الأمثلة, كما تساهم الفونيمات الأخرى؛ التنغيم و الفواصل الكلامية في التفريق بين معاني الجمل و توضيحها لتسهيل إعرابها. كالتمييز بين الجملة الأمرية؛أكرم بالضيف.و الجملة التعجبية؛ أكرم بالضيف!! والتفريق بين الجملة الشرطية

---

[15] المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي, عبد الصبور شاهين, مؤسسة الرسالة, بيروت,سنة 1980,ص40.

• الكلمات التي وضع تحتها خط هي المقصودة بالنبر.

مثل؛ مَنْ يجتهدْ ينجحْ.و الجملة الموصولة مثل؛من يجتهدُ ينجحُ. و أساليب الإغراء والتحذير و الاختصاص والندبة والنداء و الاستغاثة و غيرها من الأنماط و الأساليب. فالفونولوجيا جزء لا يتجزأ من النحو بمعناه الواسع؛ لأن وظيفة النحو بيان قواعد اللغة المعينة, و الفونولوجيا هي المختصة بالكشف عن هذه القواعد الصوتية.

3-**المستوى الدلالي:**غاية الفونولوجيا الدلالة؛ أي الحرص على هيأة البناء اللغوي,والأداء الكلامي في أحسن حال لوصول المعنى المنشود وتحقيق الغرض المطلوب, فقد يحدث أحيانا أن يكون البناء سليما,و لكنه يؤدى نطقا بأسلوب خاطئ؛ إما جهلا بقواعد الأداء, وإما إهمالا لربط الكلام بالمقام,و هنا يفسد المعنى,و لا تصل الرسالة المقصودة للسامع؛لأن البناء اللغوي يعتمد على العلاقة التلازمية التي تربط الصرف والتركيب والمقام المراد لتحقيق الدلالة بناء على ما تفرضه نظم الفونولوجيا بدءا من أصغر وحدة –الفونيم- إلى الفواصل الكلامية؛ فالفونيم يؤدي معنا بارزا داخل التركيب, يدل على الشخص والجنس و العدد, وهذا ما نلحظه في الفونيمات المتصلة بالكلمات, و يفصل بين المعاني تميزا لها و إعطائها صبغة التنوع و استقلاليتها عن الكلمات الأخرى؛ سواء من حيث المعنى أو من حيث البنية أي يبين جنسها؛ اسم أو فعل أو حرف, كما يحدد موقعها الإعرابي, و كثير من الكلمات والتراكيب يعتمد معناه على النطق مثل؛ ما أدراك؟ و/ ما أدراك؟ فكلمة أدراك الأولى بتفخيم الدال من الإدراك أي المعرفة والكلمة الثانية أدراك بترقيق الدال من الدراية العلم بالشيء.

والحال نفسه مع الظواهر الأخرى النبر والتنغيم و الفواصل الكلامية حيث تؤدي دورا فاصلا في الوقوف على المعنى الذي يقصده المتكلمداخل التراكيب مثل التوكيد و الإثبات و النفي و التعجب و الاستفهام, كما تكشف عن الأحوال النفسية التي ترد في سياق الكلام كالمدح و السخرية و الفرح و الغضب و الإنكار و غيرها.

و مما سلف ذكره؛ الفونولوجيا تثبت صحة البناء اللغوي الداخلي,و الأنساق التي يتميز بها عن غيره,و تضع القواعد التي يتأدى بها هذا النظام بالفعل الكلامي؛ لأن أي منطوق لا يكتمل معناه,و لا يتم تحديده,و توضيحه إلا إذا جاء مكسوا بالظواهر الصوتية الأدائيـــــــــــــة التـــــــــــــي تناســـــــــــــب مقامـــــــــــــه

المبحث الثاني:الصوت اللغوي مفهومه و أصنافه و صفاته.

أولا: تعريف الصوت اللغوي:

الصوت ظاهرة طبيعية به يتم الحدث الكلامي المنطوق,وعليه يبنى النسيج اللغوي.

الصوت لغة:

الصوت هو الجرس، و جمعه أصوات؛ وصات،يصوت، يصات، صوتا؛أي نادى.و ذلك إذا صوت بإنسان فدعاه.و يقول ابن السكيت:الصوت صوت الإنسان وغيره. و الصائت: الصائح,و رجل صيّت:أي شديد الصوت.[16] فالصوت في اللغة؛هو الجرس.

الصوت اصطلاحا:

يعرف ابن جني الصوت قائلاً :" اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا, حتى يعرض له في الحلق,و الفم,و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده, واستطالته, فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً,و تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها و إذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك."[17]المتأمل لهذا التعريف يقف على أمرين مهمين؛أولهما: الدقة في الملاحظة فابن جني اعتمد الجانب النطقي المحض مرتكزا على الملاحظة الذاتية,و التجربة الشخصية في اكتشاف الصوت,و يشير إلينا بإمكانية الوصول إلى ذلك. ثانيهما:الدقة في المفهوم؛فالصوت اللغوي عنده,هو هواء يخرج مع النفس؛أي ينطلق من الرئتين وصولا إلى خارج الفم,و قد ينعرج في خروجه فيخرج من الأنف,و يتميز بالامتداد,و الاستطالة في مساره, فأينما تعرض له عارض, أومقطع أحدث حرفا مصدرا جرسا يختلف عن غيره باختلاف العارض.و ما يستنتج منه؛ أن الصوت هواء,و الحرف حده,و هيأته. و يؤكد ابن سينا هذا المفهوم قائلا:"و الحرفهيأة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزا في المسموع."[18] ونقف على تعريف آخر لتمام حسان يقول فيه:الصوت اللغوي هو الأثر

---

[16]لسان العرب،ابن منظور,دار المعارف, القاهرة, م 4,ج 29, ص1521، مادة (صوت).
[17]سر صناعة الإعراب,أبو فتح عثمان بن جني, تحقيق حسن هنداوي, دار القلم, دمشق, الطبعة الثانية, سنة 1993م,ج1,ص6.
[18]رسالة أسباب حدوث الحروف،أبوعلي الحسين بن عبد الله بن سينا,تحقيق محمد حسان الطيان,ويحي مير علم,ص 60.

السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة, معدلة بمقدار ما يصاحبها من حركات الفم؛ ويحدث هذا الأثر في أية نقطة مما بين الشفتين,و الأوتار الصوتية في الجهاز النطقي الإنساني.[19]و بصيغة أخرى مختصرة:" أصوات الكلام: إذن هي تغيرات في ضغط الهواء ناتجة عن اهتزاز الأوتار الصوتية."[20]

ومما تقدم الصوت اللغوي:هو أثر سمعي ناجم عن اهتزاز الأوتار الصوتية, يصدره جهاز النطق,في صورة ذبذبات هوائية, تتعقب مساره عوارض كالضغط , أوالانحباس,أو الاحتكاك,و ما شاكلها.

ثانيا: أصناف الصوت اللغوي.

تصنف أصوات اللغة العربية إلى صنفين ؛هما الأصوات الصامته,و الأصوات الصائتة أو الحركات.

1- **<u>تعريف الصوت الصامت</u>**:هو الصوت الذي" ينحبس معه الهواء انحباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري،أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الصفير أو الحفيف."[21] و يتميز" بنطق مقارب عن طريق عضو, أوأعضاء بطريقة تعوق تيار الهواء أو- من ناحية أخرى- تسبب احتكاكا مسموعا."[22] فالصوت الصامت حال النطق به يعترض حاجز الهواء مما يمنع خروجه حرا,و هذا الحاجز قد يعترض الهواء اعتراضا تاما مثل ما يحدث مع الأصوات الشديدة,أو اعتراضا جزئيا مثل ما يحدث مع الأصوات الرخوة,و إن لم يكن عارض هناك؛ فيكون عائق يعوق مجرى الهواء الطبيعي في الفم, مما يجعله ينفذ من جانبيه,أو من الأنف. فالعارض الذي يعترض الهواء مختلف بنسب متفاوتة.

وهو ما يجعل الصوت الصامت يتصف بالعديد من الصفات كالانحراف والانفجار والهمس والجهر والصفير وغيرها.

---

[19]انظر: مناهج البحث في اللغة, تمام حسان,ص 59و 63-64.

[20]مدخل إلى الصوتيات, محمد إسحاق العناني، دار وائل للنشر, عمان, الأردن, الطبعة الأولى, سنة 2008م,ص 113.

[21]الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية, الطبعة الرابعة, سنة 1999م, ص 26-27.

[22]دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 135.

الأصوات الصامتة في اللغة العربية ثمانية وعشرون هي؛ همزة القطع، ب،ت،ث،ج،ح، خ،د،ذ،ر، ز،س ،ش،ص، ض،ط،ظ،ع،غ،ف،ق،ك،ل،م،ن،هـ،و،ي.

2-**<u>تعريف الصوت الصائت</u>**:هو الصوت الذي يتصف بحرية خروج الهواء حرا طليقاحال النطق به؛أي ينطلق من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه,فلا يضيق مجراه,و لا يحبس."فيتميز بنطق مفتوح، وغياب أي عائق كما أن طبيعته مصوتة أو رنانة أكثر من الصوامت."[23] و أبرز خاصية تمتلكها الصوائت: أنها مجهورة في الكلام.

و هي ثلاثة:الفتحه،و الكسرة،و الضمة؛وقد تكون قصيرة,أو طويلة ويشار إلى الحركات القصيرة (ـُــــِـــَ) أما الطويلة فهي الألف و الياء و الواو.

ثالثا:أقسام الأصوات.

لإيضاح ماهية الأصوات,و فهم طبيعتها فهما سليما؛ يستلزم الوقوف على طبائعها و أقسامها, لذا رأى المعنيون بالبحث الصوتي أن هناك اعتبارات ثلاثة تؤخذ عند تقسيم الأصوات الصامتة؛و هي وضع الأوتار الصوتية,و هيأة المخارج و الأحياز,و كيفية مرور الهواء.

التقسيم الأول: وضع الأوتار الصوتية.

تنقسم إلى قسمين الأصوات الصامتة المجهورة، و الأصوات الصامتة المهموسة.

<u>الصوت الصامت المجهور:</u> هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان حال النطق به, و الأصوات الصامتة المجهورة هي: الهمزة, العين, الغين, القاف, الجيم, الياء, الضاد, اللام, النون, الراء, الطاء, الدال, الزاي, الظاء, الذال, الباء, الميم, الواو؛ فتلك ثمانية عشر صوتا.

<u>الصوت الصامت المهموس:</u> هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان و لا يسمع لهما رنين حين النطق به؛ و الأصوات الصامتة المهموسة هي: الهاء, الحاء, الخاء, الكاف, الشين, السين, التاء, الصاد, الثاء, الفاء؛ فتلك عشرة أصوات.

[23]دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر، ص135.

التقسيم الثاني: هيأة المخارج و الأحياز.

للأصوات الصامتة ستة عشر مخرجا كما أقرها سيبويه و ابن جني, و من تبعهم من مشاهير النحاة, و هي على النحو التالي:

1-فللحلق منها ثلاثةٌ؛فأولها من أسفلهو أقصاه مخرج الهمزة و الألف والهاء.

2-ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.

3-ومم فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء.

4-ومم فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف.

5-ومن أسفل من ذلك و أدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

6-ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

7-ومنأول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

8-و من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان, من بينها و بين ما يليها من الحنك الأعلى, مما فويق الضاحك والناب والرباعية و الثنية, مخرج اللام.

9- ومن طرف اللسان بينه و بينما فويق الثنايا مخرج النون

10- ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء

11- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء

12- ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد

13- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء

14- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء

15- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو

16- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة[24]

التقسيم الثالث: كيفية مرور الهواء.

وهي أربعة أنواع؛ الأصوات الشديدة, و الرخوة, و الأصوات المتوسطة, والأصوات اللينة؛ و إليك بيانها.

[24]سر صناعة الإعراب, ابن جني, ج1, ص48,47,46.

1- **الأصوات الصامتة الشديدة:** هي "التي ينحبس معها الهواء عند مخرج كل منها انحباسا لا يسمح بمروره حتى ينفصل العضوان فجأة."[25] فالصوت الشديد يحدث جراء منع جريان الهواء, و ضغطه بشدة بأعضاء نطق محددة وعند انفصال هذه الأعضاء انفصالا مفاجئا عن بعضها البعض؛ يخرج الهواء المضغوط بشدة محدثا صوتا معينا؛ مثل الدال أو الباء و غيرها من الأصوات, و الأصوات الشديدة هي: الهمزة, القاف, الكاف, الجيم, الطاء, التاء, الدال, الباء, و هي ثمانية أصوات.

2- **الأصوات الصامتة الرخوة:** الأصوات الرخوة عند النطق بها "لا ينحبس الهواء انحباسا محكما, و إنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقا جدا و يترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى."[26] فالصوت الرخو ينتج من ضيق في المجرى عند المخرج؛ إذ تسمح الأعضاء الفاعلة في ذلك بمرور الهواء, فكلما اتسع الفراغ بينها, أو ضاق نسبيا صدر صوت معين مثل الفاء أو الصاد و غيرها؛ و الأصوات الرخوة هي: الهاء, الحاء, الغين, الخاء, الشين, الصاد, الضاد, الزاي, السين, الظاء, الثاء, الذال, الفاء, فتلك ثلاثة عشر صوتا.

3- **الأصوات الصامتة المتوسطة:** هي التي تكون بين الشديدة و الرخوة؛ إذ يضيق مجرى الهواء نتيجة التقاء الأعضاء المساهمة في النطق به, و لكنه التقاء غير محكم مع وجود اتساع طفيف, حيث يخرج الهواء دون أن يكون له ضغط أو شدة, أو يكون له حفيف أي رخو, و قد نعتت بالأصوات البينية, وهي خمسة أصوات: العين, الراء, اللام, الميم, النون, وجمعت في قولهم: لن عمر.

أ-<u>صوت العين:</u> إذ يقول سيبويه:" أما العين فبين الرخوة و الشديدة تصل إلى الترديد لشبهها بالحاء."[27] فصوت العين يتميز بجريان الهواء حال النطق به؛ فلا شدة فيه, أي لا وجود لضغط أو احتكاك, و لا وجود لاتساع كبير في مجراه؛ فهو بينهما.

---

[25] الأصوات اللغوية, إبراهيم أنيس, ص 24.
[26] نفس المرجع, و ص.
[27] الكتاب, أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه, تحقيق عبد السلام محمد هارون, دار الجيل, بيروت, ج4, ص435.

ب- الصوت المنحرف (الجانبي): هو الذي ينحرف معه الهواء حال النطق به لوجود عارض, فيصدر الصوت من جانبي الفم, و في اللغة العربية صوت واحد هو اللام؛ ويقول سيبويه:" المنحرف و هو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت, و لم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة؛ و هو اللام و إن شئت مددت فيها الصوت,و ليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه, و ليس يخرج الصوت من موضع اللام و لكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك."[28]فالصوت المنحرف هو هواء مضغوط بشدة يعترضه عائق منيع أثناء مروره في الفم, و لوجود هذا العارض ينحرف الهواء مع اللسان, فيخرج من جانبي الفم؛ و هذا هو الحال مع صوت اللام؛ فاللام صوت جانبي لا هو بالمضغوط ضغط الأصوات الشديدة, و لا هو بالرخو الذي يتصف بتسرب الهواء, بل يمر الهواء منحرفا من جانبي الفم لوجود العارض.

ج- الصوت الأنفي: و هو الذي يصدر من الأنف حال النطق به؛ و في اللغة العربية صوتان هما النون و الميم؛ فالصوت الصامت الأنفي كما يعرفه سيبويه هو:" حرف شديد يجري معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنة من الأنف, فإنما تخرجه من أنفك و اللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت و هو النون و كذلك الميم."[29]

د- الصوت المكرر: هو صوت الراء؛ إذ ينتج عن تكرار ضربات اللسان المتوالية باللثة, "المكرر و هو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره و انحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة و لم لم يكرر لم يجر الصوت فيه و هو الراء."[30]

4- الأصوات الصامتة اللينة: تتصف بحرية مرور الهواء دون أن يعترضه حائل, و هي صفة تنفرد و تختص بها من بين كل الأصوات الصامتة؛ " وهي الواو و الياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما."[31]و ما يميزهما عن غيرهما من الصوائت؛ يقول صاحب كتاب الرعاية:" الواو الساكنة التي قبلها فتحة, و الياء الساكنة التي قبلها فتحة, و إنما سميتا بذلك, لأنهما يخرجان في لين و قلة كلفة على

---

[28]الكتاب, سيبويه, ج4, 435.
[29]المصدر نفسه,و نفس ص.
[30]المصدر السابق,و نفس ص.
[31]الكتاب, سيبويه, ج4, 435.

اللسان."[32]بمعنى أن الواو المسبوقة بفتحة, وكذلك الياء المسبوقة بفتحة هما صوتان صامتان؛ مثل: كلمة زَيْت, أو كلمةذَوْق.

فلو سبقت الواو بضمة, أو الياء بكسرة؛ لتغير الحال بكامله و نكون مع أصوات صائتة هي مد لسابقتها.

رابعا:الأصوات العربية حسب التناظر في الصفات:بناء على ما تقره الدراسات الحديثة؛ ونعني بالتناظر هو اتحاد المخرج بين كل الصوتين المتناظرين, أو قرب المخرجين أحدهما من الآخر.

أ- **الجهر و الهمس:**

الصوت المجهور		**الصوت المهموس**
الدال	________	التاء
الذال	________	الثاء
الزاي	________	السين
الضاد	________	الطاء
العين	________	الحاء
الغين	________	الخاء[33]

ب- **الشدة و الرخاوة:**

الصوت الشديد		**الصوت الرخو**
الدال	________	الذال
التاء	________	الثاء
الباء	________	الفاء
الطاء	________	الصاد
القاف	________	الخاء

[32]الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة, أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي,دار عمار,عمان,الأردن,ط الثالثة,1996م,ص 126.
[33]الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس,ص 22.

الكاف ـــــــــــــــ الشين[34]

ج- <u>الترقيق و التفخيم:</u>

الصوت المرقق	الصوت المفخم
التاء	الطاء
الدال	الضاد
السين	الصاد
الذال	الظاء
اللام	اللام•[35]

<u>خامسا: صفات الأصوات:</u>

يتصف الصوت اللغوي بالعديد من الصفات؛ ويقصد بالصفة هي الكيفية العارضة للصوت عند مساره في المخرج: من انفتاح,و استعلاء,و استفال,و صفير,و تفشي, و استطالة, و قلقلة,و غيرها من الصفات الأخرى. وهذه الصفات هي طبيعة للحرف, و علامة على قوته,و دليل على تميزه؛ فالحروف الشديدة تزيدها الشدة قوة, و كذلك الرخوة,و بالشدة و الرخوة يتميزان عن بعضهما البعض,و أحرف الصفير تقوى بصفة الصفير و تتميز عن صفة التفشي و التفشي دليل على مفارقتها و هكذا دواليك مع كل الأصوات العربية؛"و ربما اجتمع للحروف صفتان و ثلاث و أكثر, فالحروف تشترك في بعض الصفات, و تفترق في بعض, والمخرج واحد, وتتفق في الصفات و المخرج مختلف,و لا تجد أحرفا اتفقت في الصفات و المخرج واحد, لأن ذلك يوجب اشتراكها في السمع فتصير بلفظ واحد فلا يفهم الخطاب منها."[36] و من صفات الأصوات نذكر مايلي:

1- **<u>الإطباق:</u>** سميت بعض الأصوات بهذا الاسم؛ لأن جزءا من اللسان ينطبق مع الهواء إلى الحنك الأعلى, فيصبح الهواء محصورا عند النطق بها؛ يقول سيبويه:"الحروف

---

[34] المرجع السابق, ص 25.

[35] التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية, سليمان حسن العاني,ترجمة الدكتور ياسر الملاح,النادي الأدبي الثقافي,جدة, المملكة العربية السعودية,الطبعة الأولى,سنة1983, ص72-78.

• يشير سليمان العاني في كتابه التشكيل الصوتي؛ أن اللام المفخمة توجد في عدد محدود جدا من الكلمات, و تكون بجوار الفتحة فقط؛ وتوجد هذه اللام المفخمة في اللغة العربية الفصحى في كلمة واحدة فقط هي لفظ الجلالة (الله) – انظر؛ ص78 من هذا الكتاب-

[36] الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة, أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي, ص 115.

المطبقة وهي التي إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك فإذا وضعت لسانك, فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف وهي الصاد والضاد والطاء والظاء."[37]
ونعتت هذه الأصوات عند المحدثين بالأصوات المفخمة[38] (التفخيم الذي يقابله الترقيق), فهذه الأحرف الأربعة: الصاد و الضاد و الطاء و الظاء أحرف إطباق فسيولوجيا(نطقا), و هي في الوقت نفسه أحرف مفخمة سمعا.

2- **__الاستعلاء:__** و يقصد به؛ أن يستعلي جزء من اللسان بالهواء إلى الحنك الأعلى حال النطق بالأصوات السبعة؛ و هي الصاد, و الضاد,و الطاء, و الظاء,و الخاء,و الغين,و القاف, وقد عرفه ابن جني بقوله:" أن تتصعد في الحنك الأعلى, فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق؛أي الصاد والضاد والطاء والظاء,وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها"[39]

3- **__الاستفال:__**(أو الأصوات المستَفِلة) و هو نقيض أو ضد الاستعلاء؛ و نعني به انخفاض اللسان بالهواء عند نطق الصوت المعين إلى قاع الفم. و أصوات الاستفال هي:الهمزة, ب,ت,ث,ج ح د ذ رز س ش ع ف ك ل م ن هـ و ي.

4- **__الانفتاح:__** صفة تتميز بها غالبية الأصوات, وهي عكس الإطباق, وتتشكل هيأتها بأن ينفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى بحيث يسمح بجريان الهواء دون عائق عند النطق بها, و الأصوات الانفتاحية هي: الهمزة ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي.

5- **__الصفير:__** سمة تختص بها ثلاثة أصوات فقط؛ وهي الزاي,و السين,و الصاد. فحال النطق بها تصدر صوتا يشبه الصفير.

[37]الكتاب, سيبويه, ج4,ص 436.
[38]يقول سلمان حسن العاني في كتابه التشكيل الصوتي في اللغة العربية, ص71:" و المصطلح الذي شاع استخدامه بين اللغويين دلالة على التفخيم هو الإطباق.", كما أننا نجد الخليل نفسه نعتها بالأصوات الفخام, انظر كذلك كتاب الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة, ص128.
[39]سر صناعة الإعراب, ابن جني, ج1,ص 62.

6- **التفشي:** وهو خروج الهواء و انتشاره بكثرة بين اللسان و الحنك, و انبساطه في الخروجعند النطق بصوت الشين؛ و هي صفة خاصة به, لذلك قيل:" سميت بذلك, لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء."[40]

7- **الاستطالة:** الصوت المستطيل هو الضاد؛ إذ يمتد اللسان من أول حافته إلى منتهى طرفه في الفم عند النطق به, حتى يصل إلى موضع مخرج اللام.

8- القلقلة: أصوات القلقلة خمسة و هي: الجيم, الدال, الباء, الطاء, القاف. إذ تصدر صوتا يشبه النبرة عند الوقف عليها. فالقلقلة هي:" شدة الصوت, فكأن الصوت يشتد عند الوقف على القاف فسميت بذلك المعنى."[41]

9- **المصمته:** الحروف المصمتة هي غالبية الأصوات؛عدا أصوات الذلاقة:(الفاء, الباء, الميم, الراء, النون, اللام.) فمعنى المصمتة: الممنوعة من أن تنفرد في كلمة تتكون من أكثر من ثلاثة أحرف,و هذا لصعوبتها على اللسان.

10- **المهتوف:** الصوت المهتوف هو الهمزة؛ و معنى الهتف: هو الصوت الشديد." سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوُّع فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد."[42]

11- **المد:** صفة لثلاثة أحرف هي: الألف, الواو, الياء؛ إذ يمتد بهن الصوت الناجم عن إشباع لحركة قبلهن؛ و تتميز الواو و الياء في هذا المقام عن أصوات اللين بكونهما ساكنتين مسبوقتين بالضمة أو الكسرة؛ فالواو تسبق بضمة,و الياء بكسرة.

12- **الأصوات الهوائية**: وهي أصوات المد و اللين التي ذكرت سلفا, و نعتت بالهوائية نسبة إلى الهواء؛ إذ تعتمد عليه كامل الاعتماد حين خروجها من الفم, فلا تعتمد على اللسان بل على فتح الفم أو انضمامه حال النطق بها,و لا يعترض طريقها عارض.

[40] الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة, أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ص 134.
[41] المرجع نفسه, ص125.
[42] المرجع السابق, ص137.

المبحث الثالث:الوحدات الصوتية الوظيفية

يتشكل التنظيم الفونولوجي للغة العربية من نظام متكامل بدءا من أصغر وحدة صوتية؛وهي الفونيم, ثم المقطع, ثم النبر, ثم التنغيم.وهي مؤتلفة مترابطة مع بعضها البعض في التركيب الذي يؤسس البناء,ويقوم عليه النسق اللغوي الكل.

أولا: الوحدة الصوتية "الفونيم" phoneme:

1- تعريف الفونيم:

كثيرة هي التعريفات التي وضعت له, صاغها الأصواتيون, كل حسب مذهبه الفكري, ومنهجه في البحث اللغوي؛" هو كل صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي."[43] أما التعريف الذي تبناه دنيال جونز له:"فهو أسرة من الأصوات- في لغة معينة- متشابهة الخصائص, ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه الآخر."[44]إن أفضل ما يمكن أن نقول في تعريف الفونيم؛ "أنه أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة، أو هو أصغر وحدة صوتية تفرق بين المعاني مثل:جلب،و حلب."[45] و من جملة هذه التعاريف نؤكد أن مصطلح الفونيم ومفهومه يطابقه في الدرس العربي مفهوم الحرف إذ يقول تمام حسان:" الحروف أوالفونيمات. ليست الحروف إذا هي تلك الصورة الكتابية التي نخطها بالقلم, فهذه رموز كتابية إلى الحروف. وليست الحروف هي ما تنطقه بلسانك في أثناء الكلام, فهذه هي الأصوات, و لكن الحروف أقسام يشتمل كل منها على عدد من هذه الأصوات. و إذا كانت الأصوات تدخل في نطاق حاسة السمع و البصر و في العمليات الحركية, فلا يدخل الحرف إلا في نطاق الفهم, أو في نطاق الحدس على حسب ما يراه العلماء من وجهات النظر المختلفة في نظرية الفونيم."[46]

---

[43]دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, ص 179.
[44]المرجع نفسه, ص 177.
[45]الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص98-99.
[46]اللغة بين المعيارية والوصفية, تمام حسان, عالم الكتب, القاهرة, الطبعة الرابعة, سنة 2001م, ص119.

و من كل هذا نخلص أن الفونيم؛هو الصوت اللغوي الذي تبنى الكلمة به في اللغة,و يعد وحدة غير قابلة للتجزئة تتصف بمجموعة من الخصائص والصفات,له وظيفة أساسية هي التفريق بين المعاني والتغير في الدلالة؛و هذا حسب تموقعه في التركيب اللغوي, وحسب التوزيع و الأداء.

مثل: صام- سام/ قد- دق/ درس(بتفخيم الدال)- درس(بترقيق الدال)/الجَد- الجِد.

نلفت انتباه القارئ الكريم إلى ملاحظة مهمة؛ إن فونيمات اللغة العربية تتميز بالاستقلالية؛ لها صورة واحدة في النطق والكتابة؛ أي أن ملفوظ الصوت يعادل مكتوبه, فمثلا صوت الفاء في اللغة العربية لما ننطقه نقصد به صورة هذه الفاء شكلا وكتابة, لا كبعض اللغات الأجنبية خذ على سبيل المثال اللغة الفرنسية فإننا ننطق F ويقابلها شكلا أوكتابة F و أحيانا PH, وغيرها من الأمثلة.

يتكون نظام اللغة العربية من أربعة وثلاثين فونيما تركيبيا:

- ثمانية وعشرون فونيما للصوامت: (من الهمزة إلى الياء).
- ثلاثة فونيمات للصوائت الطويلة:الألف,والواو, و الياء.
- ثلاثة فونيمات للصوائت القصيرة: الفتحة,والكسرة, والضمة.

"إن الصوائت القصيرة هي وحدات صوتية مستقلة لها القدرة على التمييز بين المعاني, ولها وظائف داخل البنية التركيبية للفعل الكلامي, و قيم دلالية متميزة."[47] ونرى هذا جليا في اسم الفاعل,و اسم المفعول المشتقين من غير الثلاثي؛ فالأول يكسر فيه الحرف ما قبل الآخر,و الثاني يفتح فيه الحرف ما قبل الآخر مثل؛ مُؤلِفٌ(اسم فاعل)/ مُؤَلَفٌ(اسم المفعول) وغيرها من الأمثلة.

سبق و أشرنا أن الفونيم يتصف بمجموعة من الصفات والخصائص؛ وهذه هي التي تعطيه صبغة التنوعات الصوتية، وهذه التنوعات تجعل من الفونيم الواحد أسرة تتكون من أفراد, وهو ما يعرف بالألوفون.

[47]التنوعات اللغوية, عبد القادر عبد الجليل, ص 149.

2- تعريف الألوفون "Allophone":

يعرفه بعضهم بقوله:" مظهر مادي متباين للفونيم."[48] أما ماريو باي Mario pei الذي يقول عن الفونيم:" إنه يشتمل على مجموعة من الأصوات المتشابهة،أو التنوعات الصوتية التي يتوقف استعمال كل منها أساسا على موقعه في الكلمة, و على الأصوات المجاورة له."[49] الألوفون هو التنوعات الصوتية للصوت اللغوي الناتجة عن تموقعه في التركيب اللغوي والتغيرات الطارئة عليه جراء تجاوره للأصوات الأخرى.

مثل: فونيم(اللام) في الكلمات التالية؛ صليل,سليل,جليل,خليل,قليل. فاللام الواردة في الكلمات الخمسة نلحظ فيها التغييرات التالية: فاللام في كلمة صليل مفخمة, وفي كلمة سلسل مرققة, واللام في كلمة جليل قاربت صفة الجيم وهكذا,و يعزى السبب بالدرجة الأولى إلى تأثيرها بصفة الأصوات المجاورة لها.و رغم هذا فاللام لم تتغير من حيث هي فونيم وإنما تشتمل على كم من الألوفونات (التنوعات النطقية).

للفونيم قيمة مهمة تتمثل في تسهيل الدراسة اللغوية في كل مستوياتها,و فهم ظواهرها.و الربط بين ما هو منطوق و ما هو مكتوب.

ثانيا: المقطع

1- تعريف المقطع:

لغة: المقطع من قطع,و مقطع كل شيء و منقطعه: آخره حيث ينقطع، كمقاطع الرمال والأودية وما أشبهها ,ومنقطع كل شيء حيث ينتهي إليه طرفه. و المقطع ؛ غاية ما قطع، يقال مقطع الثوب,و مقطع الرمل للذي لا رمل وراءه. و المقطع: الموضع الذي يقطع فيه النهر من المعابر.

[48] دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 184.
[49] المرجع نفسه, نفس ص.

ومقاطع القرآن: مواضع الوقوف, و مبادئه, مواضع الابتداء.[50]

خلاصة التعريف اللغوي للمقطع: منتهى الشيء, و آخره الذي يوقف عليه.

اصطلاحا: في مفهومه العام:"تجمع من الحروف والحركات, و هو يحدد بواسطة قواعد خاصة بكل لغة."[51], أما تعريفه عند علماء الأصوات, فيعرفه رمضان عبد التواب:" المقطع الصوتي هو كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة, و يمكن الابتداء بها, والوقوف عليها, من جهة نظر اللغة موضوع الدراسة, ففي اللغة العربية مثلا لا يجوز الابتداء بحركة؛ ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامته."[52] ويرى عبد الصبور شاهين:" المقطع مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها, ويعتمد على الإيقاع التنفسي."[53] وهناك من يرى أن أفضل تعريف للمقطع، ذاك الذي قال به العالم اللغوي "دي سوسير:الوحدة الأساسية التي يظهر بداخلها نشاط الفونيم."[54]و " من العلماء من نادى بأن المقطع هو ذلك الجزء من الكلمة الذي تقع عليه النبرة, و هو يتميز عن غيره من أجزاء الكلمة بحركة تشكل نواته, ويكون لهذه الحركة طولا زمنيا يختلف عن الطول الزمني للحركات الأخرى."[55]

من هذه الأراء نستنتج أن المقطع الصوتي العربي: هو بنية صوتية أكثر من الصوت, وأقل من الكلمة يبتدئ بصامت, ويقف عليه أو على صائت قصير كان أم طويل.

2- **أنواع المقطع**:

يمكن أن نصنف المقاطع العربية إلى ثلاثة أنواع هي: مقطع قصير, و مقطع متوسط و مقطع مديد.

---

[50]لسان العرب.ابن منظور,م 5,ج39,ص 3675, مادة (قطع).
[51]الصوتيات والفونولوجيا, مصطفى حركات,المكتبة العصرية, صيدا, بيروت, الطبعة الأولى, سنة 1998م, ص70.
[52]التطور اللغوي مظاهره وقوانينه وعلله, رمضان عبد التواب,الناشر مكتبة الخانجي, القاهرة, الطبعة الثالثة,سنة 1997م,ص94.
[53]المنهج الصوتي للبنية العربية, عبد الصبور شاهين, ص 38.
[54]الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص215-217.
[55]مدخل إلى الصوتيات, محمد إسحاق العناني, ص83.

المقطع القصير: هو ما بدأ بصوت صامت وجاءت بعده حركة قصيرة ؛مثل كلمة كتب (كَ +تَ+بَ) فهي تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة, والمقطع القصير لا يكون إلا مفتوحا أي يقبل الزيادة عليه.[56]

المقطعالمتوسط : هو ما بدأ بصامت ثم تلته حركة طويلة؛ مثل كلمة في(ف+ي), وهو في هذه الحالة مفتوح لأنه يقبل الزيادة عليه.[57]

المقطع المديد:هو ما بدأ بصامت تليه حركة ثم صامت آخر أو أكثر؛ مثل كلمة مَنْ (م+ ــَ +ن).

و كذلك ما بدأ بصامت تليه حركة طويلة ثم صامت آخر أو أكثر؛ مثل كلمة بابْ (ب+ ا+ب) و كلمة بنتْ(ب+ ـِ +ن+ت) و هو مقطع مغلق.[58]

و منه فالمقطع في اللغة العربية ستة أنماط هي:

- مقطع قصير مفتوح: صامت+حركة قصيرة؛ مثل ت+ــَ،(تَ).
- مقطع متوسط مفتوح:صامت+ حركة طويلة؛ مثل ت+ ا,(تا).
- مقطع متوسط مغلق: صامت+ حركة قصيرة+ صامت؛ مثل ع+ــَ + ن،(عنْ).
- مقطع مديد مغلق:صامت+ حركة طويلة+ صامت ؛مثل خ+ا+ل،(خال).
- مقطع طويل مغلق:له صورتان هما:
- صامت+حركة قصيرة+صامت+صامت؛مثل ب+ــَ +ع +ل,(بعلْ).
- صامت+حركة طويلة+صامت+صامت؛مثل ش+ا+د+د,(شادّ في الوقف).[59]

---

[56]انظر: مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي, رمضان عبد التواب,الناشر مكتبة الخانجي,القاهرة, الطبعة الثالثة,سنة 1997م ص101.

[57]انظر: مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي, رمضان عبد التواب, ص102.

[58]انظر:المرجع نفسه,و نفس ص.

[59]انظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية, سلمان حسن العاني,ص133.

للمقطع قيم جليلة في الدرس الصوتي, فإغفاله أو الجهل به يؤدي إلى عدم فهم الدرس اللغوي,و الغموض في تفسير القضايا اللغوية,و النظام المقطعي تقوم عليه العديد من اللغات الإنسانية؛به تتمايز الصيغ الصرفية,و يترجم الظواهر الصوتية كالإدغام والإشمام, و التقاء الساكنين...و غيرها و يوضح الظواهر النحوية. و يعين على معرفة موسيقى الشعر و موازينه.

ثالثا: النبر.

1- تعريف النبر

لغة: النبر من نبر, النبر بالكلام ؛ الهمز. و كل شيء رفع شيئا ؛ فقد نبره. و النبر مصدر؛ نبر الحرف ينبره نبرا؛ همزه.و المنبور:المهموز,و النبرة: الهمزة.

قال ابن الأنباري:النبر عند العرب ارتفاع الصوت,يقال نبر الرجل نبرة:إذا تكلم بكلمة فيها علو.و نبرة المغني:رفع صوته عن خفض.و كل شيء ارتفع من شيء:نبرة لانتباره.[60]

و منه النبر في اللغة؛ هو العلو,و الارتفاع,و الهمز,و البروز,و الوضوح.

اصطلاحا: يعرفه إبراهيم أنيس:" هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد. فعند النطق بمقطع منبور، نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطا كبيرا،كما تقوى حركات الوترين الصوتيين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات، ويترتب عليه أن يصبح الصوت عاليا واضحا في السمع. هذا في حالة الأصوات المجهورة، أما مع الأصوات المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما مع الصوت المهموس غير المنبور. وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء.وكذلك يلاحظ مع الصوت المنبور نشاط في أعضاء النطق الأخرى، كأقصى الحنك واللسان والشفتين. ولكنا حين

---

[60]لسان العرب, ابن منظور, م 6,ج 48, ص4323,مادة(نبر).

النطق بالصوت غير المنبور، نلحظ فتورا في أعضاء النطق."[61] وعند تمام حسان: "وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام."[62]

النبر:هو علو الصوت,و ارتفاعه بمقطع محدد- مع ارتكاز شديد عليه- من الكلمة عند النطق بها.

2- **مواقع النبر:**يرشدنا إلى هذا إبراهيم أنيس:" لمعرفة موضع النبر في الكلمة العربية, ينظر أولا إلى المقطع الأخير فإذا كان من النوعين الرابع والخامس, كان هو موضعالنبر,و إلا نظر إلى المقطع الذي قبل الأخير فإن كان من النوع الثاني والثالث, حكمنا بأنه موضع النبر, أما إذا كان من النوع الأول, نظر إلى ما قبله فإن كان مثله أي من النوع الأول أيضا, كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة. ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا في حالة واحدة؛ و هي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول."[63]

فمن هذا القول نستشف أن النبر في اللغة العربية لا يتجاوز مقطعا واحدا, و إن لزم الأمر لا يكاد يتجاوز مقطعين في تنقله.

- يقع النبر على المقطع الأخير إذا كان من نوع(ص + صائت طويل +ص)؛أو من نوع (ص +ح +ص) مثل كلمة نَسْتَغِيثْ في حالة الوقف(ن+ـَـ+س/ ت+ـَـ/+غ+ي+ثْ)
- يقع النبر على ما قبل الآخر إذا كان المقطع من النوع الثاني أي المتوسط (ص+ح+ص) أو (ص+ صائت طويل) مثل كلمة حَسِبْتُ (ح+ـَـ/س+ـِـ+ب/+ت+ـُـ)
- و يقع النبر على المقطع الأول للكلمة إذا كانت مكونة كلها من المقطع الأول(ص+ ح) مثل الفعل الماضي الصحيح الثلاثي خَرَجَ(خ +ـَـ/ +ر+ـَـ+/ ج+ـَـ).
- أما إذا كانت الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع من النوع الأول يكون النبر على المقطع الأول

مثل كلمة عَرَبَةُ(ع+ـَـ/+ر+ـَـ/ب+ـَـ+/ ة+ـُـ).

[61]الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس،ص 138.
[62]مناهج البحث في اللغة, تمام حسان, ص 160.
[63]الأصوات اللغوية, إبراهيم أنيس,ص 140- 141.

النبر سمة من السمات الصوتية التي تكسو الكلام المنطوق عند أدائه, وتكسبه مميزات وخواص تنبئ عن معناه ومطابقة المقال للمقام؛و يساهم بدور مهم جدا في تقوية الدلالة و إيضاح المعاني المنشودة و تأكيدها و هذا على مستوى الجمل و العبارات في الكلام.

رابعا: التنغيم.

1- تعريف التنغيم:

لغة:التنغيم والنغم من نغم,والنغمة:جرس الكلمة,وحسن الصوت في القراءة وغيرها.

وتنغم بالغناء أي تكلم به.والنغم:الكلام الخفي,والنغمة: الكلام الحسن.وسكت فلان فما نغم بحرف,و ما تنغم مثله,و ما نغم بكلمة.[64]

التنغيم: هو جرس الكلام وصوته الحسن الذي يؤثر في السامع.

اصطلاحا:

يطلق عليه إبراهيم أنيس؛موسيقى الكلام."و هو تغير في ارتفاع النغمة-والمقصود بالنغمة هو اختلاف ارتفاع الصوت داخل الكلمة- يخص سلاسل أطول من التي ينطبق عليها النبر,و غالبا ما يخص الجملة,أو شبه الجملة."[65]

و ينعته محمود السعران:" المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع و الانخفاض في درجة الجهر في الكلام و هذا التغيير في الدرجة يرجع إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين, هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية, ولذلك فالتنغيم يدل على عنصر الموسيقى في الكلام."[66]

التنغيم: ظاهرة صوتية,و خاصية فنية أساسية في اللغات الإنسانية؛و هو الجرس الخفي الحسن للكلام معبرا عن المعنى وفقا للمقال ومقتضى الحال.

---

[64]لسان العرب, ابن منظور, م 6, ج 48,ص 4490,مادة(نغم).
[65]انظر الصوتيات و الفونولوجيا, مصطفى حركات,ص 42-43.
[66]علم اللغة مقدمة للقارئ العربي,محمود السعران, ص192.

يكسب التنغيم الكلام نغمات موسيقية تنبئ عن معنى الكلام المنطوق ومطابقته للمقام،و يساعد في الكشف عن الحالة النفسية للمتكلم,و يوضح مقصوده.و به تتمايز أنماط الجمل وتراكيبها في الدرس النحوي. فبعض اللغات تعتمد عليه في التفريق بين معاني الكلمات؛ خاصة تلك التي تتكون من نفس الفونيمات؛ كاللغة الصينية كلمة (فان), تؤدي ستة معان لا علاقة بينها هي(نوم, يحرق, شجاع, واجب, يقسم,مسحوق)[67]

[67]انظر الأصوات اللغوية, إبراهيم أنيس, ص 143.

المبحث الرابع: الجهود الصوتية العربية.

الدراسات الصوتية أهم دراسة أولاها العرب المسلمون اهتمامهم،و اعتنوا بها عناية فائقة حتى تفوقوا تفوقا بارعا،و حظوا بالسبق و الأولوية فيها؛إذ قال فيهم الغربيون: " لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان العرب والهنود."[68]و ما اهتمام العرب بالأصوات إلا دلالة على قداسة لغتهم,ونبوغهم في العلوم,و حفظهم لتراث ثَرٍّ ثَري جليل، وأول ما شحذ هممهم لهذه الدراسات,و استقطب ألبابهم هو خدمة القرآن الكريم,و حفظه من اللحن والتحريف.

وإذا أمعن المتأمل في تراثنا يجد أن الدراسات الصوتية لم تقم لذاتها؛و إنما لخدمة غيرها من العلوم و الفنون،لذلك تجدها متناثرة هنا وهناك,و مبثوثة في فروع مختلفة.

فلذا خليق بنا أن نقف على هذه العلوم و الفنون؛ألا و هي علوم العربية،و علوم الحكمة والفلسفة,و الطب,و الموسيقى,و علوم القراءات,و التجويد والرسم,و الضبط.

1- علوم العربية: النحو والصرف والبلاغة والمعاجم والعروض.

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174هـ) أول من خاض غمار الدرس الصوتي,و هو صاحب أول معجم عربي -العين- الذي بني على أساس صوتي,و تصدر بمقدمة صوتية, تعتمد ترتيب المخارج،و هو صنيع يعكس الحس الصوتي المرهف والدقيق الذي كان يتمتع به الخليل الذي ساعده على التميز في العروض والموسيقى.[69] ثم تلاه سيبويه الذي ضمن كتابه الكتاب بعض الأبواب خصصها للدراسة الصوتية في نهاية مؤلفه,و عدت كتمهيد لدراسة ظاهرة الإدغام الذي استهله قائلا:"هذا باب الإدغام هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها,و مهموسها,و مجهورها,و أحوال مجهورها,و مهموسها,و اختلافها."[70]

[68]دراسات في علم اللغة,كمال بشر, دار المعارف, القاهرة, مصر, الطبعة التاسعة, سنة 1986م, ص 60.
[69] انظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس, ص 88.
[70] الكتاب, سيبويه,ج 4,ص431.

ثم خلف من بعده خلف من العلماء اكتفوا بترديد كلامه,و بنفس الألفاظ والحروف دون أن يزيدوا عليه ما يستحق الذكر,و دون شرح لتلك الآراء الواردة فيه,و ما هذا إلا دليل يعكس اعتزاز العلماء بسيبويه إلى حد يكاد يبلغ القداسة.

ومما وصلنا من ذلك المقتضب للمبرد(ت 285هـ),و الجمهرة لابن دريد,و الجمل للزجاجي (ت 340هـ) و المفصل للزمخشري(ت538هـ)[71].

إلا أن أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل,و نظر إليها أنها علم قائم بذاته ابن جني(ت392هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب إذ يقول عن نفسه:"وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض,و لا أشبعه هذا الإشباع,و من وجد قولا قاله و الله يعين على الصواب بقدرته."[72] كما نقف له على مؤلف آخر ضمنه مادة صوتية ثره؛ و هو الخصائص.

وكان لأهل البلاغة نصيب في ذلك وعلى رأسهم الجاحظ (ت255هـ) حيث تكلم في كتابه البيان والتبيين عن عيوب النطق سواء كانت ناتجة عن سرعة,أو سبب عضوي,أو لثغة, أو لكنة أجنبية.و الصوت,و نسج الكلمة العربية,و تردد الحروف فيها.[73]

أما أهل الإعجاز القرآني زودونا بمعلومات صوتية ذات قيمة,و معظم ما شغلهم من مباحث الأصوات يتعلق بتنافرها وتآلفها,و استلزم هذا بالضرورة حديثا عن مخارج الحروف,و هل للقرب,أو البعد المخرجي دخل في التنافر,أو التآلف؛و منهم الرماني (ت384هـ) ورسالته النكت في إعجاز القرآن،و أبو بكر الباقلاني(ت403هـ) و كتابه المشهور إعجاز القرآن,و ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) وكتابه سر الفصاحة.[74]و لا نكاد نجد بعد هذا في كتب المتأخرين ما يمكن أن يتسم بالأصالة في دراسة أصوات اللغة سوى

[71]انظر البحث اللغوي عند العرب, أحمد مختار عمر, عالم الكتب, القاهرة, الطبعة السادسة, سنة 1988, ص 93.
[72]سر صناعة الإعراب, ابن جني, ج1, ص56.
[73]انظر المرجع السابق, ص 97-98.
[74]انظر المرجع السابق, ص96-97.

تلك المحاولة التي جاءت في كتاب السكاكي(ت626هـ) مفتاح العلوم من رسم بدائي لأعضاء النطق.[75]

2- علوم الحكمة والفلسفة والطب والموسيقى.

فيقدمها فيلسوف العرب الكندي(ت260هـ) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات, موجودة في أكثر من مصنف,و على رأس ذلك رسالته"في استخراج المعمى" حيث تكلم على تردد حروف العربية,و دورانها في الكلام معتمدا على إحصاء صنعه بنفسه, وتقسيمها إلى مصوته وخرس(صامته),و ذكر قانونا لغويا عاما يسري على كل اللغات؛ وهو كون المصوتات أكثر الحروف ترددا,و نبه على اشتمال المصوته على المصوتات العظام؛و هي حروف المد,و المصوتات الصغار؛و هي الحركات. ثم بسط الكلام على نسج الكلمة العربية باستفاضة,إذ أورد ما يقرب من مئة قانون من قوانين ائتلاف الحروف واختلافها وتنافرها.[76]

والفارابي (ت339هـ) في كتابه الموسيقى الكبير نلمس بعض التفاصيل الخاصة بمسيرة الصوت،حيث يشير إلى مصدر الصوت,و حركته,و كيفيات انتقاله في الهواء؛الأمر الذي ينتج عنه تلوين الأصوات باختلاف درجة الصوت من دقة وسمك.[77]

وهناك محاولات أخرى في هذا الشأن تنحو نحوه منها رسالة الموسيقى لإخوان الصفا(القرن الرابع للهجرة)؛و قد اشتملت الرسالة الخامسة منها على عدة فصول,أهمها فصل في كيفية إدراك القوة السامعة للأصوات؛إذ فيه كلام على الأصوات,و أنواعها, ومصدرها,و ماهيتها,و نغمتها,و امتزاجها,و تنافرها.[78]

بعدها لمع نجم حكماء العرب الطبيب ابن سينا(ت428هـ) و كتابه المشهور رسالة أسباب حدوث الحروف؛عالج فيه أصوات اللغة على نحو فريد لا نكاد نقع عليه عند أحد من المتقدمين,و هو يتصل بعلم الأصوات النطقي,و قسم رسالته إلى ستة فصول, فصل

---

[75] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي, رمضان عبد التواب, ص18.

[76] انظر كتاب علم التعمية و استخراج المعمى, أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي, تحقيق محمد مراياتي, محمد حسان الطيان, يحي مير علم, مطبوعات مجمع اللغة العربية, دمشق, سنة 1987م. ج1,ص 237.

[77] انظر الموسيقى الكبير,الفارابي,تحقيق و شرح غطاس عبد الملك خشبة,دار الكتاب العربي للطباعة و النشر,القاهرة, ص51_53.

[78] انظر رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا؛ الرسالة الخامسة من القسم الرياضي في الموسيقى,لإخوان الصفا,المجلد الأول,ص 67إلى70.

في سبب حدوث الصوت,و فصل في سبب حدوث الحروف,و فصل في تشريح الحنجرة,و فصل في الأسباب الجزئية لحرف من حروف العربية,و فصل في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب,و فصل في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية.[79]

3- علوم القراءات والتجويد والرسم والضبط.

تعد كتبهم أكثر الكتب احتفاء بالمادة الصوتية,و ذلك لابتغائهم الدقة في تأدية القرآن الكريم قراءة,و تدوينا إلى حد جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي وأغنته.[80] على أن أوسع ما وصلنا في القراءات هو كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد(ت324هـ)[81],أما علم التجويد فنجد كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ) قائلا:"وما علمت أن أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب,و لا إلى جمع ما جمعت فيه من صفات الحروف,و ألقابها,و معانيها,و لا إلى ما أتبعت فيه كل حرف منها بألفاظ كتاب الله تعالى,و التنبيه على تجويد لفظه,و التحفظ به عند تلاوته."[82] حيث ذكر فيه لحروف العربية أربعة و أربيعين لقبا؛ بينها,و شرحها,و كل واحد من هذه الألقاب يدل على معنى,و فائدة في الحرف ليس في غيره مما ليس له ذلك اللقب.[83] وتعاقبت بعد ذلك رسائل التجويد تنهج نهج المتقدمين,و لا نكاد نجد فيها جديدا يذكر إلا أننا نقف على أبرزها ما وضعه الإمام ابن الجزري(ت833هـ) و كتابه التمهيد في علم التجويد؛ الذي تناول فيه كل مسائل التجويد وضم إليها بابا في الوقف والابتداء,و آخر في معرفة الظاء وتميزها من الضاد.[84]

و مما سبق نخلص إلى ثمار هذه الجهود و تتجلى في:

---

[79] انظر رسالة أسباب حدوث الحروف,لابن سينا, ص56 إلى97.

[80] الأصوات ووظائفها, محمد منصف القماطي,منشورات جامعة الفاتح, سنة 1986م, ص 88.

[81] انظر كتاب السبعة,لابن مجاهد, تحقيق؛شوقي ضيف, دار المعارف, بمصر, ص45.

[82] الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة, أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي,ص43.

[83] انظر المرجع نفسه,ص 91 إلى 144.

[84] انظر التمهيد في علم التجويد,أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري,تحقيق الدكتور علي حسين البواب,مكتبة المعارف,الرياض,ط الأولى,1985, ص 165-209.

1- أدرك العرب الجهاز الصوتي,وسمو أعضاء النطق بمسمياتها الحالية.
2- وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية رتبت أصواتها بحسب المخارج.[85]
3- اهتدوا إلى الصوت اللغوي وماهيته, وخواصه و مميزاته و صفاته و أقسامه, وتدارسوه دراسة تنم عن ذوق رفيع وفكر وقاد.
4- توصلوا إلى وضع قوانين تخص نظم الكلام وتآلفه.
5- اجتهد العرب بحرص شديد على تجويد نطق لغتهم وحسن أدائها,و خاصة القرآن الكريم؛ بوضع مبادئ القراءات,و أسس التلاوة.

فالمتصفح أو الدارس للتراث الصوتي يقف وقفة إجلال واعتزاز لهذا العمل الإنساني الجبار,و يكفي العرب فخرا أن يشهد لهم الغير بهذا,و قد قال فيرث:"لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين؛ العربية و السنسكريتية."[86]

إلا أن هناك بعض الملاحظات النقدية تؤخذ على هذه الجهود الصوتية؛من أهمها نذكر ما يلي:

1- لم تخصص هذه الدراسات الصوتية بدراسة مستقلة,و لم تدرس لذاتها.
2- المتصفح للتراث يجد أصحابه مقلدين لا مجددين,و تابعين لا متبوعين؛فهم لم يخرجوا على ما أتى به الخليل,و سيبويه.
3- عدم توحيد المصطلحات بينهم وغموض بعضها ومن ذلك "الحروف المصمته" و"الشجرية",و "المتفشية",و " الإطباق", و "الاستعلاء",و "المقطع",و " المحبس" و"المخرج".[87]

[85]انظر البحث اللغوي عند العرب, أحمد مختار عمر,ص 114.
[86]دراسات في علم اللغة ,كمال بشر, ص 60.
[87]انظر المرجع السابق, ص 119.

الجهود الصوتية عند العرب المحدثين:

تلك هي الدراسات الصوتية عند العرب القدامى, أما عند العرب المحدثين؛ فيعتبرون دراسة الأصوات أول خطوة في أي دراسة لغوية.[88] و نقف على أول كتاب متكامل باللغة العربية عن الدراسات الصوتية على المنهج اللغوي الحديث؛ الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس,و قد صدرت أول طبعاته في عام(1947م) إذ يقول في مقدمته:" فلما كان العصر الحديث واتصلت ثقافاتنا بثقافات أوروبا,و رأينا لعلماء اللغات فيها تلك التجارب الصوتية التي يخيل للناظر إليها أنها نوع من السحر بدأ بعض أعضاء البعثات اللغوية يعنون بهذا الأمر,و يحاولون الانتفاع به في خدمة اللغة العربية, و كتابي هذا,و إن كان الأول من نوعه في اللغة العربية لا أدعي له الكمال في كل نواحيه."[89] ويليه كتاب مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان عقد فيه فصلا بعنوان "منهج الأصوات" وفيه اهتمام كبير بعلم الأصوات التجريبي وقد صدر سنة(1955م), ونقف على كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران الذي أفاد فيه من كثير من مؤلفات الغرب في الدراسات الصوتية؛و قد صدر سنة(1962م) و نفس النهج الذي نهجه الدكتور عبد الرحمان أيوب أصوات اللغة الذي صدر سنة(1963م) وقد اعتمد فيه اعتمادا كبيرا على كتاب هقنر Heggener علم الأصوات العام general phonetics المطبوع في أمريكا سنة (1952م)[90]. ونشر الدكتور كمال بشر كتابه علم الأصوات سنة(1970م) أما كتاب دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر نشره سنة(1976م).

وغيرها من الجهود التي بذلت في هذا المجال إضافة إلى الدراسات الاستشراقية, ولا تزال الدراسات الصوتية مجالا خصبا للبحوث والدراسات المستقبلية.

---

[88]انظر المرجع السابق, ص 93.

[89]الأصوات اللغوية, إبراهيم أنيس,ص 8.

[90]انظر المدخل إلى مناهج البحث اللغوي, رمضان عبد التواب,ص20.

المبحث الخامس: المجالات التطبيقية لعلم الأصوات.

تظهر أهمية علم الأصوات و خدماته الجليلة في مجالات متنوعة ذات قيمة بالغة في حياة الإنسان،و مع التطور الهائل الذي يشهده العلم الحديث بات يفتح أمامه السبل والآفاق للتقدم والتعايش مع الآخر في العديد من الميادين،و في وضعيات مختلفة، التي تقحمه في مسايرة العصر,و أبرز المجالات التطبيقية لعلم الأصوات نذكر منها لا على سبيل الحصر ما يلي:

1-التحليل العلمي للغةودراسة تطورها:

إذا كانت الأصوات هي البنى الأساسية للأحداث اللغوية. فوجب أن تكون اللبنة الأولى التي تستوقف الدارس اللغوي أو الباحث عند دراسة مستويات اللغة,والنتائج الصوتية المتوصل إليها؛هي المبادئ القاعدية للتحليل اللغوي. ولا يقف الأمر عند هذا بل يتجاوزه إلى علوم اللغة الأخرى؛ كعلم المفردات, والمعجمية, والبلاغة,والدلالة...وغيرها, ودراسة اللهجات,والدراسات اللغوية المقارنة, والتاريخية." و يعود هذا الاهتمام بالدرجة الأولى إلى ما تظهره اللغة من أنماط صوتية محددة,وما تحتويه من عدد محدود من الأصوات المتمايزة سواء أكانت تلك الأصوات سواكن أم حركات,ولا نبالغ عندما نقول بأن التقدم الكبير الذي تم إنجازه في مختلف فروع اللغويات يعود إلى التركيز المتواصل على وصف الأنماط اللغوية وتبويبها وتصنيفها,و استخلاص القواعد العامة بعد تحليلها,ومعرفة المبادئ التي ترتكز عليها, ولولا الفكرة القائمة على أن لكل لغة نظاما صوتيا خاص بها,و نظاما لقواعدها و آخر يحكم مفرداتها لما تمكن اللغويون من بلوغ هذه المنجزات."[91]

2-**تعليم الأداء و تجويد النطق:**

إن الأداء diction،و هو فن النطق،"قد احتل مكانا هاما في التعليم الحديث, وسوف يأخذ ولا شك اهتماما أكثر فأكثر،و علم الأصوات هو القاعدة الأساسية لأي تعليم من هذا النوع"[92] ويعزى السبب إلى الفوارق الفردية و ما يختلجها من عوارض(كالعامل

[91]مدخل إلى الصوتيات, محمد إسحاق العناني, ص97.
[92]دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, ص 402.

النفسي أو الاجتماعي ...وغيرها), فقد تحيا كلمات وجمل على ألسنة بعض الأشخاص ويصلنا المضمون سلسا شفافا مؤثرا في نفوسنا, في حين تموت هذه على ألسنة أخرى لرداءة أداءها," فصحة أصوات اللغة هي سبيل صحة هذا المنطوق من جانبيها المتلازمين؛ وهما الصحة الداخلية, أي صحة البناء نفسه, والصحة الخارجية وهي مطابقته لأغراضه ومقاصده المتمثلة في مطابقة الكلام للمقام."[93] فنقل المقاصد وتحقيق الأغراض, وبعث التجاوب والانفعال في الآخر مبني على حسن الأداء,وجودة النطق, فينبغي على كل واحد منا أن يكتشف صوته,و مزاياه لإدراك جوانب الجمال فيه و نقاط ضعفه؛" فلكل صوت مدى,و طاقة,وطبقة,و استخدام الصوت في إطار طبقته,و طاقته يكسبه جمالا, وكل الأصوات جميلة بالتدريب."[94]

3-تعليم وتعلم اللغة:

هوالمجال الذي يحظى فيه علم الأصوات بمكانة بارزة,ويعود عليه بالفضل العظيم, فمتى كان تعلم أصوات اللغة تعليما سليما,و أداء متقنا؛وهذا عن طريق إدراك الخواص الأساسية للبناء الصوتي, و معرفة النظريات التي تتعلق بطرق الاكتساب,نتج عنه تعلم لغة سليمة سواء كانت اللغة الأم, أو اللغة الأجنبية.

وكثيرا ما يقع متعلم اللغة الأجنبية في أخطاء ناتجة عن خلطه بين أصوات لغته الأم واللغة التي يتعلمها, بسبب تغلب سلوكه,و عاداته النطقية عليها. إضافة إلى هذا قد يهمل مراعاة الملامح الصوتية وما تؤديها في أداء المنطوق كالنبر والتنغيم و الفواصل الكلامية مما يخل بصحة البناء اللغوي و الأداء الفعلي للكلام, فتعلم اللغة مبني بالحفاظ على سلامة نظامها, وعلى حس أدائها على أكمل وجه؛ لأن " مهارة الأداء عند المتحدث تكتمل برعايته قواعد الصحة اللغوية على مستوى الصرف و النحو والدلالة."[95]

4-**معالجة عيوب الكلام** و**عيوب السمع والنطق:**

استفاد الباحثون من دراسة علم الأصوات,و استثمروه في معالجة عيوب النطق كالحبسة في الكلام والتلعثم والتأتأة ...إلخ وذلك عن طريق التدريب,و تمرن اللسان حتى

---

[93]علم الأصوات, كمال بشر, ص 624.

[94]مختارات صوتية, زين كامل خويسكي,و الدكتورة نجلاء محمد عمران, دار المعرفة الجامعية, سنة 2007م, ص234.

[95]المرجع نفسه, ص231.

النطق السليم, و معالجة عيوب الصوت عند الكلام كالصوت المرتعش أو الصوت المرتفع جدا الذي يؤدي إلى إزعاج سامعيه, كما كان لهذا العلم أثر كبير في التغلب على المصاعب التي تواجه فئة محرومة من أبناء المجتمع من نعمة السمع"و قد خصص علم الأصوات جهدا كبيرا لمساعدة الصم على الكلام حتى يمكن أن ينتجوا إشارات صوتية مفهومة, و مساعدتهم على الاستقبال حتى يمكن أن يدركوا الإشارات المرسلة إليهم."[96]

5-**وضع الأبجديات:**

تعاني العديد من اللغات في العالم من مشكلة عويصة متمثلة في إثبات وجودها, فهي تكاد تكون في طي النسيان و الجهل بها , وقد تقارب من العدم والاندثار مع مرور الزمن, لأنها تفتقد إلى النظام الصوتي الألفبائي, فهو نظام صوتي يعين "في وضع أبجديات دقيقة للغات التي ليس لها كتابات حتى الآن, و يعين في إصلاح الأبجديات التقليدية لتكون أدق تمثيلا للنطق."[97]بمعنى آخر أن أي نظام أبجدي يقوم على أساس من التعرفعلى الفونيمات وكل فونيم يعطى رمزا معينا يمثله, ومادام الفونيم نواة الكلمة فالكلمة تمثلها كذلك ملامح تميزية أخرى كالمقطع و النبر والتنغيم.فهذا النظام إذا رعيت معه المقومات الأساسية بالأمة المعينة كالبعد الثقافي والقومي و التاريخي فإنه يحفظ اللغة ومجدها لا محالة. و إذا حدث عكس هذا فقد يقلب اللغة إلى لغة أجنية أخرى. " و هذه الصورة الشكلية التي تتمثل في الألفباء ليست بالأمر الهين, فالنظام الكتابي ليس في واقع الأمر مسألة شكلية كما يبدو لبعض الناس, و إنما هو في حقيقة الأمر مأخوذ ومستمد من صميم اللغة و مرتبط بخواصها أشد ارتباط, إنه تصور كتابي لمادتها الأصلية و هي أصواتها."[98]

6-**علم تجويد القرآن والتلاوة :**

يعتبر من أقدم المجالات التي أدركها العلماء اللغة,و سعوا في تدارسه,و الاهتمام به حفظا من كل لكنة أو لحن, وهو المجال الذي يبقى علم الأصوات العربي يقدم فيه يد

---

[96]دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, ص 407.
[97]علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, محمود السعران, ص126.
[98]علم الأصوات, كمال بشر, ص598.

العون والخدمة بكل حرص مهما تعاقبت السنون والأزمان, ولكن بصورة أفضل و أرقى من سابقتها خاصة إذا استغلت فيه الوسائل المتطورة الحديثة, فتصبح"القراءات القرآنية نفسها يتيسر لدارس الأصوات اللغوية كتابتها بصورة أدق,و تبيان ما بينها من وجوه الخلاف, وتسجيل تلاوتها تسجيلا صوتيا, بحيث يكون تعلمها أبسط و أيسر من أخذها عن طريق كتب التجويد."[99]

7-وسائل الاتصالات و المعلوماتية:

هي من أبرز المجالات التي استقطبت علم الأصوات بكل جوانبه تقريبا(السمعي, و الفيزيائي,و النطقي), حيث تركز على الصوت الإنساني بتحويله إلى ذبذبات وموجات وترددات وثم نقلها إلى صورة رسائل مرمزة لتصلنا بصورة ناطقة.و يعود هذا إلى التطور التكنولوجي الدائم والتغير الإيديولوجي, و ما تفرضه متطلبات العصر الراهن من تغيرات في جميع مجالات الحياة, و سرعة التطور,ومسابقة الوقت,و ما تقتضيه الوسائل و السبل و الحاجات للتواصل مع الآخر.

[99]علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, محمود السعران, ص 130.

الفصل الثاني

الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر.

∃المبحث الأول: تأملات كمال بشر في الفكر الصوتي العربي القديم.

∃المبحث الثاني: أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر.

∃المبحث الثالث: القضايا الخلافية بين كمال بشر و اللغويين القدامى.

∃المبحث الرابع: الفونيمات التركيبية و أبعادها في اللغة العربية عند كمال بشر.

∃المبحث الخامس: الفونيمات فوق التركيبية و أبعادها في اللغة العربية عند كمال بشر.

/

المبحث الأول:تأملات كمال بشر في الفكر الصوتي العربي القديم.

تعد الحقائق الصوتية,و النتائج العلمية التي يكشفها الدرس الصوتي الحديث دليل قاطع على أصالة الفكر الصوتي العربي القديم,و برهان على إثبات مصداقيته؛ فلقد كان العلماء القدامى سباقين في إرساء قواعده الصحيحة,و بناء مادته الغزيرة,و تشكيل منهج علمي سليم,فكانت أهم المقومات التي اختص بها,و المميزة له هي:

- الأصالة و السبق التاريخي.
- المنهج و طريقة البحث.
- أهم الحقائق الصوتية التي توصلوا إليها.

أولا: الأصالة و السبق التاريخي.

درس العرب أصوات لغتهم دراسة تعكس سجيتهم,و قوميتهم, فهم أسقطوا فيها عقليتهم الخاصة بهم,و تأملاتهم المحضة,و لم تكن وليدة امتزاج بثقافات أخرى, أو التأثر بفكر أمم سابقة؛و هذا الذي يقره كمال بشر إذ يعارض من يرى للفكر الأجنبي من الأمم المتاخمة للأمة العربية أثر في ذلك؛"في رأينا أن دراسة العرب لأصوات لغتهم دراسة أصيلة, ليست منقولة في منهجها,أو طريق التفكير فيها عن غيرهم من الأمم.و القول بأنها ترجع إلى أعمال الهنود,أو اليونان في دراستهم الصوتية قول تعوزه الأدلة العلمية التي تستطيع أن تؤكد هذا الزعم,أو تنفيه. على أن النظر الدقيق في جملة ما طلع علينا به علماء العربية في مجال الأصوات اللغوية يحملنا على الجزم بأن هؤلاء القوم كانوا يصدرون عن عقليتهم الخاصة,و ثقافتهم العربية."[100] فالعرب اعتمدوا على الخواص النطقية الفعلية؛أي أنهم مارسوا نطق الأصوات بتذوقهم الخاص لها,بينما اليونان فإنهم اعتمدوا على الخواص السمعية,و تأثيرها على الأذن,و أهملوا الجانب النطقي,و هنا يتضح لنا الفرق الشاسع بين العرب واليونان.

[100] التفكير اللغوي بين القديم و الجديد، كمال بشر, دار غريب, القاهرة, سنة 2005م,ص381-382.

أما الهنود و إن كانوا سابقين في هذا المضمار, فقد اعتمدوا على الجانبين معا النطقي والسمعي,و هذا ما يحيل إلى علاقة المشابهة بين الهنود والعرب إلا أن اختلاف الدراسة جلي جدا من حيث المنهج وطرائق البحث؛ فخذ على سبيل المثال معيار تصنيف الحركات عند الهنود هو إمكانية التغني بها؛إذ يقولون:أن الحركة هي الصوت الذي يمكن أن يغنى, بينما عند العرب فمعيارها؛هو حرية مرور الهواء,و كونها مجهورة...إلخ.

و يؤكد هذا الرأي أحمد محمد قدور و إن كان في حق الخليل فإننا نستطيع أن نعكسه على الفكر الصوتي العربي بصفة شاملة:" و الحق أن نشأة الدرس الصوتي على يد الخليل جاءت ضمن الجو الحضاري الناهض عصرئذ,و لم تكن طفرة في عصر راكد أومتخلف.و إذا سلمنا باقتباس هذا العلم لأنه على قدر من التفوق, فكيف نفعل بعشرات العلوم التي نشأت مع علم الأصوات كالمعجم و النحو والصرف والدلالة والبلاغة والنقد والتفسير والفقه؟"[101]و الرأي عندنا أن ما قيل هو الصواب,و الأقرب إلى المنطق بكثير؛ فطبيعة العصر التي تميزت بالتمدن و التحضر,و الحرص على خدمة القرآن الكريم, وحفظ اللغة العربية؛ هي التي وهبت أحقية العرب بهذا العلم,و منحتهم السبق و الأصالة, و دحضت ما قاله الغيرُ في غير هذا.

أول دراسة انطلقت منها الدراسة الصوتية هي الدراسة الفسيولوجية أي النطقية؛ لأن آلتها المساعدة على الكشف والدراسة ملموسة وحقيقية موجودة عند كل الناس؛و هي جهاز النطق,إضافة إلى حسهم المرهف,و ذوقهم الرفيع,و اهتمامهم الشديد بالكلام المنطوق,و الحرص على صحة أدائه حيث تأملوا جهاز النطق,و الخواص النطقية للأصوات,فكان التصنيف,و التقعيد بحسب ذلك مع الإشارة إلى مخارجها,و أحيازها, وجهرها,و همسها,و شدتها,و رخاوتها,و صفاتها,و كيفيات خروجها منه."و للعلماء العرب في القديم -لغويين و غير لغويين- إشارت و أفكار تنبئ بوضوح عن إدراكهم لجوانب الأصوات النطقية و الأكوستيكية-الفيزيائية- و السمعية جميعا,و إن كانت جل

[101]أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة العين, أحمد محمد قدور, دار الفكر, دمشق, ط الثانية, سنة 2003م, ص16-17.

أعمالهم جاءت بالتركيز على الجانب النطقي الفسيولوجي.ذلك أن هذا الجانب هو أقرب منالا,و الأيسر في التعامل معه."[102]

بعدها لجأوا إلى الجانب السمعي الذي يتمثل في جهاز السمع؛و هو الأذن بأعضائها الفاعلة, فتأملوا وقع الصوت,وصداه,و مدى تأثيره في السامع,كما وجدت نصوص تعالج الأثار السمعية للمنطوق عند أهل الموسيقى,و البلاغة,و المختصين باللغة كالخليل,و ابن جني؛و من أهم المصطلحات الدالة عليه التفشي,و الصفير,و الشديد,و الرخو,و التفخيم, والصائت,و المصوتات,و الأجراس....و غيرها.

مع إشارات جانبية للجانب الفيزيائي للصوت الذي يعد الحلقة الوسطى,و الرابطة لمسيرته انطلاقا من جهاز النطق,و انتقاله في الوسط الهوائي عن طريق ذبذبات وموجات وصولا إلى المستقبل وهو أذن السامع، فظهر هذا بوجه خاص عند المنشغلين بعلم الموسيقى و النغم أمثال الفارابي,و الكندي,و إخوان الصفا.

أما اللغويون المحترفون فلم يلتفتوا إليه إلا بتلميحات غير مقصودة.سوى أنها بقيت إشارات قاصرة قصور وسائل بحثه وأجهزته آنذاك, فلا تعليق عليها؛إذ لم تكتشف أهمية هذا الجانب,و طبيعته الفاعلة إلا في العصر الحديث نظرا لتطور وسائله"و جدير بنا أن نقرر في النهاية أمرا لم يلتفت إليه أحد من قبلنا,و هو أن جل المصطلحات,و الأقوال الصادرة عن علماء العربية في سياق الكلام عن الجانب السمعي للأصوات,تنبئ دون شك عن إدراكهم للجانب الأكوستيكي - الفيزيائي- كذلك,و إن بطريق ضمني, حرم من التصريح أو التفسير المناسب."[103]

أما من جانب السبق التاريخي فقد حظي العرب بأولوية السبق العلمي في الدراسات الصوتية منذ أمد بعيد,و من أبرز ما يشير إلى ذلك ما يلي:

- **<u>نظام الكتابة العربية</u>**:يعد نظام الكتابة في اللغة العربية نظاما راقيا يكاد يسمو إلى المثالي؛ يوافق تماما ما توصل إليه الدرس الصوتي الحديث,و ذلك لمراعاته المبدأ الأساسي رمز

[102] علم الأصوات, كمال بشر, ص122.
[103] المصدر نفسه, ص129.

واحد للوحدة الصوتية الواحدة؛و هذا على مستوى الصوامت والصوائت,و سنوضحه فيمايلي:

أ- **الألفباء و نظام تأليفها:**

وضعه القدامى على براعة دقيقة,و طريقة فريدة, يفوق غيره من الألفباءات الأخرى القديمة و الحديثة في العديد من اللغات,و هو الذي صان اللغة العربية من التعقيد و الخلط والاضطراب بوضعهم رمزا واحدا لكل صوت خاص به و لا يتعداه, فنتج عن ذلك ثمانية وعشرون صوتا صامتا يقابلها ثمانية وعشرون رمزا. كما ميزوا بين الأصوات الصامتة المتشابهة,و وصفها بصفات خاصة بها كالجهر,و الهمس,و الترقيق,و التفخيم لرفع الخلط و اللبس؛ مثل السين و الصاد و الثاء والذال وغيرها.

كما كانت لهم جهود جليلة في تطوير الأبجدية السامية, فهذه التعديلات التي أدخلت عليها تقتضيها حاجة اللغة العربية,و حاجتها للفهم والإفهام."ولا يفوتنا أن نذكر أن لعلماء العربية فضلا في تطوير الألفباء السامية التي أخذت عنها الألفباء العربية. ذلك أن الألفباء السامية كانت تشتمل على اثنين و عشرين رمزا مجموعة في قولهم:(أبجد هوز حطى كلمن سعفصن قرشت)و لاحظ هؤلاء العلماء أن العربية جدت بها أصوات لم تقابل برموز في هذه الألفباء السامية,و هي الثاء و الخاء و الذال و الضاد و الظاء و الغين. ومن ثم وضعوا لها رموزها المعروفة الآن وهي مجموعة في قولهم(ثخذ ضظغ)"[104]

ب- **و ضع العلاماتوالحركات القصار:**

أما الصوائت فلم تكن بعيدة الحظ و الرعاية من الصوامت؛إذ كان لها نصيب جليل في أعمالهم و عكست أسبقيتهم لفهمها و تفطنهم لمعاييرها الرئيسة القياسية؛ فأولها كان على يد أبي الأسود الدؤلي في قصته المشهورة:" خذ المصحف و صبغا يخالف لون المداد, فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه,و إذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله,و إذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف. فإن اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين."[105] فالمتأمل لقول أبي الأسود الدؤلي يجده أشار إلى أهم الأسس

---

[104]التفكير اللغوي بين القديم و الجديد, كمال بشر , ص384-385.
[105]دراسات في علم اللغة, كمال بشر, ص64.

الفسيولوجية التي تتميز بها الحركة حال النطق بها,و كيفية التمييز بين الحركات الأخرى؛ و هي أوضاع شفاه المتكلم.

ثم أتى الخليل بن أحمد الفراهيدي برموز أخرى ابتكرها مخالفة لتلك التي وضعها أبو الأسود الدؤلي و هي مستوحاة من رموز الحركات الطوال,حيث جعل الفتحة ألفا صغير مضطجعة فوق الحرف,و الكسرة ياء صغيرة تحته,و الضمة واوا صغير فوقه, بعدها وجهوا عنايتهم إلى علامات أو رموز ثانوية؛ مثل السكون الذي تدل عليه السين الصغيرة [س] إذا كان شديدا,و رأس الخاء[خ] الذي يدل عليه إذا كان خفيفا,و وضع عين صغيرة [ء] للدلالة على الهمزة,و صاد صغيرة [صـ] فوق الألف للدلالة على همزة الوصل.

ثانيا: المنهج و طريقة البحث.

لقد اتبع العلماء القدامى منهجا سليما صحيحا في البحث الصوتي, ينم عن تفكير دقيق وتبصر ثاقب؛ لأنه جاء خاليا من الافتراضات و المتاهات الفلسفية كالتي مست النحو والصرف, كما يعتبر منهجا علميا بناء على ما يقره الدرس الحديث؛ إذ اعتمد على ملاحظة الظواهر الصوتية, ثم التجريب والاستقراء, و أخيرا بناء النظرية الصوتية و ضبطها."إنهم كانوا سباقين و روادا في تشكيل منهج علمي مقبول, بل على درجة عالية من الجودة,إذا قيس بزمنهم السحيق الذي لم يحظوا فيه بأدوات البحث الصوتي الدقيق و أجهزته الفاعلة.ربما كان عملهم في هذا الميدان قليلا في كمه,و لكنه عميق في كيفه, إذ نجحوا في تفسير مادته و تحليلها و تقعيدها نجاحا يفوق ما سلكوه في معالجة المستويات اللغوية الأخرى."[106]

و ذلك المنهج هو المنهج الوصفي الذي بني على أساس متين يعتبر من أهم الأسس في البحث الصوتي الحديث, حيث يرتكز على الملاحظة الذاتية؛ الناتجة عن التجربة الشخصية,و التي تعتمد على تذوق الأصوات و التأمل فيها؛" فقد كان حظ الأصوات أن نالت طريقة ما يسمى الآن بالملاحظة الذاتية؛و نعني بها استخلاص الحقائق, وتصنيفها,و وضع القواعد الخاصة بها عن طريق التجربة الشخصية أو الانطباع الذهني الناتج عن هذه التجربة. ففي هذه الحالة تكون الملاحظة الذاتية بتذوق الأصوات,و نطقها

[106] علم الأصوات, كمال بشر, ص241.

نطقا فعليا واقعيا,أو الاعتقاد بأن ما يسجله في هذا الشأن إنما هو وصف صحيح,و دقيق لتذوقه,و معاناته.و هذا النهج في دراسة الأصوات نهج سليم.و لم تزل الدراسات الصوتية الحديثة تعد الملاحظة الذاتية بطريق النطق الفعلي,و الاستماع إلى هذا النطق الأداة الأساسية في البحث الصوتي على كل مستوياته,و مراحله."[107]؛ فقد تذوق علماء اللغة القدامى الأصوات,و حددوا مواقعها تحديدا دقيقا,ثم وضعوا طرائق لترتيبها,و بينوا صفاتها,و سموها نسبة إلى مخارجها,و أحيازها.

و نقف في مقامنا هذا موضحينا ذلك بما جاء في مقدمة العين: "هذا ما ألفه الخليل من حروف.... أراد أن تعرف به العرب في أشعارها و أمثالها و مخاطباتها و ألا يشذ عنه شيء من ذلك. فأعمل فكره فيه؛ فلم يمكنه أن يبتدئ بالتأليف من أول أ,ب, ت,ث وهو الألف,لأن الألف حرف معتل, فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة و استقصاء النظر, فدبر, ونظر إلى الحروف كلها؛و ذاقها؛فوجد مخرج الكلام كله من الحلق, فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها إلى الحلق.و إنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف؛ نحو: أب,أت,أث,أح,أع,أغ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق, فجعلها أول الكتاب, ثم ما قرب منها, الأرفع فالأرفع, حتى أتى على آخرها و هو الميم."[108]

فهذا الأثر يعكس فكرة صائبة في البحث العلمي الموضوعي قد يصطلح عليها بالمنهج التجريبي,و يعتبر مبدأ رائدا في الدرس الصوتي حيث مهد السبل للخالفين بعد الخليل, خاصة تلك الإضافات, أوالتعديلات التي أتى بها سيبويه منها؛ وضعه الهمزة في أول الأصوات على أساس أنها أعمق الأصوات نطقا, كما وضع الواو و الياء في مواضعهما الصحيحة باعتبارهما صامتين أي أنصاف حركات.و وضح وظيفتهما الصوتية كونهما أصواتا صامتة,وأصواتا صائته,و ابتكاره لمصطلحات صوتية دقيقة مازالت تتناقل حتى يومنا(كالشديدة والرخوة والجهر والهمس...) كما تناول دراسة الأصوات من وجهات نظر ثلاث؛ هي من حيث الجهر و الهمس,و من حيث مواضع النطق, ومن حيث كيفية مرور الهواء. ثم أتى ابن جني الذي نهج نفس منهج سيبويه,و أحيانا نجده شارحا

---

[107] دراسات في علم اللغة, كمال بشر, ص47.

[108] العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي,ج1,ص6. وانظر:التفكير اللغوي بين القديم والجديد,كمال بشر,ص386.

لأرائه, إلا أنه تفرد بدراسته لجهاز النطق,و مكانيكيته,و وظيفته؛ إذ شبهه بالناي,و يشبه عملية النطق و ما ينتج عنها من أصوات بحركات أصابع اليد على ثقوب الناي. ثم يوضح سر اختلاف الأصوات الخارجة من جهاز النطق بوتر العود وتنوع نغماته.و لم يقتصر الأمر عند هذا الوصف بل تجاوزه ليوضح برسوم بيانية؛و هو دلالة على التقدم في البحث الصوتي,واستيعاب لمادته,و تطور للفكر العربي,و هذا ما فعله السكاكي في كتابه مفتاح العلوم"و لم يقف اهتمامهم بأعضاء النطق بمجرد الإشارة إليها عند وصفهم للأصوات,بل إن واحدا منهم وهو السكاكي هداه فكره,و قادته لمَّاحيته إلى وضع رسم لجهاز النطق في مجمله بصورة متواضعة."[109]

و يرى كمال بشر أن القدامى درسوا الأصوات العربية على مرحلتين هما: دراسة الأصوات دراسة عامة بوصفها أحداثا نطقية فعلية مجردة تعرف بالفوناتيك, ثم درسوها دراسة تركيبية تشكيلية باعتبارها أنماطا صوتية تعرف بالفونولوجيا حديثا. و أدركوا العلاقة القائمة بينهما حيث لا يمكن فصل المرحلتين عن بعضهما البعض "و إنه لمن الطريف حقا أن يسير سيبويه في تصنيف أصواته,و تحليلها على وفق ما تراه معظم المدارس الصوتية المعاصرة. لقد عمد-كما يعمد المعاصرون- إلى دراسة أصوات العربية على مرحلتين. اهتمت أولاهما بدراسة الأصوات على ذلك النهج المعروف لنا الآن باسم الفوناتيك, الذي يعنى في الأساس بدراسة أصوات اللغة بوصفها أحداثا نطقية فعلية.أما ثانيهما فتهتم بدراسة الأصوات على نهج ما يعرف باسم الفونولوجيا؛و هو نهج يعنى في الأساس بالنظر إلى الأصوات بوصفها أنماطا,أو وحدات,أو فونيمات؛أي أنه حين يتناول الباء مثلا يتناولها بوصفها باء لا تاء أو ثاء ....إلخ و معناه أن لكل من هذه الوحدات وظيفتها,و قيمتها في بناء الكلمة وفقا للسياق."[110]

ثالثا:الحقائقالصوتية التي توصلوا إليها.

سلك العرب مناهج,و طرائق يخالها الكثير من وحي الفكر الحديث,و ميزة من مميزات البحث العلمي الموضوعي المعاصر؛و لكنها علامة التميز و التفوق التي يتسم بها الفكر العربي القديم على عصره,و وسائله,و الصعاب التي كانت في طريقه,

[109]علم الأصوات, كمال بشر, ص143.
[110]التفكير اللغوي بين الجديد و القديم, كمال بشر, ص392.

وإثبات لأصالة لغته,و فصاحة لسانه,و إجلال لحضارته.و يتضح هذا من الحقائق الصوتية التي توصلوا إليها و هي:

1-**أصوات الذلاقة و أبنية الكلم العربي:**

أصوات الذلاقة مصطلح أطلقه الخليل على الأصوات التالية: الباء, الميم, الفاء,اللام,الراء,النون؛و هي أخف الأصوات نطقا وأكثرها في الكلام,و أحسنها في البناء,و اهتمام القدامى بها يعكس إدراكهم العميق لقيمها,و دلالتها على خواص اللغة العربية,و تركيبها الصوتي,فقد أقر الخليل أن الحروف الستة تعد معيارا للتعرف على أصالة أبنية معينة من الكلمات,أو توليدها,أو ابتداعها,أو الحكم على عروبتها, أوعدم عروبتها,و هذا ما يؤكده كذلك ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب:" فلما ذلقت الحروف الستة و مذل بهن اللسان و سهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام فليس شيء من أبناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق و الشفوية و لا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب, لأنك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق و الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر."[111]و يؤكد أن هذه الأصوات الستة أكثر ورودا في أبنية الكلمة ذات الأصل الثلاثي؛ أما إذا خلت الكلمة من أصوات الذلاقة؛ فستجد فيها أحد الأصوات التالية: القاف,الدال,السين. فهذه الحقيقة التي أثبتوها لدلالة على فكرهم الوقاد, و إلمامهم بلغتهم,و قدسيتها عندهم.

2-**العلاقة بين الألفاظ والمعاني:**

يقصد بها استغلال الأصوات في الإيحاء بالمعنى ومحاكاته للمواءمة بين الشكل والمضمون حتى يخرج التأليف قويا,و المعنى ناصعا جليا مؤكدا,و قد فصل القول فيها ابن جني حيث ربط بين أجراس الحروف والمعاني المعبر عنها بها, و أشار إلى القيم الصوتية الموسيقية التي تمنحها للكلام,والكيفية التي توصل بها الأفكار المنشودة على مستوى الألفاظ و الكلمات؛" فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب

[111]سر صناعة الإعراب, ابن جني,ج1, ص64-65.

عظيم واسع,و نهج عند عارفيه مأموم.و ذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروفعلى سمت الأحداث المعبر بها عنها, فيعدلونها,و يحتذونها عليها...و من ذلك قولهم: خضم و قضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ و القثاء,و ما كان نحوهما من المأكول الرطب والقضم لقضم اليابس..."[112]وعلى مستوى الجمل و التراكيب مع مراعاة ترتيب الحروف في مواقعها المناسبة دون إغفال ظاهرة التقديم والتأخيرفي النظم الصوتي؛" قد يضيفون إلى اختيار الحروف,وتشبيه أصواتها المسموعة بالأحداث المعبر عنها بها, ترتيبها و تقديم ما يضاهي أول الحديث, و تأخير ما يضاهي آخره,و توسيط ما يضاهي أوسطه, سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود و الغرض المطلوب."[113] فهذه القضية التي أشاروا إليها تعكس أصالة علم الأصوات و أصالة اللغة العربية كما تظهر اجتهادهم في سَنِّ النظم الصوتية التي تُصَدِّرُ عن الفكر العربي القومي المحض.

3-**قضية التلاؤم والتنافر الصوتي**:

تتمثل في استخلاصهم تلك القوانين و القواعد و ضبطها التي تخص التركيب الصوتي للكلام و طرق النظم,والحرص على إظهار فصاحته وبلاغتهو هي قضية مهمة لطالما شغلت ألباب أهل البلاغة, فعقدوا لها أبوابا في كتبهم؛ كالجاحظفي كتابه البيان والتبيين,و المتجلية في تلاؤم الأصوات وامتزاجها ببعضها البعض حتى تحدث وقعا مسموعا ذا تأثير موسيقي في نفس المتلقي,أو تنافرها مما يؤدي إلى فساد الكلام وقبح المعنى.

[112] الخصائص,أبو فتح عثمان بن جني, تحقيق محمد علي النجار, دار الكتب المصرية,الطبعة الثانية, سنة 1952م,ج 2,ص 157-158.
[113] المصدر نفسه, ص162.

المبحث الثاني: أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر

أولا:التعريف بمصطلح الفكر الصوتي عند كمال بشر.

1- **تعريف الفكر لغة:** الفِكْرُ بالكسرة,و بالفتحة الفَكْرُ:إعمال النظر في الشيء,كالفِكرة, والفِكرى بكسرهما, و جمعها أفكار.[114]

فِكْرَ: فَكَرَ,فِكْراً,و فَكْراً,و فَكَّرَ,و أَفْكَرَ ؛و تفكر في الأمر: أعمل الخاطر فيه و تأمله, افتكر في الأمر: فكَّر. و الفِكْر جمعه أفكار؛و هو تردد الخاطر بالتدبر,و التأمل بطلب المعاني.[115]

و قد فكر في الشيء و أفكر فيه و تفكّر بمعنى. و رجل فكّير, و فيْكر: كثير الفكر. التفكر اسم التفكير, و من العرب من يقول الفكر, الفكرة, و الفكرى على فِعْلى وهي قليلة.

قال الجوهري: التفكر التأمل, و الاسم الفِكر و الفكرة,و المصدر الفَكر بالفتح.

و قال يعقوب:ليس في هذا الأمر فِكْرٌ أي ليس لي فيه حاجة؛ قال: و الفتح فيه أفصح من الكسر.[116]

و من هذه التعاريف نخلص إلى تعريف الفِكْر: و هو إعمال النظر والتأمل في الشيء.

2- **تعريفهاصطلاحا:**

نقصد به دراسة الخطوط العريضة,و الرئيسة التي تبين الحدود و الأبعاد, و تحدد المناهج,و أساليب التحليل,و طرق عرض الأفكار التي سار عليها البحث الصوتي على يد كمال بشر,و التي ساهمت في إثراء إنتاج صوتي,و فكري حديث,و يكون هذا من خلال الآثار المؤلفة الموضوعة بين أيدينا,و تحديدا هذه المدونة المتمثلة في الكتب التالية:

- **علم الأصوات.**

---

[114]القاموس المحيط,,الفيروز أبادي,تحقيق مكتبة تحقيق التراث,مؤسسة الرسالة, بيروت,لبنان,الطبعة الثامنة,2005م ص 458مادة (فكر).
[115]المنجد في اللغة و الأعلام,دار المشرق, بيروت,لبنان ,الطبعة الخامسة و العشرون,ص 591 مادة (فكر).
[116]لسان العرب, ابن منظور,م5, ج37, ص3451 مادة (فكر).

- **التفكير اللغوي بين القديم و الجديد.**
- **فن الكلام.**
- **دراسات في علم اللغة.**
- **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم.**

ثانيا: أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر.

الفكر الصوتي الذي يتمتع به كمال بشر؛هو همزة وصل بين الماضي الذي يمثل الحضارة و التراث,و بين الحاضر الذي يمثل التعطش للماضي,و منحه حقه في زخم التطور الحديث و التسابق العلمي؛و يعزى هذا إلى الأسس التي اعتمد عليها,و هي:

1- المصدر

انطلق كمال بشر من التراث العربي العريق الذي يعتبر القاعدة الأساسية التي أسس منها جهوده الصوتية؛ إذ لم يكن مرجعيته فحسب, بل كان شغله الشاغل,و صميم بحثه؛ فهو يسعى إلى إثبات أصالته,و تصحيح ما فيه من خلط,و اضطراب,و رصد مواطن التطور الصوتي,و حقباته,و ركوده,و التغيرات التي لحقته. كما يهدف إلى تبين جهود العلماء القدامى في مسار البحث العلمي المعاصر,و إحقاقهم مكانة بارزة في الدرس اللساني؛" كانت هذه الوقفات الخاصة منا للكشف عن جهود هؤلاء القوم في الدرس الصوتي,و لبيان موقعهم في صفوف العاملين في هذا الحقل حتى يتبين لنا الرشد من الغي في الحكم عليهم و على ما خلفوه لنا من تراث ضخم عميق."[117].

أما المرجعية الثانية الثانوية؛ تمثلها آراء بعض الجهود الغربية التي خلفت لمسات جليلة في الدرس الصوتي الحديث,و الذين درس على أيديهم؛ أمثال دنيال جونز,و فيرث.

2- **المنهج وطرائق البحث**

اعتمد كمال بشر المنهج الوصفي في دراسة الظاهرة الصوتية مستعينا بما توصل إليه العلم الحديث,و ما قدمته الوسائل الصوتية والمخابر,ثم عمد إلى المنهج المقارن؛

---

[117]علم الأصوات, كمال بشر ,ص 241.

ليقارن ما توصل إليه بالمعطيات الصوتية التي قدمها القدامى؛و كان هذا بالطرائق التي ينص عليها البحث العلمي المعاصر,الذي يوجب منهج البحث الالتزام بمبدأين مهمين متلازمين:

- أولهما:تحديد المستوى اللغوي الخاضعة أصواته للبحث والدراسة.
- ثانيهما:تحديد البيئة اللغوية صاحبة المستوى المختار,و تحديد الفترة الزمنية لهذا المستوى.

فالمستوى اللغوي الخاضعة أصواته للدراسة هنا يتمثل في اللغة العربية الفصيحة الصحيحة, دون الدخول في متاهات اللهجات و أخلاطها المتعددة في القديم والحديث.

و أما بالنسبة لتحديد البيئة وتحديد الفترة الزمنيةفهي اللغة العربية الفصيحة كما ينطقها المتخصصون فيها,و مجيدو قراءة القرآن الكريم في جمهورية مصر العربية في يومنا هذا, أما طبيعة الدراسة الصوتية, فهي تعتمد على مرحلتين متتاليتين مهمتين ممهدتين لبعضهما البعض؛و لا يمكن الفصل بينهما بتاتا هما الجانب الفونيتيكي ثم الفونولوجي "أما عملنا في هذا الكتاب فقد قصدنا به الكشف عن أصوات اللغة وطبيعتها و بيان خواصها, آخذين في الحسبان جانبيها الفوناتيكي والفونولوجي معا؛ إذ ليس من منهجنا الفصل بينهما فصلا تاما أو ما يشبه أن يكون كذلك. ذلك أن أيا من الجانبين لا قيمة له ولا فائدة معهإلا بالعود إلى قبيله للاسترشاد بمادته وخصائصه."[118] ثم انتقل إلى المنهج أوالأسلوب المتبع في دراسة الصوت اللغوي العربي,و وصفه مع رصد صفاته وتنوعاته بناء على معايير قياسية, فوصف كل صوت لغوي وصفا دقيقا يميزه عن غيره,ثم صنفه التصنيف المتفق عليه؛ الصوامت والصوائت.

فمن دراسته الدراسة المجردة إلى دراسته الدراسة التركيبية؛أي داخل السياق المعين في اللغة المعينة؛ باعتبار الأصوات اللغوية أنماطا صوتية مستقلة يظهر نشاطها داخل المقطع الذي يشكل بنية النسيج اللغوي, ثم الانتقال إلى دراسة الظواهر الصوتية -

[118] علم الأصوات,كمال بشر, ص121.

النبر,و التنغيم,و الفواصل-التي تلازم البناء اللغوي خلال تأدية الفعل الكلامي,و أثرها على صحة بنائه.

3- معايير تصنيف الأصوات "معيارية الصوت اللغوي".

يعرف كمال بشر الصوت اللغوي:" هو أثر سمعي يصدر طواعية, و اختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق,و الملاحظ أن هذا الأثر يظهر في ذبذبات معدلة,و موائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة,و يتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة,أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضا,و معنى ذلك أن المتكلم لابد أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على الأصوات اللغوية."[119] فالصوت اللغوي عنده؛هو دليل منطوق ينتجه المتكلم بجهد معين في صورة ذبذبات هوائية تستقبلها الأذن.

و هذا يعني أن الصوت اللغوي يدرس من جوانب عديدة و متنوعة؛ فهو غير محصور في جهاز النطق فقط, بل يمكن أن يدرس من الجانب الفيسيولوجي النطقي,أو الجانب السمعي,أو الجانب الفيزيائي, كما يمكن أن يدرس من الجانب النفسي للمتكلم.

و الصوت اللغوي كما هو معلوم صامت,أو صائت؛ فالصوت الصامت هو:"الصوت المجهور,أو المهموس الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض,أو عائق في مجرى الهواء في الفم سواء أكان الاعتراض كاملا كما في نطق صوت الدال,أو كان الاعتراض جزئيا من شأنه أن يسمح بمرور الهواء,و لكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع كالدال, ويدخل في الأصوات التي لا يمر الهواء في أثناء النطق بها من الفم,و إنما يمر من الأنف كالنون و الميم,و كذلك الأصوات التي ينحرف هواؤها فلا يخرج من وسط الفم,و إنما يخرج من جانبيه,أو أحدهما."[120] و منه نرى أن كمال بشر حصر مفهومه بمايلي:

- الجهر و الهمس:الصوت الصامت منه ما هو مهموس,و ما هو مجهور؛فكل صوت غير مجهور فهو صوت صامت,وكل صوت غير مهموس فهو صامت أو صائت.

---

[119] علم الأصوات, كمال بشر, ص119.
[120] المصدر نفسه, ص151.

و هناك ما ليس بالمجهور و لا بالمهموس؛و هو الهمزة في اللغة العربية فقط.

- العارض أو العائق: أبرز ما يميزه عن غيره,و يبين حدوده؛هو اعتراض العارض للهواءفي مجراه,أو وجود عائق له,و هذا هو الذي يكسب صفة التمايز,و الاختلاف للأصوات فيما بينها؛فينتج الشديد,و الرخو,و المركب,و المتوسط أو البيني.
- منفذ الهواء:الصوت الصامت يمر الهواء حال النطق به من الفم,و إن تعذر فيمر من الأنف.

و يرى كمال بشر أن هذا هو المفهوم الصحيح للصوت الصامت,أما التعريف الموضوع له عند بعض اللغويين القدامى و المحدثين:هو الصوت الذي لا يمكن نطقه دون حركة, فهو تعريف غير دقيق.

الصوت الصائت هو:"الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء النطق به أن يمر الهواء حرا طليقا خلال الحلق و الفم, دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل,و دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا."[121] فالصوائت أو الحركات تتميز بسمات خاصة تتجلى في ما يلي:

- حرية مرور الهواء: فلا وجود لعارض,أو عائق في مجرى الهواء حال النطق بها, أوضيق.
- صفة الجهر: الصوائت كلها مجهور؛ فلا وجود لصوائت مهموسة.
- قوة الوضوح السمعي: تتميز الصوائت بشدة وضوحها في السمع مقارنة بالأصوات الأخرى,و تحمل درجة الصوت حيث يمكن التغني بها,و إطالتها في الكلام.
- نواة المقطع:لا يخلو مقطع من حركة؛ فهي أساسه.

كما تنفرد بمعايير تخالف بها الصوامت حال النطق بها,و تتمثل في وضع اللسان أثناء النطق بالحركة المعينة,و النظر إلى وضع الشفاه من حيث الانفتاح,و الانفراج, والانضمام؛و هي على النحو التالي:

[121] فن الكلام, كمال بشر,دار غريب, القاهرة,سنة 2003م, ص198.

الفتحة:عند النطق بالفتحة(دون النظر إلى ترقيقها أو تفخيمها) يكاد يكون اللسان مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه, وتكون الشفاه في وضع محايد غير منفرجتين, أو مضمومتين.

الكسرة:يرتفع مقدم اللسان حال النطق بالكسرة تجاه الحنك الأعلى, بحيث يسمح للهواء بالخروج,دون إحداث حفيف مسموع, وتكون الشفتان حال النطق بهذه الحركة منفرجتين انفراجا خفيفا.

الضمة:يرتفع مؤخر اللسان حال النطق بالضمة تجاه الحنك الأعلى,بحيث يسمح للهواء بالمرور دون إحداث حفيف مسموع, وتكون الشفاه حال النطق بها مضمومة.[122]

و هذا الوصف نفسه ينطبق على الحركات الطويلة؛ **الألف, والواو,والياء** مع مراعاة فارقواحد وهو الطول.

أما تصنيف الأصوات اللغوية؛ فتم بناء على معايير عالمية متفق عليها في الدرس اللغوي الحديث,و معايير عربية مستوحاة من التراث؛و المتمثلة في الأصناف الثلاثة التالية؛ كيفية مرور الهواء,و وضع الأوتار الصوتية,و المخارج و الأحياز؛و انطلاقا من هذه الأصناف يقف على التنوعات الصوتية التي تصيب الصوت اللغوي في السلسة الكلامية نظرا لطبيعة التركيب الوارد فيه.

التقسيم الأول: وضع الأوتار الصوتية

تقسم الأصوات الصامتة إلى مجهورة، ومهموسة،وانفجارية.

الصوت المهموس:هو "الصوت الذي لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به."[123]

والأصوات المهموسة في اللغة العربية هي: ت،ث،ح،خ،س،ش،ص،ط،ف،ق،ك،هـ.

الصوت المجهور:هو "الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به"[124]

---

[122]فن الكلام, كمال بشر, ص 226.
[123]علم الأصوات، كمال بشر،ص 174.
[124]المصدر نفسه,ص 174.

والأصوات الصامتة المجهورة في اللغة العربية هي: ب،ج،د،ذ،ر،ز،ض،ظ، ع،غ،ل،م، ن،الواو، الياء.

الصوت الانفجاري:هو الصوت الذي يحدث نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان محبوسا حال الإطباق التام للأوتار الصوتية؛و يشخص ذلك كمال بشر قائلا:"ينطبق الوتران انطباقا تاما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الإطباق,و من ثم ينقطع النفس,ثم يحدث أن ينفرج هذان الوتران, فيخرج صوت انفجاري."[125] و هذا الصوت هو همزة القطع؛ فهمزة القطع في العربية صوت صامت لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور.

التقسيم الثاني: من حيث المخارج و الأحياز

1- أصوات شفوية: هي الباء، و الميم،و كثيرا ما يشار إلى الواو.
2- أصوات أسنانية شفوية:هي الفاء.
3- أصوات أسنانية أو أصوات ما بين الأسنان: وهي الثاء، والذال، والظاء.
4- أصوات أسنانية لثوية: وهي التاء، والدال،و الضاء،و الطاء،و اللام،و النون.
5- لثوية:وهي الراء،و الزاي،و السين،و الصاد.
6- أصوات لثوية حنكية: وهي الجيم،و الشين.
7- أصوات وسط الحنك:وهي الياء.
8- أصوات أقصى الحنك: وهي الخاء،و الغين،و الكاف،و الواو.
9- أصوات لهوية:وهي القاف.
10- أصوات حلقية:وهي العين،و الحاء.
11- أصوات حنجرية:وهي الهمزة،و الهاء[126].

- يرى كمال بشر أن مخرج الياء من وسط الحنك,و مخرج الواو من أقصاه؛ وهما المخرجان الدقيقان لهما؛ بينما بعض المحدثين يرون مخرج الياء من مخرج الجيم والشين,أما الواو فمخرجها شفوي.و يوضح ذلك فيقول:"الواو: تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمة بسرعة إلى حركة أخرى,و تضم الشفتان,و يسد الطريق

[125] علم الأصوات,كمال بشر، ص175.
[126] انظر:المصدر نفسه, ص183-185.

إلى الأنف برفع الحنك اللين,و يتذبذب الوتران الصوتيان.و يمكن وصفه بأنه شفوي كذلك,حيث إن الشفتين تنضمان عند النطق به.

الياء:تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق نوع من الكسرة,تاركة هذا الوضع إلى حركة أخرى بسرعة ملحوظة.و يتجه أوسط اللسان نحو وسط الحنك,و تنفرج الشفتان,و يسد الطريق إلى الأنف,و تتذبذب الأوتار الصوتية."[127]

التقسيم الثالث: من حيث مرور الهواء.

قسم كمال بشر الأصوات الصامتة باعتبار كيفية مرور الهواء إلى المجموعات الآتية:

1-الوقفات الانفجارية Plosive stops:تنعت بهذا الاسم؛لأن الهواء يقف وقفا تاما في أحد مواضع النطق,ثم يأخذ مجراه مصدرا صوتا يشبه الانفجار؛أي" تحدث بحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع وينتج عن هذا الحبس أوالوقف أن يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا."[128] و هي التي اصطلح عليها القدامى الأصوات الشديدة؛ فالأصوت الانفجارية-الشديدة-هي انحباس مضغوط للهواء عند مخرج محدد جراء تقارب في عضو من أعضاء جهاز النطق,ثم يحدث تسرب هوائي فجأة. مما يؤدي به للانفجار.وهي الهمزة،والقاف،والكاف،والدال والضاد، والتاء، والطاء، والباء؛وهي ثمانية.

2-الأصوات الاحتكاكيةFricatives:هي الأصوات التي يتسرب فيها الهواء حال النطق بها مصدرا احتكاكا؛أو هي التي"يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع,و يمر من خلال منفذ ضيق نسبيا يحدث في خروجه احتكاكا مسموعا."[129] وهي ما اصطلح عليها القدامى الأصوات الرخوة؛ فالأصوات الاحتكاكية-الرخوة- تتميز بضيق في مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من مواضع النطق,فيحدث احتكاكا مسموعا, و هنا يتجلى الفرق بين الشدة والرخاوة؛بمعنى الاختلاف الجلي في كيفية مرور الهواء. وهي الهاء,و العين,و الحاء, والغين,و الخاء,و الشين,و الصاد, والسين,و الزاي,و الظاء,و الذال,و الثاء,و الفاء؛ وهي ثلاثة عشر.

[127] علم الأصوات, كمال بشر, ص369.
[128] المصدر نفسه, ص247.
[129] المصدر السابق, ص297.

3-الأصوات الوقفية و الاحتكاكيةAffricates:و المشهور تسميتها بالأصوات المركبة؛ "لأنها تتركب من صوتين متلازمين لا فصل بينهما؛ حيث يحدث في تكوينه أن يتبع إطلاق الوقفة مباشرة بالاحتكاكي المقابل له في موقعه."[130] فالصوت المركب مكون من وقفة-شديد- متبوعة بصوت احتكاكي-رخو- من موقع واحد؛أي أن انفصال أعضاء النطق المساهمة في ضغط الهواء المار من الرئتين لا يكون انفصالا مفاجئا مؤديا للانفجار,بل يتم الانفصال ببطء فيحتك الهواء بالأعضاء المتباعدة فيحدث احتكاكا. وهي في العربية صوت واحد وهو الجيم.

4-الأصوات البينيةVowel-Like Consonant:و تجمعها كلمة لم نر وهي؛

أ- أصوات المكرارRolled: يصدر هذا الصوت "بتكرار ضربات اللسان على مؤخر اللثة تكرارا سريعا حيث يكون مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين ,و تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به."[131] وهي في العربية صوت الراء فقط.

ب-الأصوات الجانبيةLateral: هي التي يمر الهواء الخارج من الرئتين حال النطق بها من جانبي الفم لوجود عقبة فيه تمنع مرور الهواء,فينفذ من الجانب.[132] وهو في العربية صوت اللام وحده.

ج- الأصوات الأنفيةNasals: سميت كذلك لأن الهواء عند النطق بها يخرج من الأنف, حيث "يحبس الهواء حبسا تاما في موضع من الفم و يخفض الحنك اللين فينفذ الهواء عن طريق الأنف."[133] و في اللغة العربية صوتان هما الميم والنون.

5- أنصاف الحركاتSemi vowels:تتخذ أعضاء النطق أثناء النطق بها موضع الحركة ثم تنتقل بسرعة لموضع حركة أخرى مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية.[134]وهي في العربية صوتان هما الواو، و الياء في نحو وعد، يعد.

الأصوات العربية حسب التقسيمات الثلاثة:

1-الباء: صوت شفوي وقفة انفجارية مجهور.

[130] علم الأصوات, كمال بشر, ص 310.
[131] المصدر نفسه, ص345-346.
[132] انظر: المصدر السابق, ص 347.
[133] علم الأصوات,كمال بشر, ص 348.
[134] انظر: المصدر نفسه, ص369.

2-التاء: صوت أسناني لثوي وقفة انفجارية مهموس.

3-الدال: صوت أسناني لثوي وقفة انفجارية مجهور.

4-الطاء:صوت أسناني لثوي وقفة انفجارية مهموس مفخم(مطبق).

5-الضاد:صوت أسناني لثوي وقفة انفجارية مجهور مفخم(مطبق).

6-القاف:صوت لهوي وقفة انفجارية مهموس.

7-همزة القطع: صوت حنجري وقفة انفجارية لا هو بالمهموس ولا بالمجهور.

8-الكاف:صوت حنكي قصي وقفة انفجارية مهموس.

9-الفاء:صوت أسناني شفوي احتكاكي مهموس.

10- الثاء:صوت مما بين الأسنان احتكاكي مهموس.

11- الذال:صوت مما بين الأسنان احتكاكي مجهور.

12- الظاء: صوت مما بين الأسنان احتكاكي مجهور مفخم (مطبق).

13- السين: صوت لثوي احتكاكي مهموس.

14- الزاي:صوت لثوي احتكاكي مجهور.

15- الصاد:صوت لثوي احتكاكي مهموس مفخم (مطبق).

16- الشين: صوت لثوي حنكي احتكاكي مهموس.

17- الخاء: صوت من أقصى الحنك احتكاكي مهموس.

18- الغين: صوت من أقصى الحنك احتكاكي مجهور.

19- الحاء: صوت حلقي احتكاكي مهموس.

20- العين:صوت حلقي احتكاكي مجهور.

21- الهاء:صوت حنجري احتكاكي مهموس.

22- الجيم: صوت لثوي حنكي مركب(وقفة_احتكاكية) مجهور.

23- الراء:صوت لثوي مكرر مجهور.

24- اللام:صوت أسناني لثوي جانبي مجهور.

25- الميم:صوت شفوي أنفي مجهور.

26- النون:صوت أسناني لثوي أنفي مجهور.

27- الواو:صوت صامت(أو نصف حركة) من أقصى الحنك مجهور.

28- الياء:صوت صامت (أو نصف حركة) حنكي وسيط مجهور.

4-بعض القضايا الصوتية التي قدمها كمال بشر.

- **الهمزة:**

يرى كمال بشر أن الهمزة صوت حنجري, وقفة انفجارية (شديدة)؛لا هي مهموسة و لا هي مجهورة؛ لأن الأوتار الصوتية حال النطق بها لا تسمح بوجود الجهر والهمس, لانطباقهما التام,فلا يسمح للهواء بالمرور,و في هذه الحالة يكون مضغوطا, بعدها فجأة يخرج محدثا انفجارامسموعا.و هو الرأي الراجح؛و هناك بعض المحدثين -كتمام حسان و عبد الرحمان أيوب-يرون الهمزة صوت مهموس؛لأنهما ركزا على ذبذبة الأوتار الصوتية,و أغفلا مرحلة انقطاع النفس و كيفية خروجه.

- **الواو والياء:**

أطلق عليهما اسم أنصاف الحركات؛لأنهما من جانب النطق الصرف يقتربان من الحركات,و لكنهما في التركيب الصوتي للغة يسلكان مسلك الأصوات الصامتة, "ومن هنا كانت تسميتهما بأنصاف الحركات,و يجوز تسميتهما بأنصاف الصوامت, ولكن المصطلح الأول هو المشهور."[135]؛ فهما صوتان صامتان وظيفيا, ولكنهما يشبهان الحركات نطقا. فتسميتها بأنصاف الحركات أولى و أصح من أشباه الحركات.

فالواو و الياء حركتان خالصتان في النطق و الوظيفة في مثل كلمة أدعو,و أرمي. وصوتان صامتان في مثل كلمة وعد, يترك, بيت, حوض؛و يؤديان نفس الوظائف التي تؤديها بقية الصوامت الأخرى في التفريق بين المعاني,و الذي يميزهما عن الصوائت الأمارت التالية:

- وقوعهما متلوين بحركتين أو ساكنين بعد فتح مثل: يَوْم- بَيْت.
- يلحق بهما التضعيف.
- وقوعهما في بداية الكلمة مثل: وجد- يجد و يوضح هذا قائلا: "لأن الكلمة العربية لا تبدأ بحركة بحال من الأحوال هذا من جهة,و من جهة أخرى حسبانهما حركتين يعني وجود

[135] علم الأصوات, كمال بشر, ص368.

حركتين متتابعتين بلا فاصل الواو أو الياء+ الفتحة و هذا نسق يستحيل وقوعه في اللغة العربية."[136]

و يرفض كمال بشر القول القائل بأن الواو والياء هي حركات مركبة؛ إذ يعد خروجا عن خصائص اللغة العربية خاصة عندما تقع في مثل كلمة حَوض و كلمة بَيت؛فهما ليستا وحدة واحدة و إنما وحدتان مستقلتان؛ هما الفتحة و الواو (حَوْض) و الفتحة و الياء(بَيْت).

- **همزة الوصل:**

ليست وحدة صوتية,و ليست عنصرا من عناصر بناء الكلمة إنها ليست من الأصوات الصامتة,و لا من الحركات,و إنما هي مجرد وسيلة صوتية يتوصل بها إلى النطقبالساكن في أول الكلمة؛و هي ظاهرة صوتية ذات وظائف و خواص محددة بواقعها في الكلم العربي و في كيفيات نطقها, فهمزة الوصل " تنطق في بدء الكلام وتسقط في درجه, أي لا تنطق في وصل الكلام و ليس هذا فحسب فمواقعها محدودة محصورة: إنها لا توجد البته إلا في أول الكلمات,و في أول كلمات من أنماط صرفية معينة."[137]ويرى كمال بشر بأن هناك تسمّح كبير في تسميتها بهمزة الوصل و قد يعزى السبب حسب وجهة نظرنا إلى قيمتها الصوتية, وخلط عوام الناس بينها وبين همزة القطع و مضارعتها بها. أما رمزها الكتابي فهو الألف(ا) أي دون أية علامة, مع جواز وضع صاد صغيرة للدلالة على خاصيتها الصوتية.

- **السكون:**

الظاهرة الصوتية التي تعددت فيها الآراء عند القدامى و المحدثين"إن السكون لا يتلفظ به و لا وجود له من الناحية النطقية الفعلية, أو هو- من جهة نظر معينة- عدم الصوت, أي عدم الحركة."[138]فالسكون ليس صوتا لغويا فلا ينتمي إلى الصوامت ولا إلى الصوائت؛ علامته المميزة (ـْـ) له دلالات متعددة في اللغة العربية؛ فهو يدل على الوقف, وعلى الإعراب جزم الكلمة, و يشير إلى خفة النطق و الاستراحة.فهو يعد ظاهرة أوعنصرا له قيمة تقارن بقيمة الحركات من خلال الوظائف التي يؤديها داخل نظام اللغة؛

---

[136]علم الأصوات, كمال بشر, ص 373.

[137]فن الكلام, كمال بشر, ص223.

[138]دراسات في علم اللغة, كمال بشر,ص 179.و انظر: اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم,كمال بشر,دار غريب, القاهرة,,ص172.

و التي تتمثل في الإشارة لعدم وجود الحركة, كما له وظيفة في التركيب المقطعي في اللغة العربية فهو يميز نهاية المقطع المنتهي بحرف خال من الحركات الثلاث مثل المقطع المتوسط (ص+ح+ص),وله وظيفة موسيقية في نهاية الكلمات والجمل تتجلى في الوقف؛والوقف يستلزم مقطعا استثنائيا يستحدث في اللغة العربية وهو (ص+ح+ح+ص), و له دور موسيقي آخر يتمثل في الإيقاع العروضي ونظام التفعيلات فهي مبنية على أساس الحركة و السكون فهو وحدة رئيسة من وحداتها, كما يمنح صبغة التنوع في المقاطع في بعض الصيغ و الكلمات مثل:نَهْرٌ / نَهَرٌ. فرغم هذه الوظائف التي يؤديها إلا أنه لا يمكن الحكم عليه بأنه حركة أو وحدة صوتية؛" لم نستطع الحكم على السكون بأنه وحدة صوتية تقف على قدم المساواة مع وحدات الحركات الأخرى في كل خواصها وصفاتها."[139] فالسكون ليس فونيما ولكنه وحدة هامشية ثانوية ليس جزءا من التركيب الصوتي؛" السكون خارج التركيب مجرد ظاهرة خارجية ترتبط بالتركيب وتميزه ولكنها ليست جزءا من بنائه ومن ثم لا يمكن إفرادها أو عزلها."[140]

[139]دراسات في علم اللغة,كمال بشر,ص 209.
[140]المصدر نفسه, نفس ص.و انظر: اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم,كمال بشر,ص172-173

المبحث الثالث:القضايا الخلافية بين كمال بشر و اللغويين القدامى.

أولا: في الصوت اللغوي.

1- القضية الأولى: في المصطلح "الحروف – الأصواتالصوامت"

استعمل القدامى مصطلح الحرف,أما كمال بشر فاستعمل مصطلح الصوت الصامت,و يقول في ذلك:"فالأصوات الصامتة يطلقون عليها الحروف."[141]؛ والحرف: "الطرف و الجانب,و به يسمى الحرف من حروف الهجاء,و يقول الجوهري: حرف كل شيء طرفه,و شفيره,و حده,و منه حرف الجبل و هو أعلاه المحدد."[142] وحرف الصوت كما يفهم من كلام اللغويين العرب القدامى هو: حد الصوت وانقطاعه ونهايته,و يقول ابن جني:" سميت حروف المعجم حروفا, وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت و غايته وطرفه, كحرف الجبل ونحوه, و يجوز أن تكون سميت حروفا لأنها جهات للكلم ونواح, كحروف الشيء وجهاته المحدقة به."[143] فالحرف تحديد للصوت وتمييزه عن غيره من الأصوات,فالحرف خاص والصوت عام؛" أما الصوت فهو عام غير مختص يقال سمعت صوت الرجل, وصوت الحمار."[144]

ومصطلح الحرف في تواضع اللغويين العرب المعاصرين، هو رمز الصوت و صورته, ومع هذا يفصل اللغويون المعاصرون بين الحرف و الصوت إذ يقول تمام حسان:"والفرق بين الصوت وبين الحرف هو فرق بين العمل والنظر,أو بين المثال و الباب,أو بين أحد المفردات و القسم الذي يقع فيه,فالصوت عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس وعلى الأخص حاستي السمع والبصر. يؤديه الجهاز النطقي حركة, وتسمعه الأذن, وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه, أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين, فهو فكرة عقلية؛ لا عملية عضلية و إذا كان الصوت مما يوجده المتكلم فإن الحرف مما يوجده الباحث."[145]

---

[141] علم الأصوات, كمال بشر, ص153.
[142] لسان العرب,ابن منظور,م 2,ج9,ص 837مادة(حرف).
[143] سر صناعة الإعراب, ابن جني, ج1,ص 16.
[144] المصدر نفسه, ص 10.
[145] اللغة بين المعيارية والوصفية, تمام حسان,ص 129.

فالحرف صورة ذهنية وفكرة عقلية للصوت المنطوق؛لذلك أطلق عليه كمال بشر مصطلح الصوت؛و الأصوات الصامتة خصها بهذا المصطلح؛ لأنها أفضل من مصطلح السواكن؛فهذا الأخير قد يؤدي إلى اللبس,ويفهم منه الحرف المشكل بالسكون.

ذلك"أن النظرة الحديثة تتلافى الخلط بين الأصوات والحروف و نؤكد على ضرورة التفريق بين الصوت والحرف, فالصوت مصطلح يشير إلى وحدة صوتية في الكلام كما يرد في الاستعمال اليومي بينما يقتصر استعمال الحرف على الشكل المكتوب في الأبجدية."[146]

و رغم ذلك نقف على فريق آخر من اللغويين المعاصرين يرفض هذه الآراء,و يرون أن التفريق الحاد بين مصطلح الحرف ومصطلح الصوت لا مبرر له.

2- القضية الثانية: المفاضلة بين الأصوات.

اهتم اللغويون القدامى بالحروف-الأصوات الصامتة- اهتماما بالغا دون الحركات,و هذا لا يعني أنهم أهملوها,لا,بل درسوها,و أدركوا خواصها,و بينوا الفرق بينها و بين الصوامت إلا أنهم فضلوا الصوامت على الصوائت"هذه الحروف هي التي أولوها عناية خاصة, ووجهوا إليها معظم جهودهم و بحوثهم الصوتية؛فهي التي أخضعوها للتصنيف دون الحركات,وهي التي نظروا فيها نظرا جادا من حيث مخارجها,و صفاتها المختلفة."[147] أما كمال بشر فيرى أن الحركات تشارك الصوامت في القيمة و البناء؛ بل الحركات أهم من الصوامت –فلا مفاضلة بينهما- و مسألة المفاضلة بين الأصوات يرفضها العلم الحديث.

3- القضية الثالثة:في عدد الحروف أو الصوامت.

عدد الحروف عند القدامى تسعة وعشرون حرفا و هي:الهمزة,والألف,والهاء, والعين, والحاء,والغين,والخاء,والكاف,والقاف,والضاد,والجيم,والشين,والياء, واللام,

[146]مدخل إلى الصوتيات, محمد إسحاق العناني, ص 98-99.
[147]علم الأصوات, كمال بشر, ص153.

الـراء,والنـون,والطـاء,والـدال,والتـاء,والصـاد,والـزاي,والسـين,و الظـاء, والـذال,والثـاء, والفاء,والباء,والميم,والواو.

أمـا عنـد كمـال بشـر فهـي ثمانيـة وعشـرون حرفـا وهـي:همـزة القطـع، ب،ت،ث،ج،ح، خ،د،ذ،ر، ز،س ،ش،ص، ض،ط،ظ،ع،غ،ف،ق،ك،ل،م،ن،هـ،و،ي.

ومما تقدم ذكره يتجلى الخلاف فـي الألـف,إذ عده القدامى فـي عداد الحـروف, بينمـا كمـال بشـر يعده فـي عداد الحركـات,و هو فتحـة طويلـة؛ و يشير فـي هذا المقـام إبـراهيم أنـيس قائلا:" ومقتضى هذا أنه ما كـان يصـح فـي تعداد أصـوات الحلـق أن نـذكر الهمـزة والألـف معا, بل كان من الواجب الاكتفاء بكلمة(الهمزة) التي هي رمز الصوت."[148]

4- القضية الرابعة: في موضع بدء ترتيب مخارج الحروف

رتـب القـدامى مخـارج الأصـوات ترتيبـا تصـاعديا بـدءا مـن أقصـى الحلـق حتى الشفتين, بينما كمال بشر يبتدئ من الشفتين راجعا إلى الخلف حتى الحنجرة.

5- القضية الخامسة: في عدد مخارج الحروف

اختلف القدامى في عدد المخارج, فعدها الخليل ثمانية أحياز وهي:

1- الحروف الحلقية: ء, هـ, ا , ع, ح, غ, خ.
2- الحروف اللهوية: ق, ك.
3- الحروف الشجرية: ج, ش, ض, ي.
4- الحروف الذولقية: ر, ل, ن.
5- الحروف الأسلية: ص, س, ز.
6- الحروف النطعية: ط, د ,ت .
7- الحروف اللثوية: ظ, ذ, ث .
8- الحروف الشفوية: ف, ب, م, و.[149]

[148] الأصوات اللغوية, إبراهيم أنيس, ص 95.
[149] كتاب العين, الخليل,عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ تحقيق د مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي, دار و مكتبة الهلال, ج1, ص57-58.

وهناك من قال أربعة عشر مخرجا ومنهم الجرمي[150], والفراء, و ابن دريد,و هناك من جعلها سبعة عشر,إلا أن الشائع ما وضعه سيبويه ستة عشر مخرجا؛ وهذا مذهب مشاهير النحاة,و ابن جني إذ يقول في ذلك:" فهذا ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خلط و اضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا, مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه, وهو الصواب الذي يشهد التأمل بصحته."[151]

يرى كمال بشر أن هناك تجاوزا في ترتيب المخارج الذي و ضعه الخليل.و الترتيب الصحيح هو الذي وضعه سيبويه,و لكنه يؤثر ترتيب ابن جني لما فيه من دقة[152].

و عدد المخارج عند كمال بشر أحد عشر مخرجا[153].

6- **القضية السادسة: الاختلاف في مخارج الحروف و صفاتها.**

الملاحظ للخلاف الوارد في الأصوات العربية بين القدامى,و كمال بشر يدرك أنه خلاف طفيف يمكن غض الطرف عنه؛ ما عدا الخلاف الحاصل في صوت الألف. ولكن تتسع هوته,و يتضح فيها البون أكثر مع الأصوات الستة؛و هي: الهمزة, الضاد, الطاء, الجيم, القاف, العين.

1- **الهمزة**: عند القدامى يعتري وصفها الخلط والاضطراب, ويتجلى الخلاف في موضع النطق؛حيث تخرج من أقصى الحلق,وتتصف بالجهر, أما عند كمال بشر فمخرجها الحنجرة, ومن حيث الصفة ليست مجهورة ,وليست مهموسة.
فهمزة القطع: صوت حنجري وقفة انفجارية(شديد) لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور.

2- **الضاد:**هي النظير المجهور للطاء,فلا فرق بينهما إلا أن الطاء صوت مهموس,و الضاد صوت مجهور,و هي النظير المفخم(المطبق) للدال؛فلا فرق بين الدال و الضاد, إلا أن الضاد صوت مفخم و الدال لا إطباق فيه.
فالضاد صوت أسناني لثوي وقفة انفجارية(شديد) مجهور مفخم(مطبق).

[150]انظر: الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة, أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي, ص 243.
[151]سر صناعة الإعراب, ابن جني, ج1, ص50-51.
[152]انظر: ص 16 من هذا البحث.
[153]انظر: ص 58. من هذا البحث.

وهذا الوصف يختلف عما ذكره القدامى في أمرين هما:من حيث موضع النطق, وكيفية مرور الهواء,إذ يقول ابن جني:" من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر."[154] أي بتعبير حديث حنكية, فالضاد الحالية تخرج من نقطة الدال والتاء والطاء,و هذه الأصوات الأربعة أسنانية لثوية؛أما فيما يخص كيفية مرور الهواء فعدها القدامى من الأصوات الرخوة , كما أنها جانبية مثل صوت اللام,و هي عند كمال بشر من الأصوات الشديدة.

3- **الطاء:**صوت الطاء عند كمال بشر؛هو النظير المفخم (المطبق) للتاء,و هو صوت مهموس. فالطاء: صوت أسناني لثوي وقفة انفجارية(شديد) مهموس مفخم(مطبق).

و لقد وصفها القدامى وصفا آخر؛فهي الصوت المجهور المفخم الذي يقابله صوت الدال؛ حيث يقول سيبويه:" ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا."[155]، فهما يختلفان في صفتي الجهر و الهمس, كما يختلفان في الصوت المرقق الذي يناظرها. بينما يتفقان في موضع نطقها, و كيفية مرور الهواء حال النطق بها.

4- **الجيم:**صوت لثوي حنكي, مركب- انفجاري و احتكاكي-(شديد و رخو) مجهور.

يتفق القدامى و كمال بشر في موضع نطقها,و في صفة الجهر؛ و لكنهما يختلفان في كيفية مرور الهواء حال النطق بها, حيث عدها القدامى صوتا شديدا, بينما يعدها كمال بشر صوتا مركبا تركيبا ازدواجيا يجمع بين صفتي الشدة و الرخاوة.

5- **القاف:**صوت لهوي وقفة انفجارية(شديد) مهموس عند كمال بشر,أما العلماء القدامى فيختلفون معه في أمرين هما:

أولا؛ في موضع النطق؛فهي عندهم تخرج من أقصى الحنك. في حين أنها لهوية كما ذكرنا,و هي عندهم تالية للغين و الخاء لا قبلهما.

ثانيا؛ في صفتي الجهر و الهمس؛ إذ عدها القدامى مجهورة,و هي عنده مهموسة.

6- **العين:** صوت حلقي احتكاكي (رخو) مجهور. يتفق القدامى مع كمال بشر في موضع نطقها؛ إذ تخرج من الحلق, كما يتفقون في صفة الجهر, إلا أنهما يختلفان في كيفية مرور

[154] سر صناعة الأعراب, ابن جني,ج 1,ص 47.
[155] الكتاب, سيبويه,ج4,ص436.

الهواء؛ فعدها القدامى من الأصوات المتوسطة(بين الشديدة و الرخوة)؛و قد يعزى هذا لعدم وضوح احتكاك الهواء بالأعضاء الفاعلة في إصدارها وضوحا سمعيا,و لكن هذا الصوت لا يتميز بميزة الأصوات المتوسطة المتمثلة في حرية مرور الهواء نسبيا, لذلك عدها كمال بشر من الأصوات الاحتكاكية(الرخوة),و يؤكد هذا الرأي رمضان عبد التواب:" و قد اتضح بصورة الأشعة, أن في نطق العين تضييقا كبيرا للحلق, و هذا ما يدعونا و ما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك إلى اعتبار صوت العين رخوا لا متوسطا"[156]

و انطلاقا مما تقدم ذكره نجد أن كمال بشر يرجع الخلاف الوارد إلى ما يلي:

- أخطأ العرب في وصف هذه الأصوات أو تقدير موضعها الدقيق.
- حدوث تطور حصل في نطق هذه الأصوات.

أما نحن فنرجح الاحتمال الثاني الأخير,و الحق أن كمال بشر يميل إليه؛و قال في هذا رمضان عبد التواب:يرد هذا الخلاف-الحاصل بين القدامى و المحدثين-إلى التطور اللغوي الذي أصاب بعض أصوات الفصحى,و لا نلجأ إلى تخطئة القدامى في وصفهم.[157]

7-**القضية السابعة:الاختلاف في بعض صفات الحروف:**(الجهر والهمس والشدة والرخاوة)

يعرف سيبويه و تابعوه المجهور:"حرف أشبع الاعتماد في موضعه و منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت."[158] أما المهموس:" فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه."[159] هذا التعريف تنقصه الدقة ويعتريه اللبس والغموض؛ لأن معيار الهمس والجهر عنده هو جريان النفس أو عدمه, و هو شبيه بالذي وضع للشديدة والرخوة؛إذ لم نلحظ عنده تمييز بين الصوت المجهور وصفة الشدة من جهة, و من جهة أخرى بين الصوت المهموس وصفة الرخاوة؛ حين عرفهما: "ومن الحروف الشديد و هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه."[160] والرخوة:" أجريت فيها الصوت إن شئت."[161] و هذا ما يجعلنا نقدم ملاحظة مهمة و هي

---

[156]المدخل إلى اللغة و مناهج البحث اللغوي, رمضان عبد التواب, ص 82.
[157]انظر: المرجع نفسه, ص62.
[158]الكتاب, سيبويه,ج 4, ص 434.
[159]نفس المصدر, و ص.
[160]المصدر السابق, ص434-435.
[161]المصدر السابق, ص نفسها.

أن القدامى لم يتمكنوا من وضع معيار تمييزي بين هذه المفاهيم, و يقول الدكتور رمضان عبد التواب:" و كان من الممكن القول بأن سيبويه يقصد بالمجهور و المهموس ما نعنيه نحن بالشديد و الرخو, لولا أن سيبويه قسم الأصوات بعد ذلك إلى شديد و رخو, و بين المراد بهما عنده, و على الرغم من ذلك فإن تعريفه للشديد يقرب جدا من تعريفه للمجهور, كما يقرب تعريفه للرخو من تعريفه للمهموس كذلك."[162]

و الصفة الفارقة بينهم التي وضعوها,و المتمثلة في عدم جريان النفس في الصوت المجهور,و جريانه في الصوت المهموس,و عدم جريان الصوت في الصوت الشديد, وجريانه في الرخو؛ صفات تكتنفها الصعوبة في الإدراك, و يستعصى فهمها.

أما عند كمال بشر فقد اعتمد على الأوتار الصوتية وذبذبتها فهي معيار الجهر والهمس, وهذا الذي لم يدركه القدامى,فهم من وجهة نظره قدموا تعريف الجهر و الهمس معتمدين على كيفية مرور الهواء في جهاز النطق,و هي تعريفات تتسم بالصعوبة؛و يقول في هذا "يرى الدارس المدققأنه من الصعب التفريق بين أفراد القبيلين (الجهر و الشدة+الهمس و الرخاوة) تفريقا يمكن الاعتماد عليه أو الاستئناس به, ذلك لأن أسلوب التحديد لكل زوجين متشابه(إن لم يكن متماثلا) و أن المصطلحات التي ينتظمها هذا الأسلوب متقاربة, وغامضة في الوقت نفسه,كما في حال المصطلحين **النفس** و **الصوت**."[163] و رغم هذا فهم يتفقون معه في الأصوات المجهورة و المهموسة ما عدا ثلاثة أصوات و هي الهمزة,و القاف,و الطاء. و الحال نفسه مع الأصوات الشديدة و الرخوة فقد تجلى الخلاف فيها حول ثلاثة أصوات فقط هي:الضاد,و الجيم,و العين.

مهما يكن من أوجه الخلاف فإننا نقر بعظمة الإبداع الذي قام به السلف, ونحاول أن نختلق لهم الأعذار لذلك؛ فالمورث الذي أوصلوه لنا لا يستهان به, إذا ما قُرن بالآلات و الأجهزة الحديثة,و ما الدراسات الحديثة إلا تصويب للزلل, وتقويم للفكر, وحفظ من التصحيف والخلط.

[162]المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي, رمضان عبد التواب, ص40.
[163]علم الأصوات, كمال بشر,177-178.

ثانيا: الوحدات الصوتية الوظيفية.

1-**الفونيم:**

بزغت فكرة الفونيم,أو تصوره في دراسات العرب القديمة,و لكن بصورة غير واضحة,لا ترقى لأن تكون نظرية,رغم الجهود التي بذلت في الدراسة الصوتية, وما توصلت إليه من وضع الأبجدية العربية منذ أمد طويل,و ميزت بين الصوت المكتوب والمنطوق,و إليك قول سيبويه دليلا على ذلك:"و تكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين و هي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي النون الخفيفة والهمزة التي بين بين, و الألف التي تمال إمالة شديدة والشين التي كالجيم.... وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة و لا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن و لا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين.....و هذه الحروف أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة."[164] حين نتأمل ما أشار إليه؛ فعدد الحروف من حيث الأصل تسعة وعشرون حرفا ومن حيث الفرع تصل إلى اثنين و أربعين حرفا؛ فهذه الفروع عبارة عن تأديات متنوعة لحروف الأصل و لا تتضح إلا إذا تم النطق بها. فهو يفصل بين ما هو منطوق و ما هو مكتوب في الحرف, والتنوعات التي يؤديها هذا الحرف الواحد كونه مجموعة من الأصوات فيها المحبذ وفيها المذموم, وهذا ما يشبه تصور الفونيم نوعا ما.و لعل الغموض المخيم على هذا التصور الفونيمي مرده إلى إهمال القدامى الحركة و وظيفتها؛إذ يزعمون أنها موجودة لخدمة الحرف؛ وهذا ما يصرح به ابن جني:" لما كان الحرف قد يوجد و لا حركة معه,و كانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف, صارت كأنها قد حلته,و صار هو كأنه قد تضمنها."[165] فلقد أوقعهم هذا الوهم الناجم عن قلة استيعاب,و الرؤية القاصرة للصوائت القصيرة كونها غير مستقلة, وأن الصوامت أفضل منها في الخلط والاضطراب,و يؤكد هذا الرأي الدكتور أحمد مختار عمر في قوله:"فعدم تمثيلهم

[164] الكتاب, سيبويه, ج4,ص 431-432.
[165] سر صناعة الإعراب, ابن جني,ج1,ص32.

أصوات العلة القصيرة في الكتابة أول الأمر،ثم تمثيلهم لها في فترة متأخرة برموز تثبت فوق الصوت الساكن أو تحته,أي مع النظرة إليها باعتبارها أصواتا ثانوية,على الرغم من أنها أكثر أهمية من الأصوات الساكنة, وأكثرها وضوحا في السمع منها,و هي التي تكون قمم المقاطع في اللغة العربية."[166] فعدم ثبوت الرؤية الواضحة في الصوائت أدى إلى تعتيم فكرة التصور الفونيمي في التراث. أما في الدرس اللساني الحديث فهي فونيم مستقل قائم بذاته؛ تشكل الصوائت القصيرة, والصوائت الطويلة,و الصوامت فونيمات مستقلة, وهي أساس الدراسة الفونولوجية.

ويتفق مع ما أشرنا إليه كمال بشر؛إذ يقول:"و معنى هذا أن فكرة الفونيم أو الوحدة الصوتية قديمة, أدركها العرب و غيرهم من الأمم,و إن بصورة غائمة لا تؤهل نفسها لأن تكون نظرية أو نظريات واضحة صالحة للتطبيق و التحليل الصوتي, كما هو واضح من أعمال هؤلاء اللغويين في القديم."[167]

الفونيم في قياس النظرية العربية اللغوية تصور محدث؛ أسس بناء على الرؤية المعيارية للصوت اللغوي,و الرؤية الوظيفية.

2- **المقطع:**

لم يعرض الدرس اللغوي القديم لدراسة المقطع,هو مبحث حديث في الدرس الصوتي,فلقد"أهمل العلماء العرب دراسة المقاطع و دراسة أشكالها و أجزائها إهمالا تاما."[168]و هذا مذهب كمال بشر؛إلا أن ورود كلمة المقطع في بعض النصوص التراثية, و إن بمعان مختلفة لا المفهوم الصوتي المقصود أوقع بعض الدارسين المحدثين في الزلل و الوهم؛ فيقول:"و غني عن البيان أن هذا المفهوم للمقطع مفهوم خاص, لا يتصل من قريب أو بعيد بمفهوم المقطع في الدرس الصوتي الحديث, و على الرغم من ذلك, فمازال بعض الدارسين غير الواثقين من علماء العربية يرددون القول-باعتزاز وافتخار- بأن للمقطع مصطلحا و مفهوما موجودا في أعمال ابن جني, مضللين باستخدام الكلمة (مقطع) أو (مقاطع) و لم يدركوا أن ابن جني استخدم هذه الكلمة (مفردة

[166] البحث اللغوي عند العرب, أحمد مختار عمر, ص 130.
[167] علم الأصوات, كمال بشر, ص493.
[168] المرجع السابق, ص 120.

أو جمعا) بوصفها اسم مكان أو مصدرا ميميا, للإشارة إلى مكان قطع الهواء, أو حدوث هذا القطع."[169] أما من حيث التصور الذي يكاد يشبه تصور المحدثين نقف له على تعريف فريد للفارابي:"كل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير به، فإنه يسمى المقطع القصير والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات، وكل حرف لا يتبع بصوت أصلا، وهو يمكن أن يقرن له، فإنهم يسمونه الحرف الساكن. وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل،فإنا نسميه المقطع الطويل."[170] و يرى كمال بشر من خلال هذا التعريف أن الفاربي يدرك فكرة المقطع وتصوره الذي يماثل تصور المحدثين له؛"فعلى الرغم من أنه لم يقدم لنا تعريفا للمقطع نظريا, فقد انصرف بأمثلته إلى الإفصاح عن خواص المقطع من حيث التركيب و البناء, أي كونه أشبه بحزمة أو عنقود من الأصوات المتتابعة على وجه مخصوص."[171] لم يقدم الفاربي تعريف المقطع صوتيا,بل قدم تعريفا فونولوجيا يخصه في اللغة العربية, فهو يشتمل على صامت و صائت,و الصائت قد يكون قصيرا,أو طويلا,و منه فالمقطع العربي قد يكون قصيرا,أو طويلا.

دون أن نطيل الشرح والحديث عن المقطع ولتجنب الملل والتكرار, نقول إن غياب النظام المقطعي في تراثنا أساسه غياب الصورة الواضحة للفونيم.

و جدير بنا أن نلفت الانتباه إلى قضيتين مهمتين في الدرس العربي جراء عدم إلمام القدامى بالنظام المقطعي في اللغة العربية.

أ- القضية الأولى: تتمثل في موازين(التفعيلات) الشعر العربي التي بنيت على الحركة والسكون؛ فلو أسست على أساس المقطع لكان استعابها أسهل, وفهم الزحافات والعلل أوضح لأنها عبارة عن تغيرات حدثت على المقطع-بين الحركة و السكون-

[169] علم الأصوات, كمال بشر, ص 506-507.

[170] الموسيقى الكبير,الفاربي- أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان-, تحقيق و شرح غطاس عبد الملك خشبة, دار الكتاب العربي للطباعة والنشر, القاهرة,, ص75.

[171] علم الأصوات, كمال بشر, ص507.

خذ على سبيل المثال تفعيلة فاعلن عروضيا(/0//0) أما مقطعيا فهي (ص+ا/ +ص+ـِ/+ص+ـُ+ص) و إذا دخل عليها تغيير مثلا الخبن فتكون فعلن عروضيا(///0) و مقطعيا(ص+ــِ+ص/+ص+ـــُ+ص)[172]

ب- القضية الثانية: تتمثل في الغموض الذي يعتري بعض القضايا الصرفية كالإعلال والإبدال و الحذف والإدغام...وغيرها.

3-النبر:

لم يكن حظ النبر بعيدا من حظ المقطع؛ فلقد "أهمل العلماء العرب دراسة النبر إهمالا تاما, و لهذا فإننا لا نستطيع أن نتبين مواضع النبر في العصور الإسلامية الأولى. ولعل سر هذا الإهمال أن النبر ليس فونيما في اللغة العربية."[173] فهذا القول لا ننكر به عدم وجود النبر بتاتا في اللغة العربية, و إنما القصد منه البعدالفونولوجي الحديث للنبر في الدرس العربي اللغوي، لأننا نقف على صدى له في التراث العريق ولكن بالمفهوم الصوتي المحض لا المفهوم الوظيفي؛ إذ نجده عند ابن جني بمصطلح المطل, و هو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف, قصد لفت انتباه السامع و شده لما ستكمله من الكلام؛"و إنما مطلت ومدت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر... و لما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تالٍ للأول منوط به معقود ما قبله على تضمنه و خلطه بجملته."[174] و يضيف أيضا"و كذلك الحركات عند التذكر يمطلن حتى يفين حروفا, فإذا صرنها جرين مجرى الحروف المبتدأة توّام, فيمطلن أيضا حينئذ كما تمطل الحروف و ذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمتَ:قمتا؛ أي قمت يوم الجمعة, ومع الكسرة: أنتي؛ أي أنت عاقلة, و مع الضمة: قمتو في قمتُ إلى زيد ونحو ذلك."[175] ولنكن منصفين في حق هذا الرأي, فهو أشار إلى وظيفة النبر في اللغة إذ يعد ملمح دلالي تميزي به يتحقق المقصد والغرض و ربطه بالحالة النفسية للمتكلم؛ أي عند التذكر والوقف, و لكن في الوقت نفسه أهمل وجوده في المقطع, و ما نوع المقطع الذي ينبر عند الوقف أو التذكر بالنظر إلى نوع الكلمة لا كما قال سابقا. و ليس ببعيد من

[172] انظر الأصوات اللغوية, عبد القادر عبد الجليل,ص227-237.
[173] البحث اللغوي عند العرب،أحمد مختار عمر, ص 120.
[174] الخصائص, ابن جني, ج3, ص128.
[175] المرجع السابق, ص129-130.

مفهوم ابن جني للنبر أي البعد الصوتي, يستوقفنا تعريف ابن سينا له:"أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير."[176]وإشارة ابن سينا هنا إلى الهمز الذي استخدمته العرب لمدلول واحد دون التفريق بينه وبين النبر. و من كل هذا نجد كيانا للنبر في اللغة العربية متعدد المفاهيم؛منها الهمز,و الضغط,و العلو,و الارتكاز.لكنها إشارات صوتية,لا مفهوم وظيفي, كما يتصوره الدرس اللساني الحديث.

إلا أن لكمال بشر رأي آخر في هذا القول:" و على الرغم من أن علماء العربية لم يعنوا بظاهرة النبر,و لم يلتفتوا إلى أهميتها في البنية اللغوية,و لم يحاولوا النظر في دراجات النبر,و كيفيات توزيعها على مستوى الكلمة أو الجملة جميعا, على الرغم من هذا فإن لغتهم العربية ذاتها قد منحتهم و منحتنا وسائل تعبيرية أخرى ذات مقاصد بيانية معينة؛كالمفارقة أو التركيز أو التأكيد."[177] فهو يوافق الرأي الذي يرى أن القدامى أهملوا دراسة النبر من جهة,و من جهة أخرى يبرز دور اللغة العربية ذاتها في منح أهلها وسائل تعبيرية عن المقاصد و الأغراض مثل توظيف الاسم الموصول,أو بعض الأحرف المشبهة بالفعل ,و أسلوب القسم دلالة على التوكيد,...وغيرها.

4-التنغيم:

وجد له صدى في التراث العربي, و لمح إليه سيبويه إذ بين أن العرب عند الترنم تمد الصوت, و أشار إليه ابن جني في مقدمة كتابه سر صناعة الإعراب و هذا العلم هو علم الأصوات والنغم. و يعتبر التنغيم ظاهرة صوتية موجودة في العديد من اللغات, يقول كمال بشر:" الرأي عندنا أن علماء العربية - شأنهم في ذلك شأن سائر الناس- خبروا التنغيم و مارسوه في أدائهم الفعلي للكلام. إنهم فعلوا ذلك لا بالتلقين أو التعليم المرسوم القواعد والقوانين, و إنما كانوا يأتون به على وجهه الصحيح بالعادة و السليقة والدربة, كما كانوا يفعلون مع الأحداث اللغوية الأخرى من أصوات وصيغ صرفية و تراكيب نحوية إلخ."[178] و من القدامى مَنْ أشار إليه بصورة تشبه التصور الحديث, الفارابي حيث تكلم عن تعريف النغم و درجاته؛ فالنغم عنده أصوات تختلف في الحدة والثقل, كما تختلف

[176]رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص72.
[177]علم الأصوات, كمال بشر,ص 522.
[178] المصدر نفسه ,ص 547.

في المرتبة منها ما هو ناقص و ما هو زائد, كما بين منزلة الأنغام من الألحان؛ فقد تسمو الألحان إلى ما هو أنيق في المسموع, و قد تهبط إلى ما هو مرذول في المسموع, و توجد اقترانات للنغم و ترتيبات حسب التنافر و التآخي و التباين:" ونجد النغم الحادة تختلف في مراتب الحدة و الثقيلة, تختلف في مراتب الثقل فيكون ثقل في مرتبة أزيد و ثقل في مرتبة أنقص, و حدة في مرتبة أزيد, و حدة أخرى في مرتبة أنقص."[179] و رغم هذا يبقى النغم حاله حال الفونيمات الأخرى؛ إذ لم يلق نصيبا من الاهتمام للتقنين والتسجيل والتقعيد, " إن للتنغيم دورا رئيسا في توجيه الدلالة, إلا إنا لم نلحظ من أفرد له بابا من القدماء,و عالج فيه ضروبه و أحكامه. و هذا لا يعني أنهم لم يدركوا قيمته الوظيفية, لكن, يبدو الرغبة في التوجيه إلى من هو أكثر رسوخا في الذات المعرفية."[180]

5- **الفواصل الكلامية:**

أدركها علماء اللغة القدامى,و أهل القراءات القرآنية و علم التجويد وأدركوا قيمتها,و الحق يقال أن الفواصل الكلامية وتمثيلها كتابة و البحث عن قيمها الفونيمة يعد موضوعا حديثا:" لا ننكر أن نفرا من الدارسين قد حاولوا في الحديث صنع شيء من ذلك, كما حاول بعض الأقدمين طرح إشارات متواضعة- نظرا وتطبيقا- إلى الفواصل الصوتية المختلفة وعلاماتها في الكتابة. ولكن هذه المحاولات بشقيها لا يمكن الزعم بكمالها و دقتها على الوجه المطلوب و الغرض المقصود."[181]

[179] الموسيقى الكبير, الفارابي,ص 112.
[180] الأصوات اللغوية, عبد القادر عبد الجليل, ص 260.
[181] علم الأصوات, كمال بشر, ص 565.

المبحث الرابع:ماهية الفونيمات التركيبية و أبعادها في اللغة العربية عند كمال بشر.

تمثل الأصوات اللغوية اللبنات التي تبني الكلمات و الأسس التي تشكل الكلام؛ لذا أطلق عليها المتخصصون في الفونولوجيا اسم الفونيمات التركيبية الرئيسية.

و لقد "أطلق مصطلح الفونيم في أصل استعماله على الصوت بمعناه المطلق, وبمرور الزمن وتطور الفكر الصوتي قصر استخدامه للإشارة إلى الصوت المعين من حيث قيمته ووظيفته في اللغة المعينة."[182]

1-تعريف الفونيم

يرى كمال بشر الفونيم؛ هو وحدة صوتية تمثل نمطا مستقلا, قادرة على التفريق بين المعاني والتمييز بين الكلمات,و منحها قيما لغوية من الجوانب الصوتية و الصرفية والتركيبية و الدلالية, تجمع جملة من التنوعات النطقية التي تظهر بصور مختلفة طبقا للسياق المعين الذي تقع فيه أثناء الكلام, و هذه الصور النطقية كثيرة كثرة فائقة يصعب حصرها و تحليلها, و لكنها لا تخرج عن إطارها العام الوحدة الصوتية" هذا الصوت العام الذي يجمع جملة من الأفراد و التنوعات اتفق على تسميته الفونيم."[183] ؛و هو محدود محصور معدود يختلف من لغة إلى أخرى. ويتضح هذا المفهوم بالمثال الذي قدمه: "إن النون صوت واحد بوصفها ليست باء أو تاء أو...إلخ, أي: بوصفها ذات وظيفة لغوية, أي: قدرتها على تغيير معاني الكلمات. فالفرق في المعنى بين ناب و ثاب مثلا يرجع إلى وجود النون في الكلمة الأولى و الثاء في الثانية. و من ثم كان كل منهما صوتا واحدا لا عدة أصوات. أما أفراد النون أو صورها المختلفة فلها قيمة نطقية فقط, أي أنه يمكن تمييز كل منها في النطق و السماع, و لكنها ليست ذات وظيفة لغوية, إذ لا تتغير معاني الكلمات بإحلال إحداها مكان الأخرى. وذلك لسبب بسيط و هو أن النون في إن ثاب مثلا لا تحل محل النون في إن شاء في الأسلوب اللغوي الواحد."[184].

و مما تقدم ذكره نستنتج ما يلي:

[182] علم الأصوات, كمال بشر, ص 18-19.
[183] المصدر نفسه, ص 482.
[184] المصدر السابق, ص481.

1- الصوت اللغوي الواحد هو الذي يؤدي وظيفة مهمة هي التمييز بين المعاني في بنية الكلم؛ أي يؤخذ من باب الوظيفة لا من باب النطق أو الأداء الكلامي أو السمعي(الصوت اللغوي صوت واحد وظيفيا)

2- الصوت اللغوي الواحد هو عدة أصوات مختلفة في الأداء الفعلي الكلامي حيث ندركه من خلال النطق و السماع؛ أي أنه له صفات نطقية وسمعية ولكنها لا تغير في معاني الكلم (الصوت اللغوي عدة أصوات نطقا)

3- و من الحالة الأولى والثانية تتكون الوحدات الصوتية أو الأنماط الصوتية: هي الصوت اللغوي الواحد الذي يجمع مجموعة من التنوعات النطقية التي تختلف حسب السياق, له وظيفة لغوية هي التمييز بين معاني الكلمات.

4-الوحدات الصوتية محدودة و معدودة في كل اللغات لها وظيفة خاصة و استقلاليتها الذاتية, في حين أن التنوعات يصعب عدها وحصرها لا وظيفة لها و هي غير مستقلة.

5- فونيمات اللغة العربية: هي أصوات منطوقة فعلا عددها أربعة و ثلاثون تقابلها رموزها الكتابية الخاصة بها.

6- تشتمل اللغة العربية على ظواهر صوتية مهمة في نظامها و لا يمكن الاستغناء عنها نظرا للوظائف التي تؤديها, و قد يصطلح عليها بالفونيمات الهامشية مثل السكون,و همزة الوصل.

2- تنوعات الفونيم

يمكن تصنيف تنوعات الفونيم إلى صنفين؛ تنوعات مشروطة,و تنوعات غير مشروطة.

أ- تنوعات الفونيم المشروطة:

و التي يصطلح عليها بالألوفونات تحظى بأهمية بالغة في الدراسة و التحليل؛ ويعزى السبب إلى سهولة التعرف عليها و ضبط قيودها. فالتنوعات المشروطة المقيدة بسياقات معينةفي اللغة العربية نذكر منها؛

- **الإجهار والإهماس:** فقد يجهر بالصوت المهموس,و يهمس بالصوت المجهور نظرا لمجاورته أصوات أخرى تحمل هذه الصفات فتؤثر فيه؛ مثل صوت الكاف في كلمة

أكبرو الشين في كلمة **أشغال** فأصل هذين الصوتين مهموسان, ولكن بمجاورتهما الباء والغين تحولا إلى صوتين مجهورين. و مثال كلمة **إغفال** التي توضح ظاهرة إهماس المجهور, فصوت الغين أصله مجهور و لما جاور الفاء تحول إلى صوت مهموس.

ويوضح كمال بشر شيوع هذه الظاهرة" عند التقاء صوتين من طائفة واحدة ولا فرق بينهما إلا في صفة الهمس والجهر وكان الأول منهما ساكنا كما في نحو: انعت داود, وعدته."[185] ففي المثال انعتْ داود أجهرت التاء المهموسة لالتقائها بالدال الصوت المجهور, وعكس هذا في المثال الثاني أهمست الدال المجهورة لالتقائها بالتاء الصوت المهموس.

●**كيفية مرور الهواء:** قد تتغير الكيفية التي يمر بها الهواء حال النطق بالصوت المعين وذلك لمجاورته أصوات أخرى تختلف عنه في الصفة, أو نطق هذه الأصوات ساكنة أي عند الوقف عليها, و تشيع هذه الظاهرة في الأصوات الموسومة بالوقفات الانفجارية؛ فعند الوقف مثل كلمة عُدْ تفقد سمة انفجار الهواء وتميل إلى الهمس؛ "وهذه الأصوات في نظرنا هي: الباء, التاء, الدال, الضاد,الطاء,القاف,الكاف."[186] كما نجدها في ظاهرة التماثل الصوتي ؛مثل اكتبْ من البداية فعند التقاء صوت الباء الساكن بصوت الميم المتحرك يحدث أن يتسرب صوت الباء من الأنف فتتحول من وقفة انفجارية إلى أنفية.

●**التفاوت في موضع النطق:**حال النطق بالصوت المعين قد يتغير موقع نطقه تغيرا طفيفا من حال إلى أخرى, و هذا ما ينتج صورا نطقية مختلفة فيما بينها و لكنها تنطوي تحت صوت واحد رئيسي.مثل صوت الجيم في الكلمات التالية: جليل، جميل, جرير,جبل.

●**التفخيم و الترقيق:** يحدث التفخيم في مجمل الأصواتالمرققة عندما تجاور أصواتا مفخمةمثل صبر فخم صوت الباء المرقق لمجاورته صوت الصاد المفخم.[187]

و في هذا السياق نشير إلى هذه الظاهرة التفخيم والترقيق التي تعد في بعض المواقع ملمحا تميزيا قادرا على التفريق بين معاني الكلمات في بعض السياقات اللغوية مثل:

---

[185] فن الكلام, كمال بشر, ص 229.
[186] المصدر نفسه, ص229.
[187] انظر: المصدر السابق, ص 231.

درس الولد درسه و درس الولد القمح, فدرس الولد بتفخيم الدال من الدراسة, والثانية يترقيق الدال بمعنى هشم وفتت.

أما الحركات فهي لا توصف بالتفخيم أو الترقيق بذاتها, و إنما يكون تفخيمها وترقيقها محكوما بالسياق"فهي مفخمة مع الصاد والضاد والطاء والظاء,وهي بين التفخيم والترقيق مع الخاء و الغين والقاف,و مرققة في المواقع الصوتية الأخرى."[188] مثل:صَبَرَ/ صُمْ/ صِلْ/ قُمْ/ خَرج ..إلخ.

●**القصر والطول:** تطرأ تغيرات على الحركات في طولها و قصرها وفقا للسياق الواردة فيه, حيث تصبح الحركة الطويلة قصيرة, أو العكس.

تتحول الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة إذا تليت بهمزة الوصل مباشرة؛ مثل قوله تعالى:(يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولا)[189] ففي الآية الكريمة قصرت الفتحة الطويلة نطقا الواردة في كلمة (أطعنا) لتفادي التقاء الساكنين بعد سقوط همزة الوصل من الكلام وكذلك الحال مع الكسرة الطويلة؛ مثل في الدّار ضيفٌ. و الضمة الطويلة؛ مثل اتقوا الله أيها الناس .

كما نقف على تطويل الفتحة خاصة في حالة الوقف مثل ما هو وارد في كلمة الرسولا. وتشيع ظاهرة تطويل الحركات القصار بكثرة في قوافي الشعر لمراعاة الموسيقى والوزن؛[190]

نحو قول البوصيري: أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدمِ.

ب- **تنوعات الفونيم غير المشروطة:**

يسميها كمال بشر ظواهر صوتية وهذا للتفريق بينها وبين سابقتها- التنوعات المشروطة- و يقصد بها القيم الصوتية النطقية و السمعية التي في أصلها لا تحل محل الصوت الآخر؛ و إن حصل وحلت محله فلا تؤدي إلى تغيير المعاني ولا إلى التمييز بين الكلمات, كتفخيم الصوت أو ترقيقه أو الجهر أو الهمس؛ مثل لام الموجودة في كلمة الصلاة مرققة أو مفخمة لا تغير المعنى وكذلك في كلمة الضلال مرققة أو مفخمة لا تغير

---

[188] فن الكلام, كمال بشر, ص 238.
[189] الأحزاب:66.
[190] انظر: المصدر نفسه, ص 239-242.

المعنى, أما من حيث التبادل في الموقع فلا الموجودة في كلمة صلاة نفسها الموجودة في كلمة ضلال فكذلك لا تغير في المعنى.

و الفرق الحاسم بين هذين النوعين يتمثل في:" التنوعات المشروطة لا يمكن وقوع أحدها مكان آخر في الكلمة. فإن وقع عد الأمر خارجا عن قواعد النطق في المستوى اللغوي المعين و في كل الحالات تبقى الكلمة هي هي دون تغيير في المبنى و المعنى معا. أما التنوعات غير المشروطة فمن الممكن وقوع أحدها مكان الآخر, و لكنه حينئذ تنوع عفوي لا علاقة له بتنوعات الفونيم الأصلي و ليس مثلا من أمثلته, و إن عد خطأ وتجاوزا في النطق. و هو بطبيعة الحال لا يحدث أي أثر في بناء الكلمة أو معناها."[191]

3- **وظيفة الفونيم:**

1- التمييز بين المعاني و منحها قيما لغوية في نظام اللغة.

2- يساعد على ابتكار نظام الألفباء بصورة دقيقة.

3- وسيلة مهمة في تعليم اللغات الأجنبية.

4- تيسير الدراسة الصوتية التحليلية على المستوى الفوناتيكي و الفونولوجي؛ إذ يصعب حصر التنوعات الصوتية في اللغات ودراستها.

[191] علم الأصوات, كمال بشر, ص484.

المبحث الخامس: ماهية الفونيمات فوق التركيبية و أبعادها في اللغة العربية عند كمال بشر.

الفونيمات فوق التركيبية تطلق على كل ظاهرة,أو صفة صوتية ذات مغزى, أوقيمة في الكلام المتصل؛ فهي لا تكون جزءا من بنية الكلمة,و إنما تظهر في الكلام المتصل. لها أهمية بالغة لا تقل عن الفونيمات التركيبية؛ إذ تكشف عن خبايا الأحداث الكلامية, و تنبئ عن خواصها و صحة أدائها.

أولا: المقطع

1- **تعريفه**:يرى كمال بشر أنه لا يوجد تعريف واحد للمقطع متفق عليه, ليؤخذ منطلقا للدراسة في كل اللغات,فمازال تعريفه تعريفا علميا عاما؛يمثل صعوبة ظاهرة أمام الدارسين؛ فمنهم من نظر إليه من الجانب الصوتي النطقي المحض,فعرفوه:بأنه خفقة صدرية.وهناك من نظر إليه من الجانب السمعي:فهو يمثل قمة الوضوح السمعي لاشتماله عادة على الحركة.و هناك من نظر إليه من الجانب الفيزيائي معتمدين على ما يحدثه المقطع من ذبذبات ذات سمات خاصة في الهواء.و لما كان الأمر كذلك لجأ أهل الاختصاص إلى وضع معيار فونولوجي؛و هذا المعيار أساسه ركيزتان هما:

- النظر في المقاطع من حيث بنيتها,و مكوناتها,و كيفيات تتابعها في سلسلة الكلام.
- أن يتم ذلك في كل لغة على حدة, فلكل لغة خواصها و مميزاتها في تتابع المقاطع ومكوناتها.

و رغم هذا يقول:"و مع ذلك يمكن القول بشئ من التجوز,إن المقطع من حيث بناؤه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت sound,و أصغر من الكلمة.و إن كانت هناك كلمات تتكون من مقطع واحد؛مثل(مَنْ)و الكلمة التي تتكون من مقطع واحد تسمى أحادية المقطع,في حين التي تتشكل من أكثر من مقطع يطلق عليها متعددة المقاطع."[192] بمعنى آخر أن المقطع في اللغة العربية؛هو مزيج من الأصوات اللغوية؛هي الصوامت,

[192]علم الأصوات, كمال بشر, ص503-504.

والصوائت,فلا وجود لمقطع يتكون من صامت واحد, كما أنه لا يوجد مقطع يتكون من صائت وحده. فهو يتكون من صامت و صائت فأكثر.

و مما تقدم ذكره المقطع:هو بنية تتشكل من تتابع الوحدات الصوتية و كيفيات تكوينها على شكل حزم أو عناقيد مميزة في سلسلة الكلام وفق نسق اللغة المعينة.

2- خصائص المقطع العربي و سماته:

- المقطع في العربية يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر إحداهما حركة, فلا وجود لمقطع من صوت واحد أو مقطع خال من الحركة.
- المقطع لا يبدأ بصوتين صامتين, كما لا يبدأ بحركة.
- لا ينتهي المقطع بصوتين صامتين إلا في سياقات معينة؛ أي عند الوقف,أو إهمال الإعراب.
- غاية تشكيل المقطع أربع وحدات صوتية بحسبان الحركة الطويلة وحدة واحدة.[193]

المقطع وحدة تركيبية تتكون من مزيج من الفونيمات؛ الصوامت و الصوائت مشكلة نسيجا منسقا هو أساس التراكيب في اللغة,و هو مقياس الكلمة.

3- أنماط المقطع العربي:

و انطلاقا من هذه السمات يحدد كمال بشر ستة أبنية,أو أنماط للمقطع العربي؛و هي على النحو الآتي:

أ- **المقطع القصير:** يتكون من صوت صامت و حركة قصيرة (ص+ح)

ب- **المقطع المتوسط:** و هو ذو نمطين هما؛

الأول :صوت صامت وحركة قصيرة وصوت صامت(ص+ح+ص).

الثاني:صوت صامت وحركة طويلة (ص+ح+ح)

ج- **المقطع الطويل:**و هو ذو ثلاثة أنماط و هي؛

الأول:صوت صامت وحركة قصيرة وصوتين صامتين (ص+ح+ص+ص).

الثاني: صوت صامت وحركة طويلة وصوتين صامتين (ص+ح+ح+ص+ص).

---

[193] انظر: علم الأصوات,كمال بشر, ص 509-510.

الثالث:صوت صامت و حركة طويلة و صوت صامت(ص+ح+ح +ص).[194]
هذه الخصائص,و الأنماط تختص بها اللغة العربية الفصحى,و يتفق عليها غالبية المحدثين في الدرس اللغوي حديث.

4- **وظيفة المقطع:**تتجلى في الكشف عن التغيرات الطارئة داخل الكلمة,و النوع الذي تنتمي إليه؛ اسم,أو فعل,أو حرف, كما يقوم بترجمة الظواهر الصوتية التي تحدث في النظام اللغوي مثل الإدغام,و المحافظة على التوازن والانسجام,و يساهم في تحديد القواعد النحوية خاصة ضبط الإعراب.

ثانيا:النبر

1- **تعريف النبر**:هو العلامة الدالة على المقطع,و الظاهرة الصوتية الملازمة له؛إذ يقصد به "نطق مقطع من الكلمة بصورة أجلى،و أوضح من بقية المقاطع,و ذلك طبقا للنظام المقطعي للغة المعينة."[195]أو بصيغة أخرى هو إبراز مقطع محدد في الكلام عن طريق الارتكاز عليه نطقا بصورة جلية من بقية المقاطع التي تجاوره؛فهذا ما يوضح عملية التتابع المقطعي,و يسهل التعرف على طبيعة الكلمة.
و النبر بهذا المفهوم يعتبرملمحا تميزيا من ملامح الكلمة؛ إذ يكسبها كيانا متكاملا متميزا خاصا بها من حيث البناء والطلاء.

2- **درجات النبر**:تضم الكلمة عددا من المقاطع في معظم الأحوال,و قد يكون أحدها منبورا, و أحيانا تتلقى الكلمة الواحدة أكثر من نبر بدرجات متفاوتة,و يحدد كمال بشر درجاته هي: "ثلاث درجات؛قوي ووسيط وضعيف,فالقوي علامته أو الرمز الذي يشير إليه هو['] ويوضع في بداية المقطع المنبور مباشرة إلى أعلى,كما في المقطع الأول في ضرب 'da/ra/ba,والوسيط رمزه[ ]و يوضع في بداية المقطع المنبور إلى أسفل,كما في المقطع الأول من قاتلوهم q aa/ti/luu/hu ,أما النبر الضعيف فيترك عادة دون رسم

[194]علم الأصوات, كمال بشر, ص 510-511.
[195]فن الكلام, كمال بشر, ص 21.

كتابي. وغالبا ما يصحب النبر القوي إشارة أو حركات جسمية كالإشارة باليد,و رفع الصوت,كما يصحبه أيضا الاختلاف في درجة الصوت,و ربما في النغمة كذلك. "[196]

3- **وظيفة النبر**: للنبر وظائف متعددة ومتنوعة؛بتنوع مستوياته المتمثلة في الكلمة,والجملة,والكلام.

فعلى مستوى الكلمة يكشف عن التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد بسبب التغيرات الطارئة عليها, كما يكشف عن لكنة أو نطق صوتي خاص.

أما على مستوى الجملة فله وظائف بالغة الأهمية منها؛ يفيد التأكيد أو المفارقة,و الكشف عن الأحوال النفسية للمتكلم؛" فموسيقى الكلام المادح تختلف عن الكلام القادح, ونغمات التعجب غير نغمات الرضا والارتياح, و التلوين الموسيقي عند الغضب غيره عند السرور والفرح."[197].

و على مستوى الكلام يكشف على بداية الكلمات ونهايتها.

4- **علاقة اللغة العربية بالنبر:**

صنف النبر إلى صنفين؛هما النبر الثابت,و النبر الحر,و إليهما نسبت اللغات؛ أي اللغات ذوات النبر الثابت,و اللغات ذوات النبر الحر,و يمكن تصنيف اللغة العربية من بين اللغات النبرية على مستوى الكلمة؛لأن النبر في كلماتها ثابت يخضع لقوانين محددة حسب بنية الكلمة و مكوناتها,"النبر الثابت يخضع لقوانين مرسومة مطردة, يلزم بمعيارها مقطعا أو مقاطع معينة لا يبرحها, بحسب بنية الكلمة,ومكوناتها المقطعية وكيفيات تتابعها, وباختصار شديد النبر الثابت يمكن التنبؤ به، و تعرف مواقعه بوضوح تام. وهذا هو الحال في لغتنا العربية الفصيحة, كما يخبرها أهل الاختصاص والمعرفة اللغوية."[198]

وهناك تصنيف آخر؛ لغات نبرية,و لغات غير نبرية,و اللغات النبرية هي التي يعتمد فيها المعنى على نوع النبر و درجاته,و على مواقعه في الكلمة؛ يوضح كمال بشر أن اللغة العربية لغة غير نبرية على مستوى الكلمة؛لوجود قوانين ثابتة مطردة, لا تحتمل أي تنوع

[196] علم الأصوات, كمال بشر, ص 513-514.
[197] فن الكلام, كمال بشر, ص 22.
[198] المصدر السابق, ص517. وانظر: ص 28-29 من هذا البحث.

في دراجاته,و مواقعه, أما على مستوى الجملة فلها شبه قريب باللغات النبرية من حيث توظيف النبر و توزيع دراجاته توزيعا منا سبا لمقاصد الكلام على مستوى الجملة, وقد وجد بالنظر الدقيق إلى الكلمات ذات الأهمية النسبية في الجملة العربية في المواقف الحيادية هي التي تنتمي إلى الأجناس الصرفية الآتية: الأسماء- الصفات- أسماء الإشارة و أدوات الاستفهام- المكملات بالحال أو التمييز أو الظرف- الأفعال الرئيسية.

و من هذا ندرك أن الحروف و كثيرا من الأدوات والضمائر الشخصية و الأسماء الموصولة و غيرها لا يصاحبها نبر واضح في الحالات الحيادية في الكلام المتصل, فهذا يوحي بالأهمية النسبية للكلمات بحسب مقاماتها المختلفة."و معنى هذا أن هناك استثناءات لقواعد النبر و درجاته وطرائق توزيعهعلى مستوى الجملة في اللغة العربية و الرأي عندناأن هذه الاستثناءات تصبح قواعد خاصة في مقاماتها و هي في حاجة إلى مزيد من البحث و الدراسة."[199] ثم يقرر كمال بشر أن نصف اللغة العربية لغة بينيّة في سلسلة اللغات النبرية وغير النبرية على مستوى الجملة.

ثالثا: التنغيم

1- **تعريف التنغيم:**يعرفه كمال بشر هو"الخاصية الصوتية الجامعة التي تلف المنطوق بأجمعه, وتخلل عناصره المكونة له, و تكسبه تلوينا موسيقيا معينا حسب مبناه و معناه، وحسب مقاصده التعبيرية, وفقا لسياق الحال أو المقام."[200] و يورد تعريفا آخر له:التنغيم هو تلوين الكلام بنغمات تتمثل في ارتفاعات و انخفاضات تكسو المنطوق كله, فالكلام مهما كان نوعه أو مستواه لا يلقى على مستوى واحد بل لابد له من طلاء موسيقي معين ينبئ عن مبناه ومعناه وفقا للمقام المعين.[201]

فهو الظاهرة الصوتية أو الوسيلة التي يتأدى بها الفعل الكلامي المنطوق, وفق قوانين البناء اللغوي؛ فيكشف عن المراد المقصود مع مراعاة ظروف المقام.

كما يشكل نسيجا موسيقيا منسجما من خلال العوامل الصوتية التي تندرج تحته؛ "إنه ينتظم في أثنائه جملة من الظواهر الصوتية الأخرى كالنبر و التوقيع و مطل بعض

[199] علم الأصوات,كمال بشر, ص 520.
[200] المصدر نفسه, ص 531.
[201] انظر فن الكلام, كمال بشر, ص 22.

الأصوات و الاختلاف في درجة النغمة و تنوعاتها."[202], فالتنغيم يرتبط بالمتكلم,و أحواله النفسية و حاجاته المنشودة من الكلام؛ فهو الوسيلة التي تساهم في إيصال الرسالة إلى المتلقي بصورة جلية و مفسرة و مساعدته على التمييز بين أنواع الجمل و أغراضها.

2- **درجات التنغيم و مواطنه:**

دراجات التنغيم ثلاث باعتبار الارتفاع و الانخفاض" فعندما ترتفع درجة التلوين الموسيقي نحصل على تنغيم مرتفع, و عندما تنخفض هذه الدرجة نحصل على تنغيم منخفض, أما إذا لزمت هذه الدرجة مستوى واحد فالحاصل إذن نغمة مستوية."[203] و منه يمكن حصر دراجات التنغيم باعتبار نهاية النغمة إلى نغمتين رئيسيتن و هما:

أ- **النغمة الهابطة:**تتصف بالانخفاض أو الهبوط في نهايتها و تظهر بوجه خاص في ما يلي:

- الجملة التقريرية التامة المعنى الكامل غير المعلق؛ مثل الأستاذ في القسم.
- الجملة الاستفهامية بالأدوات الخاصة:أي الجملة التي تحتوي على أداة استفهام؛ مثل أين الطالب؟
- الجملة الطلبية: و هي الجملة التي تحتوي على فعل أمر أو طلب؛ مثل اخرج من الصف.

ب- **النغمة الصاعدة:**تتصف بالصعود في نهايتها و من أمثلتها ما يلي:

- الجملة الاستفهامية: التي تكون الإجابة عليها بلا أو نعم؛ مثل خالد في البيت؟ نعم.
- الجملة المعلقة:و هي الجملة المرتبطة بما بعدها و تظهر بوجه خاص في الجمل الشرطية تحديدا جملة الشرط ؛ كقول الشاعر: إذا الشعب يوما أراد الحياة , فهذا الشطر نغمته صاعدة, و إذا أتممنا البيت؛ فلا بدا أن يستجيب القدر, يتحول إلى جملة تقريرية وتكون هنا النغمة هابطة.

فالجملة الشرطية بشقيها تحتوي على النغمتين معا الهابطة و الصاعدة.[204]

3- **وظيفة التنغيم:**هي كثيرة,نذكر من أهمها؛الوظيفة النحوية,و الوظيفة الدلالية السياقية,والوظيفة الاجتماعية,و الوظيفة المعجمية.

---

[202] علم الأصوات,كمال بشر, ص531..
[203] المصدر نفسه, ص 534.
[204] انظر: المصدر السابق,ص 534- 583.

أ- **الوظيفة النحوية:** تعد من أهم وظائف التنغيم؛ إذ يكشف على صحة بناء الكلام المنطوق و تمام معناه؛ فهو العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التراكيب و التفريق بين أجناسها النحويةمن تقريرية, و استفهامية, وتعجبية, إضافة إلى الاختصاص, الإغراء والتحذير, الندبة والاستغاثة, و التعجب, و أسماء الأفعال."إن أساليبها جميعا لا يمكن تحليلها تحليلا دقيقا, و لا يمكن فهمها فهما سليما إلا بربطها بمقاماتها الاجتماعية التي تنتظم اتصالا مباشرا بين متكلم و مخاطب تربطهما علاقات مخصوصة تقتضي إلقاء الكلام بتلوينات موسيقية تفصح عن مضمون الرسالة"[205] و في هذا المقام يضرب كمال بشر ثلاثة أمثلة يوضح فيها كيفية فهم الظاهرة النحوية وفق التنغيم.

- <u>المثال الأول يخص الاختصاص:</u>

فأهم أمارة نتوصل بها لمعرفة الاسم المخصوص هي الصفة الصوتية التي يتصف بها حال الأداء الكلامي, إذ ينطق الجزء الأول من الجملة المتمثل في الضمير و الاسم المخصوص بنغمة صاعدة مصحوبة بوقفة خفيفة و وقوع نبر قوي على الاسم المخصوص, أما الجزء الثاني من الجملة فيؤدى بنغمة هابطة مصحوبة بوقفة دلالة على انتهاء الجملة؛ مثل نحن العربَ, أكرمُ الناس أخلاقا. فالنحاة اعتمدوا على نصب كلمة العرب و ورود كلمة أكرم مرفوعة دالة على الخبر فهذا التحليل يعتمدا على النص المكتوب, بينما التوضيح الذي أشار إليه كمال بشر يعتمد على النص المنطوق و كيفية استقباله من طرف المتلقي.[206]

- <u>المثال الثاني يخص كم:</u>

لطالما كثر الجدل عنها؛ هل هي خبرية أم استفهامية؟ " ففي الشاهد المشهور التالي:

كم عمة لك يا جرير وخالة   فدعاء قد حلبت عشاري. جوز النحاة أن تكون كم خبرية , أو استفهامية,و من ثم جوزوا أكثر من وجه إعرابي للكلمة التالية لها و هي عمة و ما عطف عليها خالة."[207] و الفيصل في هذا هو طريقة نطقها و الجملة الواردة فيها لأن نغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الإخبار؛ كما تكشف طرق الأداء و النغمات الصوتية

---

[205]فن الكلام, كمال بشر, ص270.
[206]انظر دراسات في علم اللغة, كمال بشر, ص 25-26.
[207]المصدر نفسه, ص 26

عن المعنى المراد و رفع الحرج الذي يوقع في التعدد الإعرابي للشاهد الواحد لأن نطق الموقف المعين لا يحتمل في المعنى و الوظيفة إلا احتمالا واحدا. في حين لو اعتمدنا النص المكتوب لأمكننا وضع عدة أوجه إعرابية له و تأويلات .

- المثال الثالث يخص أسلوب التعجب:

و أبرز ما يستوقفنا في مقامنا هذا هي القصة المشهورة التي حدثت مع أبي أسود الدؤلي وابنتهحين ألقت على مسامعه العبارة المشهورة: ما أجملَ السماءُ؟ فقال: نجومها. فقالت: ما إلى هذا قصدت, و إنما أردت أن أتعجب من جمالها . فقال: قولي إذن:ما أجملَ السماءَ!! و من هذه القصة يتضح جليا أن الخطأ الوارد في الجملة أداء أدى إلى إجابة أبي الأسود بكلمة نجومها, لا اعتمادا على الجانب الإعرابي لها.[208]

ب- **الوظيفة الدلالية السياقية:**يتعدد معنى الجملة الواحدة حسب تنوع صورها النطقية؛ مثل عبارة: يا إلهي! فقد تدل على التحسر أو الزجر أو عدم الرضا أو الدهشة...إلخ. فالتنويع في النغمات يبرز التنوع في المواقف التواصلية بين الآخرين,

ج- **الوظيفة اللغوية الاجتماعية:**يكشف التنغيمعن الفوارق الاجتماعية و الثقافية المتباينة السائدة في المجتمع؛ فطبقات المجتمع تختلف في أداء الكلام و في أسلوب تأديته, وموسيقاه باختلاف المستوى الذي تنتمي إليه, و يدل هذا على العلاقة بين اللغة والمجتمع حيث نستطيع أن نتطلع على أحوال مجتمع ما من خلال عيون لغته.

د- **الوظيفة المعجمية:** لا تختص بها اللغة العربية, بل نجدها في لغات أخرى حيث يؤدي فيها التنغيم دورا فاعلا في التمييز بين معاني الكلمات, والتفرق بين الأجناس الصرفية فكلمة Ma في اللغة الصينية إذا نطقت بنغمة مستوية فمعناها(الأم), و إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة فمعناها(الحصان).[209]

[208]انظر: علم الأصوات,كمال بشر, ص 546.
[209]انظر: المصدر نفسه, ص 541.

رابعا: الفواصل الصوتية.

1- تعريف الفاصلة

لغة:فصل بينهما, يفصل,فصلا, فانفصل,و فصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع. والفصل البون بين الشيئين.

الفاصلة: الخَرَزَةُ التي تفصل بين الخَرَزَتين في النظام,و قد فَصَّلَ النَّظْمَ. وعِقد مفصّل؛ أي جعل بين كل لؤلؤتين خَرَزَةٌ.[210]

و منه الفاصلة هي التي تفصل ما قبلها لما بعدها, وتقطعه وتبينه.

اصطلاحا: الفواصل الصوتية مصطلح أطلقه كمال بشر على مجموعة من الظواهر الصوتية تظهر أثناء أداء الفعل الكلامي المنطوق, وهي ذات أهمية بالغة في صحة الأداء الصوتي وتجويده؛ فالفاصلة الكلامية هي من عمل المتكلم يفصل بها ما سبق من الكلام عن ما هو لاحق منه . تحديدا لطبعته التركيبية وماهيته الدلالية.

2- **أنواع الفواصل الصوتية:**هي الوقفة,و السكتة, والاستراحة أو أخذ النفس وتعديله.

أ- **الوقفة:**هي الوقوف عند تمام الكلام في مبناه ومعناه، و تكون مصاحبة بنغمة هابطة دليلا على تمام الكلام؛ ورمزها في الكتابة النقطة(.).[211] فلا تجوز الوقفة بين المضاف والمضاف إليه أو بين النعت ومنعوته أو بين الفعل والفاعل أو بين حرف الجر والاسم المجرور وما شابهه... وغيرها من المواقع.

ب- **السكتة**: أخف من الوقفة وأدنى منها زمنا؛ وهي تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته, إشعارا بأن ما يسبقها من الكلام مرتبط أشد ارتباط بما يلحقها ومتعلق به, وتكون مصحوبة بنغمة صاعدة دليلا على عدم تمام الكلام و علامتها في الكتابة الفاصلة (,).[212] وتكون السكتة بين الشرط وجوابه و في الجمل المحكومة برابط من الروابط العامة مثل لولا, بينما,...إلخ

---

[210]لسان العرب, ابن منظور, المجلد 5,ج 38,ص 3422, مادة (فصل).
[211]انظر: علم الأصوات, كمال بشر, ص545-555.
[212]انظر: المصدر نفسه, ص 557.

ج- **الاستراحة**: وسيلة صوتية لمنح الكلام خاصية الاستمرارية, و فرصة لأخذ النفس, وتتوقف على خبرة المتكلم وفهمه لقواعد اللغة. وتحتاج إلى تدريب ومران حتى لا تمتد في فترتها الزمنية إلى ما يشبه الوقفة أو السكتة فيفسد المعنى.[213]

و هي وسيلة كثيرا ما يميل إليها بعض قراء القرآن الكريم عندما تطول الأية قصدا إلى الإمعان في التطريب والتلحين وتلوين الصوت لجذب السامع. [214]

1- مواطن الفواصل و علاقتها بالتنغيم:

- **الوقفة:**تكون عند تمام الكلام و هي دليل على صحة بنية المنطوق و مطابقته للحال؛ وتأتي الوقفة مصاحبة بنغمة هابطة, و هذا في الجمل التقريرية, و قد تأتي بعض الجمل بوقفة معلقة و يكون هذا في الجمل الاستفهامية.

فلا تجوز الوقفة بين المضاف و المضاف إليه, و الحال و فعله وفاعله, ولا تجوز بين الفعل والفاعل أو بينهما والمفعول به, و الأدوات العاملة في مدخولها كحرف الجر والاسم المجرور و النواصب والجوازم و أفعالها...و غيرها, و بين اسم الإشارة و بدله, وبين النعت ومنعوته, و لا بين المميِّز و المميَّز.

- **السكتة:** تدل على عدم تمام الكلام لذا تكون مصحوبة بنغمة صاعدة, و يشير كمال بشر أن السكتة يمكن إعمالها كما يجوز إهمالها, ولكن إعمالها أولى, و تقع السكتة في التراكيب التي تتكون من طرفين يكونان وحدة كاملة و لا يستغني أحدهما عن الآخر منها الجملة الشرطية, و الجملة المحكومة برابط من الروابط العامة مثل بينما, كلما. كما تقع السكتة بين المنعوت و النعت المقطوع, و تجوز سكتة خفيفة بين المبتدأ و الخبر إذا كانا معرفتين و بخاصة الخبر المحلى بأداة التعريف الدالة على العهد أو الكمال, وتحدث أيضا قبل أداة الاستدراك لكن و أداة الإضراب بل, و تقع بعد القول وحكايته.
- **الاستراحة:**يتوقف تفعيلها على قدرة المتكلم و على مدى فهمه و استيعابهلقواعد اللغة.

وظيفة الفاصلة:تؤدي الفواصل الصوتية دورا جليلا في الكلام المنطوق و بمعية النبر والتنغيم تكشف عن طبيعة التركيب و ماهيته و دلالته؛ و يرتبط الأداء الصحيح لها

---

[213]انظر: فن الكلام, كمال بشر, ص23-24.
[214]انظر: علم الأصوات,كمال بشر, ص 560.

بعنصرين مهمين هما" أولهما: هيئات التراكيب و ما تنتظمه من قواعد و أحكام تحدد نوعيتها و خواصها النحوية- الصوتية و الصرفية و التركيبية- ثانيهما المعنى الذي يفصح عن هذا التركيب."[215] كما تساهم في تصنيف الجمل و العبارات إلى أصنافها, وتوجيه الإعراب. و لجلاء الفكرة أكثر نورد الأمثلة التي وضح بها كمال بشر دور الفواصل و الأثر الناجم عنها في التراكيب بمثالين:

المثالالأول:يبين فيه اختلاف الإعراب مستخدما الفواصل الصوتية في تحليلها, وعلامات الترقيم دليل عليها كتابيا مبرزا ذلك في ثلاث حالات في الآية الكريمة الأولى من سورة البقرة(أَلَم ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدى لِلْمُتَّقِين) التي تضم ثلاث جمل مستقلة محددة بسكتتين,و قد أشير إلى ذلك بوضع النقاط التي تدل على تمام الكلام و نهايته, ويكون إعراب الحالات الثلاث ملخصا كما يلي:

فالحالة الأولى: ألم ذلك الكتاب. لا ريب. فيه هدى للمتقين. فالجملة الأولى؛ ذلك الكتاب: تتكون من مبتدإ و خبر, و الألف و اللام في كلمة الكتاب دالة على الحقيقة و المعنى فهو الكتاب الكامل الشامل التام المتفرد وحده بهذا الوصف دون الكتب الأخرى.

و الجملة لا ريب: تتكون من لا النافية للجنس, و ريب اسمها, و الخبر محذوف تقديره موجود و الجملة مستأنفة مؤكدة لما قبلها.

والجملة فيه هدى للمتقين: تتكون من خبر مقدم و مبتدإ مؤخر هو هدى و كلمة للمتقين متعلق بهدى.

الحالة الثانية: ألم ذلك الكتاب. لا ريب فيه. هدى للمتقين. يختلف هذا التركيب عن سابقه, فالجملة ألم ذلك الكتاب يبقى إعرابها كما ورد في الحالة الأولى.

أما جملة لا ريب فيه: فهي جملة مكونة من لا النافية للجنس واسمها وخبرها, و هي إما مستأنفة للتأكيد, أو في محل رفع خبر ثان لاسم الإشارة ذلك.

و جملة هدى للمتقين: هدى خبر لمبتدإ محذوف تقديره هو.

[215] علم الأصوات, كمال بشر, ص 553.

الحالة الثالثة: ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه. هدى للمتقين. فهنا جملتان فقط, فالجملة الأولى؛ ذلك مبتدأ, و الكتاب بدل أو عطف بيان, و لا ريب فيه جملة تتكون من لا النافية للجنس و اسمها و خبرها في محل رفع خبر المبتدأ ذلك.
و جملة هدى للمتقين: تعرب نفس الإعراب الوارد في الحالة الثانية[216].
المثال الثاني: يبن كيفية الاختلاف في إعراب كلمة السماء لاختلاف القراءة الواردة في الآية الكريمة(أَ أَنْتُم أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءَ بَنَاهَا)[217] فهذه الكلمة قرأت مرفوعة السَّمَاءُ باعتبارها معطوفة على الضمير أنتم, و كما قرأت منصوبة السَّمَاءَ ونصبها على الاشتغال بفعل محذوف يفسره المذكور, و يفسر كمال بشر أداءها الصوتي ففي حالة الرفع يقتضي النطق سكتة خفيفة مصحوبة بنغمة صاعدة دليلا على الاستفهام الوارد في الآية ثم تأتي بقيتها موضحة لمضمونها أ أنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها... أما في حالة النصب فلا وجود للسكتة لأن كلمة السماء متصلة بما بعدها, فتأتي السكتة وتكون سكتة خفيفة مصحوبة بنغمة صاعدة دليلا على عدم تمام الكلام بين كلمتي خلقا و العاطف أم؛ أأنتم أشد خلقا , أم السماء بناها...[218]

و مما تقدم ذكره تتضح أهمية هذه الظواهر الصوتية في الأداء الكلامي و عملية الفهم والإفهام فهي تكسب المنطوق أداء متميزا, و تقوم بتجويد البناء و إضفاء ما نقص منه؛ فإذا كانت الفونيمات التركيبية هي أساس صحة البناء داخليا؛ أي من حيث التأليف والنظم, فإن الظواهر الصوتية هي أساس صحته الخارجية؛ أي مطابقة ظروف المقال لظروف المقام, و بهما معا يكون البناء اللغوي بناء سليما.
أما إذا نظرنا إليهما نظرة الباحث و الدارس فالأولى دليل يشرح الأثر المكتوب, و الثانية دليل يشرح الأثر المنطوق.

[216]انظر: دراسات في علم اللغة, كمال بشر, ص 26-28.
[217]النازعات: 27.
[218]انظر: علم الأصوات, كمال بشر, ص 561-562.

الفصل الثالث

الفكر الصوتي الوظيفي عند مدرسة براغ.

المبحث الأول: التعريف بمدرسة براغ الصوتية الوظيفية.

المبحث الثاني: علم الأصوات,و الصوت اللغوي عند مدرسة براغ.

المبحث الثالث: أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند مدرسة براغ.

المبحث الرابع: ماهية الفونيمات التركيبية عند مدرسة براغ.

المبحث الخامس: ماهية الفونيمات فوق التركيبية عند مدرسة براغ.

المبحث الأول: التعريف بمدرسة براغ الصوتية الوظيفية.

مدرسة براغ من أشهر المدارس اللسانية الحديثة, ذاع صيتها في مجال الوظيفية,و تميزت عن المدارس الأخرى بنتاج فكرها في الدرس الصوتي الوظيفي, والصدى الذي خلفه على المستويات اللغوية الأخرى.

1- نشأتها و تطورها.

قامت طائفة من علماء اللغة و على رأسها العالم اللغوي التشيكي وليام ماثيسيوس بتكوين حلقة براغ في أكتوبر سنة 1926م, فكانت في بداية نشأتها نادٍ مهم لتكوين الثقافات الفكرية,كما عدت ملتقى الشرق بالإتحاد السوفياتي.

و لقد التف العديد من العلماء غير التشيكين حولها,و ساهموا في نشاطاتها؛ نذكر من جملتهم: لوسيا تيسنير[219],و إميل بنيفست,و أندريه مارتيني,أما هؤلاء الثلاثة الروس: سيرك كرسيفسكي,و رومان جاكبسون,و نيكولاي تربتسكوي؛ فهم الذين فتحوا الطريق للأعمال في هذا النادي؛ حيث مثلوا الملتقى الدولي في لاهاي سنة 1928م, أين صاغوا جملة من المبادئ,و الاقتراحات الهامة؛ فكان الاقتراح الثاني و العشرون من أبرزها, وأهمها الخاص بالفونولوجيا؛ الذي ينظر إليها أنها العلم الذي يدرس أصوات اللغة.[220]

و في العام التالي قدموا الجزء الأول من الدراسة الجمالية بعنوان الأعمال,و في سنة 1930م ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية أعدها جاكبسون,و عقد في براغ مؤتمرا للصوتيات,بعدها تأكدت الحركة الصوتية على المستوى الدولي بمجموعة من المؤتمرات اللاحقة حتى سنة 1938م.

و لم يستغرق تطور النشاط الخصب الذي قامت به المدرسة إلا قرابة عشر سنوات, وعند قيام الحرب العالمية الثانية؛ حلت فيها الحلقة لأسباب تجهل حقيقتها.[221]

---

[219]Lucien Tesnière

[220]انظر: 100 fiches pour comprendre la linguistique. p192. Dictionnaire de linguistique.p 375. et

[221]انظر: المدارس اللسانية, نعمان بوقرة, الناشر مكتبة الآداب, القاهرة,ص 78.

2- مبادئ المدرسة:

- عنيت مدرسة براغ بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل و لأهداف و غايات معينة.
- ترى أن اللغة نظام لا يمكن الفصل بين عناصرها انطلاقا من فكرة دراسة اللغة في ذاتها و لذاتها.
- تصور المدرسة عملية التطور اللغوي على أنها كسر لتوازن النظام القائم,و إعادته مرة أخرى؛ فجاكبسون يرى استغلال الفوارق الصوتية يؤدي إلى الوصول إلى القدرة التعبيرية للقول الانفعالي,و أن الطاقة التعبيرية للأصوات لها دور أساسي في إدخال تعديلات مهمة على الكلمات,و الأنظمة السياقية و الموسيقية.[222]
- يجب أن يتجه البحث الفونولوجي إلى دراسة التقابلات الفونيمية,و لا ينبغي فصل الظاهرة الفونولوجية عن الظاهرة المورفولوجية.
- إعطاء الأولية للبحث الوصفي؛ فهو ذو تأثير على الواقع اللغوي الفعلي, دون استبعاد الدراسة التاريخية؛ لأن النظام اللغوي الكامل لا بد أن يكون تاريخيا في ضوء الوصفية.[223]
- المنهج المقارن في اللغة يجب أن يتخلص من محدودية الملاحظة ليتمكن الباحثون من بناء أنماط مميزة للغات؛و هو المنطلق الذي أسست عليه نظرية الملامح التميزية كأنماط مميزة لأصوات اللغة في مختلف اللغات.
- بناء نظرية الفونيم وتطويرها,و استغلالها في الدرس الصوتي,و اللغوي, و تصديرها مع نظرية الملامح التميزية.
- اعتمدت مدرسة براغ على بعض العلوم الدقيقة كالفيزياء,و الرياضيات في التحليل الصوتي,و لم تقتصر على ما يلاحظ في الواقع مباشرة. كما استعانت بالآلات و الأجهزة في الدراسة الصوتية متحرية في ذلك الدقة.

---

[222] انظر: Dictionnaire de linguistiqueJean Dubois. Mathée Giacomo. Louis Guespin. Christian Marcellesi. Jean-Baptiste Marcellesi. Jean-Pierre Mével; Larousse, Paris, 2002.p375 . Et 100 Fiches pour comprendre la linguistique, Gilles Siouffi et Dan van Raemdonck, Bréal, Paris.p192.

[223] انظر:المدارس اللسانية, نعمان بوقرة, ص 81-82.

3- أعلام المدرسة:

لطالما استقطبت مدرسة براغ العديد من العلماء اللسانيين؛و إضافة على من قدمنا أسماءهم نذكر: ترنكا,و هافرانيك وي,و موكاروفسكي, فقد كانت لهم إسهامات جليلة فيها, إلا أننا سنقصر الحديث و الدراسة على الأعلام الثلاثة,فهم الذين تميزوا بأولوية السبق في وضع أسسها,و النجاح الفريد الذي عرفوا به من خلال نتائج أبحاثهم في الفكر الصوتي الوظيفي و هم: نيكولاي تربتسكوي[224],و رومان جاكبسون[225],و أندريه مارتينيه[226].

[224]**تروبتسكوي:** عالم لساني روسي ولد سنة 1890 و توفي سنة1938 بفينا,و هو من عائلة عريقة تنتمي إلى أمراء روسيا, انكب على الدراسات اللغوية منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره, ودرس في قسم اللغة الهندو أوروبية في الجامعة التي كان يديرها والده, و في سنة 1916 أصبح عضوا في هيئة التدريس. كما شغل مناصب عديدة في جامعات عالمية, وصقل قدراته بالنهل من علوم لغوية متنوعة.من أشهر مؤلفاته؛ مبادئ الفونولوجيا.

[225]**رومان جاكبسون:** من مواليد مدينة موسكو سنة 1896 من عائلة يهودية روسية برجوازية, أتقن العديد من اللغات العالمية, اهتم بالدراسات الأدبية في سن مبكرة, تخصص في مجال القواعد المقارنة و فقه اللغة السلافية في جامعة موسكو, يعد من أوائل اللسانيين في الدراسات التحليلية البنيوية للنصوص و الآثار الأدبية. شغل مناصب كثيرة و متنوعة في عدة جامعات عالمية, توفي سنة1983.ومن أشهر مؤلفاته؛ ست محاضرات في المعنى, اتجاهات رئيسة في علم اللغة, مقالات في علم اللغة العام, أساسيات اللغة.

[226]**أندريه مارتيني:** من مواليد مقاطعة السافوا بفرنسا سنة 1908. تختص في اللغة الأنجليزية ثم اللسانيات العامة, و درس في جامعة الدنمارك, ثم الولايات المتحدة الأمريكية بجامعة كولومبيا أين تأثر باللساني بلومفيلد,و في سنة1948 تولى منصب مدير المجلة اللسانية الكلمة بنيويورك, بعدها شغل منصب أستاذ في جامعة السربون؛ ليرتقي إلى منصب مدير الدراسات اللسانية في معهد الدراسات العليا بباريس. و من أشهر مؤلفاته؛ التغيرات الصوتية, الاقتصاد في التغيرات الصوتية, وصف صوتي للكلام الفرنسي, مبادئ اللسانيات العامة, وظيفة الألسن و ديناميتها.

المبحث الثاني: علم الأصوات و الصوت اللغوي عند مدرسة براغ.

أولا: علم الأصوات و الفونولوجيا عند مدرسة براغ.

1- تعريف علم الأصوات:

يعرف أندريه مارتينيه؛ علم الأصوات "هو دراسة التصويت بصورة عامة؛أي اشتغالية الأعضاء التي تشترك في إنتاج أصوات اللغة الإنسانية,و في تلقيها, كما يسعى إلى جمع أشمل المعلومات عن المادة الصوتية العامة."[227]

فعلم الأصوات يختص بالمادة الخام أي دراسة الأصوات اللغوية التي تجري في الكلام باعتبارها حركات عضوية لها أجراس صوتية تستقبلها الأذن دون النظر في وظيفتها.

2- تعريف الفونولوجيا:

إذا كان علم الأصوات يجمع المادة الصوتية بصورة عامة, فالفونولوجيا تضع المناهج و المعايير لتلك المادة؛ يقول مارتيني:"إن الفونولوجيا هي دراسة الطريقة المبتكرة التي يستفيد بواسطتها كل لسان من الموارد التصويتية كي يؤمن التواصل بين مستخدميه,و بين الخيارات النطقية كلها, تحتفظ الفونولوجيا بعدد معين منها قابل لتحقيق نتاجات قابلة لتعيين هويتها سمعيا؛ إنها تلك الخيارات التي يستخدمها المتكلمون كي يميزوا مختلف الأحداث المعنوية, بمقابلة بعضها مع بعض,و كي يبنوا تباينات بين تلك الوحدات التي تتابع في السلسلة الكلامية."[228]

الفونولوجيا تبين وظائف هذه الأصوات,و قيمها في اللغة المعينة منتهية بوضع قواعد ونظم تحدد نوعيات هذه الأصوات وصنوفها, و أدوارها في البناء اللغوي؛ أي تجريد هذه المادة و الانتهاء بها إلى صورة قواعد و قوانين عامة.

3- العلاقة بين علم الأصوات و الفونولوجيا.

ترى مدرسة براغ وجود علاقة قوية رابطة بين علم الأصوات و الفونولوجيا؛ يقول ترنكا أحد أعلامها:"عندما تبدأ الدراسة من الصورة الصوتية,و تتدرج في طريقها حتى تصل إلى القوانين المجردة,فإنها تجد نفسها في مجال الفونولوجيا, أما إذا أخذت

---

[227] وظيفة الألسن و ديناميتها, أندريه مارتيني, ترجمة نادر سراج, دار المنتخب العربي,بيروت-لبنان, ط الأولى, سنة1996,ص257.
[228] نفس المصدر,و ص.

طريقها هذه المرة من القوانين المجردة,و سارت في عملها حتى وصلت إلى الصورة الواقعية للأصوات فإنها تجد نفسها في مجال الفوناتيك... إننا إذا علمنا أن الفوناتيك إنما يختلف فقط عن الفونولوجيا في انتهاج طريق مخالف في سير الدراسة, أدركنا أن مشكلة الحدود الفاصلة بين الظواهر الفوناتيكية و الفونولوجية أصبحت غير ذات موضوع,لأن هذين النوعين من الظواهر متكاملان,و متعاونان في سبيل تحقيق أهدافهما الفردية والاجتماعية."[229]

كلاهما يبحثان في مجال واحد فالنقطة التي ينتهي فيها علم الأصوات هي التي تبدأ فيها الفونولوجيا؛ فالأول يرصد و يسجل,و الثاني يضع القوانين والقواعد؛لأن مادتهما واحدة وهي أصوات اللغة, وهدفهما واحد وهو دراسة هذه الأصوات, والفرق بينهما إنما هو في المنهج و الطريقة, ومن ثم لا يجوز الفصل بينهما أو عزل أحدهما عن الآخر.

ويدعم هذا الرأي ما ذهب إليه مالبرج Malmberg:" إن الفونولوجيا تقرر عدد التقابلات المستعملة وما بينها من علاقات متبادلة. أما علم الأصوات اللغوية التجريبي فهو يحدد, بوسائله المختلفة, الطبيعة الفيزيائية و الفسيولوجية لما لوحظ من تميزات. إن الدارس التجريبي لن يعرف ما الذي ينبغي عليه أن يفعله دون التحليل اللغوي للنظم,و الوحدات الوظيفية.و دون التحليل الفيزيائي,و الفسيولوجي لجميع ظواهر النطق, يجهل اللغوي الطبيعة الحسية للتقابلات المقررة. إن هذين النوعين من الدراسة يعتمد أحدهما عن الآخر, وهما متكاملان. و من العبث أن نحاول أن نقرر أيهما أفضل من أخيه."[230]

ثانيا: الصوت اللغوي.

1- تعريفه: يرى أندريه مارتينيه؛ أن الصوت المنطوق ينتج في معظم الحالات عن تأثير بعض الأعضاء في تيار الهواء القادم من الرئتين؛ فتحدث أصوات لغوية مجهورة عند اهتزاز الأوتار الصوتية من جراء مرور الهواء. أما إذا لم تهتز الأوتار الصوتية لذلك فتحدث أصواتا لغوية مهموسة.[231]

[229] علم الأصوات,كمال بشر, ص81-82.
[230] علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, محمود السعران, ص200-201.
[231] انظر: éléments de linguistique générale, André Martinet; p39.

إن التعريف الذي قدمه مارتينيه للصوت اللغوي؛هو تعريف فسيولوجي محض,أي أنه ركز على الجانب النطقي فقط دون سواه من الجوانب الصوتية الأخرى كالفيزيائي, والسمعي.

فالصوت اللغوي هو الأثر الذي يصدره المتكلم بمساهمة أعضاء النطق الفاعلة فيه؛ والتي تتمثل في الرئتين,و الأوتار الصوتية,و الفم,فيحدث جراء انطلاق الهواء من الرئتين مرورا بالأوتار الصوتية,و العوارض التي تعترض مساره في الفم حتى خروجه, مما ينتج أصواتا متباينة منها المهموسة,و المجهورة.

2-أصناف الصوت اللغوي:

الصوت اللغوي صامت,أو صائت.

أ- **الصوت اللغوي الصائت:** هو ذلك الصوت "الذي يتميز بحرية مرور الهواء, و يرتفع الطبق عند النطق به غالبا,و يتغير تبعا للشكل الذي يتخذه تجويف الفم, و يتوقف شكل هذا التجويف و نوع الصوت الصائت تبعا له على وضعية الشفتين و اللسان بالدرجة الأولى,أما إذا طالت مدة نطقه اعتبرناه صوتا صائتا ممدودا."[232]من خلال هذا التعريف نقف على معايير الصوائت وهي؛

- حرية مرور الهواء, فلا وجود لعائق أو عارض أثناء النطق بها.
- ارتفاع الطبق عند النطق بها.
- تغيير شكل تجويف الفم.
- اتخاذ الشفتين و اللسان حال النطق بها وضعيات معينة.
- الاختلاف في المدة الزمنية؛هو سبب تنوع الصوائت الطويلة و القصيرة.

وهي معايير في حقيقة أمرها متفق عليها في الدرس الصوتي الحديث عند أغلب أعلامه, و هي نفسها التي تطرق إليها كمال بشر؛لكن ما يلفت الانتباه أن مارتينيه في هذا التعريف لم يذكر خاصية الجهر, إذ هي خاصية مميزة للصوائت.

و بناء على ما تقدم ذكره أنواع الصوائت عند مارتينيه هي:

[232]Élements de linguistique générale, André Martinet, Armand Colin, Quatrième édition, Paris, 2003.p 41 .

- الصائت المستدير الخلفي: هو الذي ينطق بشفتين مستديرتين, أو ممطوطتين إلى الأمام, و يكون اللسان في مجمله منجذبا نحو الخلف؛و يمثله الصوت الصائت[u:].
- الصائت الأمامي: هو الذي ينطق عكس سابقه؛ أي بجر الشفتين, و يكون اللسان في الجزء الأمامي من الفم؛و هو الصائت[i:].
- الصائت المنضم:وهو الذي يقترب اللسان حال النطق به من الحنك؛ مثل الصائتين السابقين,[u:] و[i:].
- الصائت المتسع:و هو الذي يتسع الفم حال النطق به إلى أقصى درجة ممكنة؛[a:], و أقل منه اتساعا مع الصائت؛ [e:], و أقل منه اتساعا مع الصائت؛[é:]؛ حتى نصل إلى الصائت؛[i:].
- الصائت الأغن أو الأنفي: و هو الذي ينخفض فيه الطبق في الفم,و تضاف إلى أصدائه أصداء الأنف.

مثل النطق بالصوائت الموجودة في الكلمات التالية:vin -un-fond-vent.[233]

ب-الصوت اللغوي الصامت: يقول أندريه مارتينيه:" الصوامت هي تلك الأصوات اللغوية التي يصعب على المرء سماعها إذا لم يسبقها أو يتلوها حرف صائت."[234]

ما يؤخذ على هذا التعريف أن مارتينيه وضعه في صورة عامة,و سطحية؛ فهو لم يذكر أهم المعايير التي تبين حدود الصوت الصامت؛ التي تتمثل في وجود العارض أو العائق حال النطق به,و اختلاف اعتراض الهواء و تباينه,و خاصية الجهر و الهمس.

3- **أقسام الأصوات الصامتة:**

قسم مارتينيه الأصوات الصامتة ثلاثة أقسام بناء على الاعتبارات الثلاثة المتفق عليها وهي:

- وضع الأوتار الصوتية .
- كيفية مرور الهواء.
- المخارج.

[233]انظر: éléments de linguistique générale, André Martinet, p 42- 44

[234]المصدر نفسه, ص 45.

و لكنه لم يعرض هذه الأصوات عرضا وافيا شافيا, بل أشار إلى بعض منها فقط, في كتابه مبادئ اللسانيات العامة,و هي:

أ- **وضع الأوتار الصوتية:** وهي قسمان المجهورة و المهموسة.

الصوت الصامت المجهور: هو الذي تهتز معه الأوتار الصوتية عند مرور الهواء حال النطق به؛ مثل الصوت Z.

الصوت الصامت المهموس: هو الذي لا تهتز معه الأوتار الصوتية عند مرور الهواء حال النطق به؛ مثل الصوت S.[235]

ب- كيفية مرور الهواء:

الصوت الانفجاري (الشديد): هو الذي يتطلب حال النطق به إغلاق مجرى التنفس ثم فتحه على هيئة انفجار؛ مثل الصوت [b] أو[p].

الصوت الاحتكاكي(الرخو): هو الذي يضيق مجرى التنفس حال النطق به,و لكنه يسمح بمرور الهواء؛ مثل الصوت [f].

الصوت المركب؛ الانفجاري الاحتكاكي: إذا أعقب الانفجار في نطق بعض الأصوات اللغوية احتكاكا؛ سمي الصوت انفجاريا احتكاكيا, مثل صوت [ž] أو [š].

الأصوات المائعة أو السائلة:و هي

الصوت التكراري:و هو صوت[r]و تكون في هذه الحال غير ملثوغة, و تنشأ عن اهتزازات متوالية قصيرة للسان.

الصوت الجانبي أو المنحرف: و هو الصوت[l]؛ إذ يمر الهواء حول أحد العوارض التي تعترضه, فيصدر من الجوانب أو الحواف, فأسلة اللسان ترتفع إلى أصول الثنايا العليا مشكلة ذلك العارض.

صوتا الغنة: هما الصوتان اللذان يتسرب الهواء أثناء النطق بهما من الفم و يخرج من الأنف,و هما[m] و [n].[236]

[235] انظر: Élements de linguistique générale, André Martinet. P 40.

[236] انظر: المصدرنفسه, ص 45- 58.

ج- المخرج:

لم يتطرق مارتينيه إلى كل المخارج,بل اكتفى ببعض منها فقط,و الحال نفسه في وصف مخرج الأصوات اللغوية؛و هي:

- الصوت الشفوي: هو الذي يصدر من الشفتين مثل صوت[b].
- الصوت الأسناني الشفوي: هو الذي يصدر من بين الشفة السفلى,و الثنايا العليا؛ مثل صوت [f].
- الصوت الأسلي: هو الذي صدر من أسلة اللسان,أو بطرفه مثل صوت[f] أو [d].
- الصوت النطعي: هو الذي يرتفع الجزء الأمامي من اللسان حال النطق به باتجاه أصول الثنايا؛ مثل صوت [S].[237]

[237]انظر: éléments de linguistique générale, André Martinet, p 45- 58

المبحث الثالث: أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند مدرسة براغ.

يتجسد الفكر الصوتي الوظيفي عند مدرسة براغ في تلك الرؤى الحديثة,و مناهج الدراسة,و طرائق التحليل التي خلقت أهم النظريات,و أرست الدرس الصوتي, وحددت معالمه,و حدوده؛و هذا من خلال المدونة المقصودة في بحثنا,و تمثلها الكتب التالية:

- **أساسيات اللغة؛ لرومان جاكبسون و موريس هالة.**
- **وظيفة الألسن و ديناميتها؛ لأندريه مارتينيه.**
- **مبادئ اللسانيات العامة؛ لأندريه مارتينيه.**

أولا: مرجعية فكر مدرسة براغ.

تعد الدراسات اللسانية التي أسسها فردينان دي سوسير المرجعية الفكرية لمدرسة براغ, فلقد تأثروا بآرائه تأثرا جليا خاصة في المبادئ التالية:

- التفريق بين اللغة و الكلام:فالكلام هو الحدث الفعلي المنطوق الصادر من طرف المتكلم في موقف معين,أما اللغة هي القواعد و الأمور العقلية المخزنة في ذهن الجماعة,بها يتكلم الناس الكلام تبعا لتلك القواعد؛يقول دي سوسير:"حين نعزل اللغة عن الكلام فنحن نعزل في الوقت نفسه ما هو فردي عما هو اجتماعي ,و ما هو جوهري عما هو ثانوي وعرضي إجمالا؛فاللغة ليست وظيفة المتكلم, بل هي نتاج يتمثله المتكلم,و لا تقتضي أبدا أي تدبر, بل يدخل التأمل لغرض التصنيف و حسب,و على العكس من ذلك,فإن الكلام فعل فردي, فهو معتمد و مقصود و في داخل الفعل ينبغي أن نميز بين التأليفات التي يستخدم بها المتكلم شفرة اللغة للتعبير عن أفكاره,و الآلية النفسية التي تسمح له بإخراج تلك التأليفات."[238].و هذا التفريق كان المنطلق الأساسي عند مدرسة براغ في الدراسة الصوتية,و المبدأ المتبع في التفريق بين علم الأصوات و الفونولوجيا.
- الفرق بين علم الأصوات و الفونولوجيا: فعلم الأصوات يدرس أصوات الكلام, والفونولوجيا تدرس أصوات اللغة.

---

[238] أساسيات اللغة, رومان جاكبسون و موريس هالة,تر سعيد الغانمي,الناشر كلمة و المركز الثقافي,الطبعة الأولى,سنة 2008, ص11.

- استغلال ثنائياته في الدرس اللغوي و الصوتي و تطويرها:و هذا ما يعترف به رومان جاكبسون,و يؤكده قائلا:"و حين يفصلنا ربع قرن عن مؤتمر براغ الدولي, الذي أقام الأساس لعلم الأصوات العام, يكون من المناسب مسح المشكلات الأساسية لهذا العلم في مرحلته الحاضرة.و من ناحية أخرى, من المغري أن نستكشف, بعد أربعين سنة من نشر كتاب دي سوسير محاضرات في علم اللغة العام بتمييزه الهام بين المستوى التبادلي و الترابطي للغة, ما كان استمد و ما يمكن استمداده من ثنائيته الأصلية."[239]
- نظرية الفونيم: تأثروا برأيه في الفونيم؛ فهو الجانب غير المادي للصوت, أو الصورة الذهنية له؛ وظيفته التفريق بين معاني الكلمات.[240]

ثانيا: المنهج و طريقة البحث.

اعتمدت مدرسة براغ المنهج الوصفي, حيث وصفت الأصوات اللغوية مرتكزة في ذلك على الجوانب الصوتية الثلاثة؛ الجانب الفيسيولوجي, والسمعي,و الفيزيائي, واستعانت بالنتائج الخاضعة للتجارب الآلية,ثم انتقلت إلى دراسة الظواهر الصوتية -المقطع,و الفونيم,و النبر,و التنغيم-؛أي من الدراسة الصوتية العامة المجردة إلى الدراسة التركيبية الوظيفية, كما اعتمدت المنهج المقارن في دراسة أصوات لغات معدودة كالروسية,و الإسبانية,و الألمانية,و التشيكية وغيرها لإيضاح الفوارق الصوتية و الأدائية ثم تأسيس النظريات الفونولوجية.

ثالثا: الآراء الصوتية الوظيفية لمدرسة براغ.

أولا: تروبتسكوي نيكولاي سير جيفتش.

يعد المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي من خلال كتابه مبادئ الفونولوجيا؛ حيث بين فيه الدور المركزي للفونيم - الوحدة الصوتية - و طبيعة العلاقات التي تفرض أو تطرأ عليه "لقد أسس تروبتسكوي في أسسه نظاما معقدا لدراسة الرموز الصوتية,

---

[239] أساسيات اللغة, رومان جاكبسون, ص 30.

[240] انظر: علم اللغة العام, فردينان دي سوسير؛ترجمة؛ د. يوئيل يوسف عزيز, دار أفاق عربية, بغداد, الطبعة الثالثة, ص56-74.

ذلك النظام الذي يمكننا من تعيين نوع الأصوات الذي تملكه اللغة."[241]و من أبرز أرائه الصوتية نذكر؛

- أقام تصوره للفونيم على أساس التفرقة التي وضعها دي سوسير بين اللغة والكلام؛ حيث ينتمي الفونيم إلى مفهوم اللغة, أما الأصوات فتنتمي إلى الكلام.و من هذا التصور وضع الحدود الفاصلة بين علم الأصوات- فوناتيك- و علم الأصوات الوظيفي-الفونولوجيا- "فحكم على الفوناتيك بأنه من العلوم الطبيعية, على حين عد الفونولوجيا منهجا لغويا أوفرعا من فروع علم اللغة, على الرغم من اعتراف تروبتسكوي بأهمية الفوناتيك بالنسبة للفونولوجيا و علم اللغة بعامة."[242]و بمعنى آخر, فرق تروبتسكوي بين علم الأصوات,و علم الأصوات الوظيفي؛ فعلم الأصوات, هو الذي يحلل,و يصف أصوات اللغة,و هي في حالة التجريد؛ أي معزولة عن التركيب اللغوي,و مستقلة عن غيرها. أما علم الأصوات الوظيفي؛ فهو الذي يعالج الوحدات الصوتية انطلاقا من وظيفتها داخل التركيب اللغوي.
- طور مفهوم الفونيم؛فهو أصغر وحدة فونولوجية,و هو علامة لسانية مهمتها حمل معنى الكلمة,و بين النظام الثنائي للتقابلات الصوتية؛و يقول في ذلك جيفري سامبسون"لقد طور تروبتسكوي معجما لتصنيف الأنواع المختلفة من التقابلات الصوتية-على سبيل المثال- لقد ميز بين التعارضات الخاصة التي تتوافق فيها و حدتان صوتيتان (فونيمان) فيما عدا اشتمال إحداهما على علامة لا توجد في الأخرى مثل(f-v) فإن العلامة الفارقة بينهما هي الجهر. التعارضات التدريجية التي يكون الخلاف فيها بين الأجزاء في امتلاك درجات مختلفة من الخصوصية المتدرجة على سبيل المثال -i-e مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية منفذ (فتحة) الحركة الموجودة في حرف العلة. و التعارضات المتكافئة التي يتواجد في كل جزء منها علامة مميزة لا توجد في الآخر."[243].
- وضع مجموعة من القوانين خاصة بدراسة الفونيم و تحليله على المستوى الصوتي منها؛
  - ينبغي التمييز بين الوحدة اللسانية غير المتغيرة (الفونيم) و تحقيقات الصوت الفعلية المتنوعة.

[241]المدارس اللغوية التطور و الصراع, جيفري سامبسون, تر؛ أحمد نعيم الكراعين,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع, بيروت, لبنان,الطبعة الأولى,سنة 1993م, ص112.
[242]التفكير اللغوي بين القديم و الجديد, كمال بشر, ص 124.
[243]المرجع السابق, ص111.

- الفونيمات المنتمية إلى لغة واحدة متضادة فيما بينها,و يتم التعبير عنها بواسطة عناصر الحركات,و الصوامت,و الإيقاع.
- تؤدي التقابلات الثنائية دورا جوهريا, تظهر في سلسلة المكونات المتوازنة,و يؤدي أحد طرفي التقابل وظيفة الطرف الموسوم, الذي يدخل في تميز بالضد مع الطرف غير الموسوم.[244]

ثانيا: رومان جاكبسون.

لقد أهلته نظرياته أن يكون عالم أصوت بارزا في الفونولوجيا؛"إن اهتمامات جاكبسون الذكية كانت واسعة متحررة,و تعكس كلما جاءت به مدرسة براغ, لقد كتب كتابة عظيمة حول المنهج البنيوي للأدب,و مهما يكن في مجال التأثير على البحث اللغوي,فإن الاتجاه الأهم لعمل جاكبسون هو النظرية الصوتية, يعد جاكبسون هنا عضوا متميزا في مدرسة براغ مثل تروبتسكوي؛ فهو مهتم بتحليل الوحدات الصوتية إلى ملامحها المكونة أكثر من اهتمامه في توزيع الوحدات الصوتية,و لكن آراءه تمثل تطورا خاصا يوصل إلى نهاية أفكارها المنطقية, التي توجد بوضوح و تتردد في أعمال تروبتسكوي,و أعضاء آخرين من مدرسة براغ."[245] و من أهم أرائه ما يلي:

- أسس نظرية الملامح التميزية مستعينا بالآلات و الأجهزة في الدراسة الصوتية؛ فنتج عن ذلك تطور هذه الدراسة التي أصبحت تعرف بعلم الأصوات التجريبي أو الآلي, وعليها بنى نظريته الفونولوجية على مبدأ الازدواجية أو الثنائية التي تحدث نتيجة لتقابلات صوتية معينة إذا وجدت فالوحدة الصوتية معلمة, و إذا غابت فهي غير معلمة, كما حاول جاكبسون تطبيق فكرة الملامح التميزية في التحليل المورفولوجي.
- أعطى جاكبسون الأولوية للدراسات التاريخية و ذلك عكس دي سوسير الذي أولى الاهتمام لدراسة التنظيم الفونولوجي الحالي للغة,و حاول أن يدرس هدف التغير الطارئ على الفونيمات عبر المسار التاريخي للغة أكثر من محاولة فهم أسبابه و مصادره, فتوصل إلى وضع تنظيم فونولوجي كلي يحتوي على اثنتي عشرة سمة ثنائية سمعية

---

[244] انظر: المدارس اللسانية, نعمان بوقرة, ص 86.
[245] المدارس اللغوية التطور و الصراع, جيفري سامبسون, ص 122.

صالحة لوصف النظام الفونولوجي في كل اللغات الإنسانية, فهذه السمات كلية تختار اللغة على إثرها نظامها الفونولوجي,و هي على النحو التالي:

(مجهور/مهموس),(غليظ/حاد),(رخو/شديد),(مزيد/غيرمزيد),(شفهي/غني), (متكثف/منفلش),(صائت/صامت)...إلخ.

ثالثا: أندريه مارتيني.

يعتبر التقيطع المزدوج أساس نظرية مارتيني,و يمثل تطورا آخر للفكر الصوتي الوظيفي في مدرسة براغ,فهو امتداد للنتاج الذي أتى به تروبتسكوي,و جاكبسون " إنه من أهم المبادئ التي تبنى عليها أفكار مارتيني, وهو الميزة التي تباين الأنظمة اللسانية البشرية عن التنظيمات الاتصالية الأخرى كلغة الحيوان و الطبيعة و الإشارات."[246]

فهو يرى أن اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغيةلكونه مزدوج التقطيع؛أي الأقوال اللسانية تتكون من مستويين مختلفين هما:

مستوى التقطيع الأول: و فيه نحصل على وحدات ذات مضمون معنوي(المدلول) وصوت ملفوظ (دال) و تسمى هذه الوحدات مونيمات.

مثل: خرج الولد ← خرج/ ال/ ولد/.

مستوى التقطيع الثاني: يمكن تقسيم المونيمات إلى الوحدات دنيا-أيضا- مجردة من كل دلالة, ولكنها تسمى بالفونيمات وهي محصورة في كل لسان.

مثل:خرج ← خ/ ر/ ج.

وفكرة التقطيع الثانوي فكرة قيمة في الدرس الصوتي خاصة,و الدرس اللساني عامة "إن لهذا المبدأ قيمة لسانية, ذاك أنه يمنح اللغة القدرة على التعبير عن اللامتناهي من الأفكار و المعاني المجردة بواسطة هذا العدد المحصور من الفونيمات – الأصوات اللغوية-و هذا ما يؤسس مفهوم الاقتصاد اللغوي في اللسانيات."[247]

[246]محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة, شفيقة العلوي, أبحاث للترجمة و النشر و التوزيع, بيروت-لبنان, الطبعة الأولى, سنة 2004.ص18.

[247]محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة, شفيقة العلوي, ص19.

و يساهم في الكشف عن الفوارق الصوتية,و المقابلات الثنائية, و الأداءات الكلامية؛ وذلك بأن يحصي الباحث مجموعة من الوحدات اللغوية, ثم يرتبها من حيث الشبه والاختلاف عن طريق المقابلة بينهما ليتضح له الفرق في الأداء و التركيب و الوظيفة في تغيير المعنى.

كما استطاع مارتينيه أن يطور التحليل التركيبي للجملة انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها الدراسة الفونولوجية.

المبحث الرابع: ماهية الفونيمات التركيبية و أبعادها عند مدرسة براغ.

في بداية الأمر لا بأس أن نعرج على مصطلح الفونيم عند الغرب؛من الأوائل الذين استخدموا هذا المصطلح فريدنان دي سوسير؛ إلا أن أول من أعطى لهذا المصطلح مفهومه الدقيق,و تفحصه هو اللغوي جان بودوان-Jan Boudouin, ثم خلف من بعده تلميذه كراسيفسكي أحد أعلام هذه المدرسة الذي ميز بين الفونيم و آلفون أو تنوعاته, وفي سنة 1881صرح به في أحد كتبه؛ حيث أطلق على الوحدة الصوتية الفونيم.[248]

و هي الوحدات النووية الأساسية في البناء اللغوي,و التي تختص دون سواها بنظام التقطيع الثانوي,و هي محل دراسة و اهتمام علم الأصوات العام, التي تنبؤنا عن مكوناتها الرئيسية الملامح التميزية, و بهذه المعطيات تعتبر المستوى الأول في التحليل اللغوي.

أولا: تعريف الفونيم.

يعرف تروبتسكوي الفونيم: هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس له القدرة على تغيير المعاني؛و من هذا المفهوم تتفرع النقاط التالية:

- إذا كان صوتان من اللسان نفسه في الإطار نفسه,و يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر, فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد مثل: قال و كال فاختلاف القاف و الكاف لا يؤدي إلى تغير المعنى.
- إذا كان الصوتان من اللسان نفسه و الإطار نفسه, و لا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر, فهما صورتان واقعيتان لفونيمين مختلفين مثل حال و جال فالحاء و الجيم هما فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما,و هما قادران على تغير الدلالة.
- إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربان من الناحية السمعية أو النطقية,و لا يظهران في الإطار الصوتي نفسه, فهما تنوعات صوتية لفونيم واحد, مثل صوت النون في العربية التي تتعدد صورها بتعدد الأصوات الموالية لها.[249]

---

[248]انظر: دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, ص 169.
[249]المدارس اللسانية, نعمان بوقرة, ص 83-84. و انظر: المرجع السابق, ص 216.

و مما تقدم فالفونيم عبارة عن نماذج صوتية لها القدرة على تمييز الكلمات,و أشكالها, وتحديد الأنماط الصوتية المستقلة, التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات, ومنه فكل فونيم في نظر تروبتسكوي يؤدي الوظائف التالية بناء على النقاط السالفة:

أ- وظيفة إيجابية: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.

ب-وظيفة سلبية: حينما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى و الكلمات الأخرى.

ج- وظيفة تمييزية: حينما يعارض فونيما ما فونيما آخر في إشارتين مختلفتين, أو عن طريق التضاد, مثل الزوج(تاب/ناب).

و يعرف أندريه مارتينيه الفونيم قائلا:"تتجسد الوحدة الصوتية الواحدة في تلك الوحدات التميزية الناتجة عن عمليات الجرد المختلفة, إذا كانت هذه الوحدات ترتبط بالعلاقات ذاتها مع بقية الوحدات في الجرد الواحد, هذا يعني أننا نطابق بين مطلع bûche و مطلع bouge باعتبارهما أداء لفظيا للوحدة الصوتية ذاتها؛و هي/b/ و دليل ذلك أننا نستطيع تعريف كل وحدة منهما بأنها:1- شفوية, 2- مجهورة, 3- غير مغننة."[250] فالفونيم عند مارتينيه؛ هو وحدة صوتية ناتجة عن ملامح تميزية. تخول له الاستقلالية الذاتية عن باقي الوحدات الصوتية الأخرى, و تعرف هذه الوحدات عن طريق رصد الملامح التميزية في كلمات متنوعة؛" لا بد للمرء قبل أن ينتقل إلى عملية جرد الوحدات الصوتية من تعيين كل قطع و ذلك بأن يشير إلى ما يميزه داخل النسيج الصوتي الذي يقع فيه عن بقية القطوع التي تقع هناك. و بعد أن يتم ذلك يستطيع المرء أن يساوي بين جميع القطوع التي يمكن تحديدها بطريقة واحدة و لو وردت ضمن نسج مختلفة, و أن يعتبرها أداء لفظيا لوحدة صوتية واحدة."[251]

إذا كان الفونيم وحدة صوتية تضم حزمة من الملامح التميزية, فالملامح التميزية هي مجموعة من الصور النطقية تظهر في النسيج اللغوي خلال الأداء اللفظي. فصوت/b/ في الكلمتين السابقتين له صورتان نطقيتان مختلفتان,و لكنهما لا تخرجان عن الفونيم/B/.

و نقف لتصور آخر مهم للفونيم عند رومان جاكبسون يحلل فيه الصورة الداخلية للفونيم و علاقته بالصوت؛ يقول فيه:" تعلم المتكلم أن يطلق حركات منتجة للأصوات

[250] éléments de linguistique générale, André Martinet, p 74- 75.

[251] المصدر نفسه, ص69.

بطريقة تكون فيها الملامح التميزية حاضرة في الموجات الصوتية, و تعلم المستمع أن يستخلصها من هذه الموجات. و هذا التناول الداخلي الضمني الذي يضع الملامح التميزية و حزمها في إطار الأصوات الكلامية باعتبارها المحرك المولد لها على المستوى السمعي أو الفيزياوي, هو أفضل مقدمة للعمليات الفونيمية."[252] و من هذا التصور نستنبط النقاط التالية:

- الموجات الصوتية الناجمة عن النطق تحتوي ملامح تميزية.
- الملامح التميزية أصوات كلامية؛ ناجمة عن ظواهر سمعية و فيزيائية.
- الملامح التميزية بالصيغة المشار إليها أعلاه, هي التي تنتج الفونيم.
- الفونيم ليس صوتا بل مجرد ملامح تميزية ذات ظواهر سمعية و فيزيائية مجتمعة مع بعضها البعض ينتجها المتكلم و هي التي يستقبلها المستمع.

و هذا التصور في حقيقة أمره مأخوذ من فكر بلومفيلد في تعريفه للفونيم: ليست فونيمات لغة ما أصواتا, بل مجرد سمات صوتية اجتمعت معا, تمرن المتكلم على إنتاجها والتعرف عليها في تيار الأصوات الكلامية.[253]

و مما تقدم ذكره يتضح لنا جليا أن الفونيم عند مدرسة براغ؛ هو وحدة صوتية تختصر مجموعة معينة من الملامح الصوتية التميزية.

فالملامح التميزية تنتظم في محورين: أفقي و عمودي؛ ففي المحور الأفقي يتأثر كل ملمح بما سبقه أو لحقه, و هنا تنتج الصور النطقية المتنوعة, و لكنها لا تخرج عن الإطار نفسه. أما المحور العمودي؛ فهو الذي تشكل فيه الملامح التميزية وحدة صوتية في التوزيع داخل البناء اللغوي,و هي التي تسمى الفونيم.

ثانيا: الملامح التميزية.

لم تعد الأصوات الكلامية هي أصغر الوحدات في الأنظمة الصوتية, بل إن الأصوات نفسها تتكون من ملامح نطقية تتضمن ظواهر سمعية و فيزيائية, هي التي تخضع للتحليل, و لتجزئة أصغر. و هذا هو المعتقد الذي اعتنقته مدرسة براغ, و آمنت به,

[252] أساسيات اللغة, رومان جاكبسون وموريس هالة, ص 41.
[253] انظر: نفس المصدر,و ص.

وأخرجت للوجود نظرية الملامح التميزية. فهي أساس التحليل الصوتي, يقول رومان جاكبسون: " يقسم التحليل اللغوي الوحدات الكلامية المعقدة إلى مورفيمات باعتبارها آخر المكونات التي تضفي عليها معنى خاصا, و يذوب هذه الحوامل الدلالية الصغرى في مكوناتها الأخيرة القادرة على تمييز المورفيمات عن بعضها, و تدعى هذه المكونات بالملامح التميزية."[254] و ما يستشف من هذا القول؛ أن الكلام يخضع إلى التقطيع و التجزئة وصولا إلى أصغر وحدة صوتية, فمن سلسلة أحداث نطقية متداخلة فيما بينها إلى الملامح التميزية؛ أي أن أصغر الوحدات الصوتية التي تجزأ للدراسة و التحليل هي الملامح التميزية, فهي التي تكون الفونيم, و به مع فونيم آخر يتكون المورفيم, وبالمورفيم تتكون الكلمات التي يبنى بها النسيج اللغوي.

لقد عرفت فكرة الملامح التميزية العديد من التغيرات و التطورات تعزى إلى وجهات النظر المختلفة,و منهجية الدراسة؛ لذلك ارتأينا أن نعرض و جهتين لها؛ الأولى خاصة بأندريه مارتينيه, و الثانية خاصة برومان جاكبسون.

1- <u>الملامح التميزية عند أندريه مارتيني</u>:

إذ يقول:" في سبيل تعيين أصغر القطوع, و هي العملية التي تسبق عملية تعيين الوحدات الصوتية, لا بد للمرء أن يقارن الطبيعة الصوتية للقطوع المختارة, مع الطبيعة الصوتية للقطوع الأخرى التي قد تحل محلها في النسيج الصوتي,أي التي تتقابل معها. ولو أخذنا مثلا القطع الأول في كلمة douche لوجدنا أنه يتقابل مع القطع الأول في كلمة souche."[255] قبل تعيين الفونيم في لغة ما و الصفات التي تميزه, يجب أن تجرى دراسة صوتية مقارنة للطبيعة الصوتية للصوت اللغوي و نظيره الذي يحل محله في النسيج اللغوي,و يتبادل معه الموقع و التوزيع,و هذا يعني أن لا وجود لصوت لغوي ما لم يوجد الآخر.

254 أساسيات اللغة,رومان جاكبسون و موريس هالة, ص 34.

255 éléments de linguistique générale, André Martinet, p70.

و يضرب لذلك أمثلة منها:touche. mouche. bouche. nouche. Douche.ثم يحدد الصفات المميزة للفونيم/d/ و هي ثلاث:1- المحبس(المخرج) الأسلي, 2- الجهر, 3- اللاغنة أو الشفوية.

فالذي يبينه أندريه مارتينيه هو الصفات المميزة التي استوحاها من عملية التبادل في الموقع, و خاصة بمقطع صوتي محدد؛ و هو (ouche) و به اهتدى إلى تصنيف الملامح التميزية؛ حيث يقول:"فسوف نحصل على التصنفات التالية: مهموس: k š s t f p, مجهورة: b v d z ž g, غير مغنن:b d y, مغنن:m n ñ,حافي:l, لهوي:r, شفوي: m b p, أسناني شفوي:f v, أسلي: t d n, صفيري:s z, متفشي:š ž, حنكي أوشجري: ñ y,مستعلي من ظهر اللسان:k g "[256] و هذه الصفات أو الملامح مؤسسة على مبدأ التناظر, أي الصفة الحاضرة و نظيرتها الصفة الغائبة. و الصفة الفاصلة بينهما مبنية على وضعية الأوتار الصوتية (الجهر و الهمس).

و بناء على هذا نجد الملامح التميزية عند مارتينيه مؤسسة على المخرج, و صفة الجهر و صفة الهمس, و صفة الغنة. ففونيمات اللغة الفرنسية هي على النحو الآتي:

[p]: شفوي مهموس.	[s]: صفيري مهموس.
[b]: شفوي مجهور.	[z]: صفيري مجهور.
[m]: شفوي مغنن.	[š]: متفشي مهموس.
[f]: أسناني شفوي مهموس.	[ž]: متفشي مجهور.
[v]: أسناني شفوي مجهور.	[ñ]: شجري مغنن.
[t]: أسلي مهموس.	[y]: شجري.
[d]: أسلي مجهور.	[k]: مستعلي من ظهر اللسان مهموس.
[n]: أسلي مغنن.	[g]: مستعلي من ظهر اللسان مجهور.

و هذه النماذج أخذت على سبيل الذكر و التفسير لا على سبيل الحصر, حيث نقف على ملامح تميزية أخرى في ثنايا كتابه هذا من خلال شرح بعض الأصوات اللغوية منها؛ صفة الرخاوة و الشدة و الانحراف و غيرها.

[256] المصدر السابق, ص72.

2- الملامح التميزية عند رومان جاكبسون:

يقول فيها:"ينطوي كل ملمح من الملامح التميزية على خيار بين طرفين متناقضين ينكشف عن خاصية اختلافية محددة, تتميز عن خواص جميع المتناقضات الأخرى. هكذا يتعارض الرزين و الحاد مع بعضهما في إدراك المستمع عن طريق شدة الصوت, من حيث هما منخفض الشدة و عالي الشدة نسبيا, و هما من الناحية الفيزياوية يتقابلان و يعارض كل منهما الآخر عن طريق توزيع الطاقة عند نهايات طيف الصوت, و على المستوى الإنتاجي عن طريق حجم تجويف المرنان و هيئته. في رسالة تنقل إلى المستمع, يواجه كل ملمح بخيار بين اثنين من نوع (نعم-لا). و هكذا يجب أن يقوم بانتقاء بين الرزين و الحاد, لأن الخيارين, في اللغة المستعملة لنقل الرسالة, يردان في تأليف مع الملامح المترافقة نفسها في متوالية نفسها:\fitə\-\sitə\.\bil\-\búl\.\ditə\-\bitə\. فالمستمع ملزم بأن يختار بين خاصيتين قطبيتين للصنف نفسه, كما في حالة الرزين مقابل الحاد, أو بين الحضور و الغياب لخاصية معينة مثل المجهور مقابل المهموس, والأنفي مقابل اللا-أنفي, و الحاد مقابل المستوي."[257]

فالملامح التميزية عند جاكبسون مبنية على النظام الثنائي المؤسس على التضاد و التقابل, على مستوى الجوانب الصوتية الثلاثة؛ أي الجانب النطقي أو الإنتاجي,و الجانب السمعي,و الجانب الفيزيائي.و تتعارض هذه الملامح عن طريق التوزيع و التبادل في المواقع أثناء الأداء الفعلي لها. و يستنبطها المستمع بحضور ملمح يستلزم غياب الآخر في الثنائية الواحدة؛و انطلاقا من هذا تحدد ثنائية الملامح التميزية التي وضعها جاكبسون كما يلي:

1- الصائتة/ غير الصائتة:

الإثارة على مستوى الحنجرة مع مرور حر للهواء عبر الجهاز الصوتي.

2- الصامتي/ غير الصامتي:

حضور إعاقة في تيار الهواء في الجهاز الصوتي.

3- المنكمش/ المنتشر:

[257] أساسيات اللغة, رومان جاكبسون و موريس هالة, ص 35.

عضو فاعل في النطق مدفوع إلى طرف أمامي؛ مثل الصوائت العريضة و الصوامت اللهوية و الطبقية, مقابل المدفوع إلى الطرف الخلفي؛ مثل الصوائت الضيقة, والصوامت الشفوية و السنية.

4- الشديد/ الرخو:

ضيق شديد في مجرى الهواء يؤدي إلى انحباسه, مقابل وجود تسرب نسبي في مجرى الهواء.

5- المجهور/ المهموس:

اهتزاز الأوتار الصوتية, مقابل غياب هذا الاهتزاز.

6- الأنفي/ الفموي أو أغن/ لا أغن:

مرور الهواء بالفم ويخرج من الأنف مثل[n], في المقابل مرور الهواء من الفم فقط ؛ مثل الصامت[v].

7- المنقطع/ المستمر:

عدم إمكانية تمديد بعض الأصوات؛ و يقصد بها الشديدة: فالأصوات الشديدة حال النطق بها يكون الصوت منقطع ليس بإمكاننا الاستمرار به مثل[b]. في المقابل هناك بعض الأصوات المستمرة؛و هي الأصوات الرخوة, نستطيع الاستمرارية في نطقها مثل:[m].

8- القوي/ الرخيم:

الصوت القوي؛ هو صوت ذو شدة مرتفعة أو عالية,و الرخيم صوت ذو شدة هافتة أي متدنية.

فالصوت القوي يحدث معه إعاقة تكميلية؛ أي أن الحاجز عند النطق به مركب, مما يحدث اضطرابا في الهواء يكون السبب في شدة الصوت, في المقابل الأصوات الهافتة ذات العوائق الأقل تعقيدا. نوضح هذا بأصوات اللغة العربية؛ فالصوت القوي: هو الصوت الرخو إضافة إلى العوارض التي تعترضه حال النطق به. و الصوت الرخيم: هو الصوت الشديد. أي أن الأصوات الرخوة تحدث احتكاكا عند خروجها إضافة إلى العارض؛ وهذا ما يجعل شدة في الصوت. بينما الشديدة فلا تحدث احتكاكا

فيخرج الهواء مباشرة؛ و هذا ما يجعل الصوت رخيما. و قس على ذلك: الفاء و الباء؛ /b/,/v/.

9- المكبوح أو محبوس/ غير المكبوح أو غير المحبوس:

في الصوت المحبوس يكون ضغط من طرف الحنجرة الهواء أو توقيف له, مقابل انعدامه.

10-الرزين أو الثقيل/ الحاد:

الأصوات الحادة هي الأصوات التي مخرجها متوسط؛ و ينطق بها بواسطة طرف اللسان سواء أ كان ذولقا أو أسلة؛ أما الأصوات الثقيلة فيكون مخرجها هامشيا, أي شفويا, أوحلقيا أو لهويا.

11-المسطح أو المنخفض/ المستوي أو غير المنخفض.

ويقصد به تخفيض شدة بعض الأصوات بطرق مختلفة؛ من بينها التخفيض بواسطة الشفتين, مثل الفونيم /i/ في كلمة cire التي تصبح بضم الشفتين /y/.

12-الحاد/ المستوي.

الفونيمات الحادة تتميز بتحول صاعد لبعض مكونات ترددها الأعلى في مقابل المستوية, فالفونيمات الحادة ترفع شدتها بواسطة العوارض التي تعترض الهواء المار في الحنجرة.[258]

ثالثا: وظيفة الفونيم

1- التمييز بين معاني الكلمات,و منحها قيما لغوية.

2- يساهم في تطوير النظام الصوتي و الأبجدي العالمي, كما يساهم في تطوير الملامح التميزية.

3- تيسير الدراسة التحليلية الصوتية في الوحدات الدالة و في جميع المستويات اللغوية.

[258] انظر: أساسيات اللغة, رومان جاكبسون, ص 69- 72.

المبحث الخامس: ماهية الفونيمات فوق التركيبية عند مدرسة براغ و أبعادها.

الفونيمات فوق التركيبية عند مدرسة براغ هي الصور الصوتية التي توجد بالضرورة في جميع أنواع الكلام المنطوق بالفعل, و خارجة عن نطاق البناء التركيبي الفونيمي للكلام,و يصطلح عليها الظواهر الفَوْقِطْعِيَة كذلك " تدرس كل السمات, والمظاهر الصوتية التي لا تدخل, بشكل أو آخر في إطار تقطيع العبارات إلى فونيمات."[259]

أولا: المقطع.

1- تعريف المقطع و مكوناته.

يضع رومان جاكبسون تعريف المقطع في هذا التصور؛" تنتظم الملامح التميزية في حزم متزامنة تدعى الفونيمات؛ و تتعاقب الفونيمات في متواليات؛ و النمذجة الأولية التي تكمن وراء أي تجمع للفونيمات هي المقطع. و تتحدد البنية الفونيمية لأي مقطع بشبكة من القواعد و تعتمد أية متوالية على انتظام ورود هذا النموذج البنائي."[260] المقطع في مفهومه العام؛هو تركيب من الفونيمات خاضعة لقواعد مضبوطة حسب اللغة المعينة.

و نقف على شاكلة هذا المعنى بصيغة أخرى,و مفهوم أشمل عند أندريه مارتينيه:"في أبسط الأحوال تكون المقاطع بعدد الصوائت المفصولة بصوامت. ذلك لأن الصوائت إلى السمع أقرب من الصوامت,و هذا في ما يبدو يدل على أن كل مقطع يطابق قمة منحنى الإدراك, هذا ما يفسر أن صامتا مثل[l] واقعا بين صامتين أضعف سماعا مثل[v] و[k] يمكن أن يقوم بدور قمة المقطع مثل ما هو الحال في vlk–ذئب- التشيكية,أو أن صائتا مثل [i] على اتصال بصائت أكثر انفتاحا,مثل[a] في سياقات كـ[ia] أو[ai] لا يمكن أن يكون قمة مقطع مميز, لكن صائتين تختلف درجة سماعهما ممكن جدا أن يكونا مقطعين متوالين كما هو الحال في ébahit الفرنسية."[261]

[259] وظيفة الألسن و ديناميتها, أندريه مارتينيه, ص199.
[260] أساسيات اللغة, رومان جاكبسون, ص 57.
[261] éléments de linguistique générale, André Martinet, p 59.

المقطع نسق منتظم؛ يتكون من صوائت تفصلها صوامت, مشكلة بذلك متوالية, تفرضها مجموعة معينة من القواعد هي أساس البنية اللغوية,و يعتمد النظام المقطعي على الصوائت؛لأنها تشكل قمته,و هي أقوى من الصوامت في السمع,و كلما اختلفت الصوائت في درجة سماعها,و تباينت في طريقة نظمها مع الصوامت كانت المقاطع أوضح, و أبين.

وقد تؤدي بعض الصوامت دور الصوائت,و هي التي يصطلح عليها بالصوامت البينية عندما تقع بين صوامت أقل منا في درجة السمع.

كما لا يمكن أن تكون بعض الصوائت قمة مقطع خاصة إذا جاورت صوائت تتغلب عليها في درجة السمع.

"و المبدأ المحوري لبنية المقطع هو تضاد الملامح المتعاقبة داخل المقطع. يقف جزء واحد من المقطع خارج بقية الأجزاء,و غالبا ما يكون علة مغايرة مقابل ساكن, يستعمل لجعل جزء واحد من المقطع أكثر بروزا."[262] فالمقاطع تدرك بعدد الصوائت الموجودة في الكلام المسموع, تفسرها الطريقة التعاقبية للصوامت,و التي تشكل تضاد مع الصوائت. خذ على سبيل المثال؛ كلمة بَيْتٌ = ب+ـَـ+ي+ت+ـٌـ. (ص+ح+ص) +(ص+ح) فهي مكونة من خمسة فونيمات متعاقبة بالتضاد (صامت/ صائت) تنتظم في مقطعين يتوصل إليهما السامع بعدد الصوائت الواردة في الكلمة؛ و الحال نفسه مع هذه الكلمة باللغة الفرنسية(maison).

" و هناك لغات يتألف فيها كل مقطع من ساكن تعقبه علة(س,ع)"[263] انطلاقا من هذا الرأي والرأي السابق, فإننا نجد أنفسنا أمام صورتين للمقطع نتيجة الثنائية المتعاقبة في المتوالية؛و هما: الصورة الأولى؛(ص+ح), و الصورة الثانية؛(ح+ص). و في هذا المجال يقرر رومان جاكبسون أن الصورة الأولى(ص+ح) يمكن التنبؤ بفئة الفونيمات التي ستأتي في المقطع, و تمنح احتمالات عديدة و مختلفة. و لا يمكن الاستغناء

[262] أساسيات اللغة, رومان جاكبسون, ص 57.
[263] المصدر نفسه, ص 58.

عن الصوائت أو حذفها. و نستطيع أن نستخلص النماذج الآتية: (ص+ح)/ (ص+ح+ح+ص)....إلخ.

أما الصورة الثانية (ح+ص)؛ فهي صورة فريدة أو بارزة و حسب؛ لأنه بإمكاننا استبدالها على نحو متقطع بمقابلات أخرى مقاربة لها. مثلا في اللغة الأنجليزية كلمة (or) تتكون من (ح+ص).

يتكون المقطع من الجانب الأدائي الإنتاجي من ثلاثة عوامل؛ هي إطلاق النبض,و الارتفاع,و إيقافه. أما إطلاق النبض؛ فيمثل الهامش الأول الابتداء والاستهلال, و الارتفاع هو قمة المقطع أو النواة, و الإيقاف هو الهامش الثاني الانتهاء.و يترجم هذا الذي ذكرناه من الجانب التركيبي للمقطع (الفونيمات) أو بالأحرى الجانب السمعي: مكونات الهامش الأول و الهامش الثاني أصوات صامتة, أما الذروة أو النواة فتتشكل من الأصوات الصائتة. ففونيمات الذروة أعلى من فونيمات المنحدر. مثل كلمة مِنْ في اللغة العربية: م : ص ؛ الهامش الأول, البداية و الاستهلال./ ـِـ : ح؛ الذروة أو نواة المقطع./ ن: ص؛ الهامش الثاني؛ الانتهاء و المنحدر.

و منه يبنى هيكل المقطع من فونيمات تتوالى وراء بعضها البعض, و فونيم من هذه الفونيمات يحتل الصدارة و يسمى النواة؛ و إليه ينسب المقطع النووي, شريطة أن يكون هذا الفونيم صائتا, تحيط به فونيمات هامشية, تتمثل في الصوامت هي حدود المقطع.

و أحيانا يحدث أن يحل محل الصائت الذي يكون في قمة المقطع فونيم صامت من الفونيمات المتوسطة أو البنية و ينعتها آخرون بالمائعة أو السائلة مثل [l].أو [r].

و بناء على مكونات المقطع من حيث الهوامش و النواة يصنف جاكبسون الملامح التميزية إلى صنفين هما: الملامح العروضية, و الملامح المتأصلة.

الملامح العروضية: تتضح من خلال الفونيمات التي تشكل ذروة المقطع,و يمكن تحديدها إلا بالإحالة إلى جلاء المقطع أو سلسلة المقاطع. و هي ثلاثة: النبرة (ارتفاع الصوت), وقوة الصوت, و الكمية (المدة الحسية).

الملامح المتأصلة: تمثلها الصفات التي تميز الفونيمات فقط بصرف النظر عن دورها في جلاء المقطع,و هي التي أشرنا إليها آنفا[264].

2- **وظيفة المقطع:**تتجلى في ما يلي:

- يساهم في تسهيل التحليل الصوتي؛ إذ يوضح بجلاء السمات و العلائق الرابطة بين الفونيمات التركيبية و الظواهر الصوتية للحدث الكلامي المنطوق بالفعل.
- يبرز النشاط الحيوي للفونيمات عند تجاورها و تعاقبها داخل النسيج اللغوي.
- يحدد بنية الوحدات الدالة من حيث الأصل و اللواحق و السوابق.

ثانيا: النبر.

1-**تعريف النبر:** يعرفه مارتينيه:" هو إبراز مقطع واحد فقط داخل ما يشكل في إحدى اللغات الوحدة النبرية؛ و تتجسد الوحدة النبرية في معظم اللغات فيما نسميه عادة الكلمة."[265] فالمقطع حامل النبر, و النبر أمارة من أماراته, فهما متلازمان,و النبر هو إظهار مقطع في الكلمة بصورة جلية للسامع.و يشير مارتيني في هذا السياق؛ أن اللغات الروسية,و البولونية,و الاسبانية تشتمل كل كلمة منها على مقطع واحد منبور على بقية المقاطع الأخرى الواردة في الكلمة. و نجد الحال نفسه مع الكلمات البسيطة؛ أي غير المركبة في اللغتين الأنجليزية و الألمانية؛و يتضح هذا بالأمثلة التالية:

يقع النبر على المقطع الأول في كلمة والد؛ father في الانكليزية,و vater في الألمانية.

و يقع النبر على المقطع الثاني في كلمة سرعة؛career في الأنكليزية,و في كلمة بطاطا؛kartoffel في الألمانية.

و هذا في حالة وجود الكلمة وحدها معزولة عن السياق؛أما إذا كانت الكلمة داخل النسيج اللغوي, أو السياق فسيختلف توزيع النبر في هذه الحال,و تتباين درجاته,و يرتبط دوره وأثره بحال المتكلم و غرضه,"و يتحقق التأكيد النبري دائما عندما تكون الكلمة لوحدها, أما عندما تكون داخل السياق يصبح هذا التأكيد أقل أو أكثر وضوحا مما يؤثر على قيمة الخطاب.و ينشأ بين نبرات قول من الأقوال تدرج معين يتحدد في بعض جوانبه من خلال

---

[264]انظر المبحث السابق ص 117-118 من هذا الفصل.

[265] éléments de linguistique générale, André Martinet, p 89.

العادات المكتسبة لكن المتكلم يستطيع تعديله ليعبر عن بعض المعاني الدقيقة.و في اللغة الأنجليزية لا يكون مضمون الخطاب واحدا في قولنا:we did–نحن فعلنا- فيما لو كان النبر على كلمة we أشد منه على كلمة did أو العكس."[266]

2-الخصائص الصوتية للنبر:

النبر من أبرز الظواهر الصوتية التي يتحققالقصد بها, و يصل الغرض, لذلك يختص بخصائص صوتية مهمة؛تتمثل في شدة النطق,و الطبقة الصوتية,و المدّ الفعلي أوالمسموع للمقطع المنبور؛"ويميل المقطع المنبور في كثير من اللغات لأن يكون أشد نطقا,و أعلى طبقة,و أطول مدا من المقاطع المنبورة المجاورة التي تتباين معه."[267]و هذه الخصائص هي المسؤولة عن تنوع درجات النبر في الكلام, لكنها غير ثابتة في كل اللغات, فهي تختلف من لغة إلى أخرى؛ فقد يساهم المد بدرجة كبيرة في إبراز المقطع المنبور, بينما لا يكون كذلك في لغة أخرى, كما تكون الطبقة الصوتية خاصية مميزة للنبر و تنوعاته في لغة, و لا تكون في لغة أخرى.

و يشترك النبر في هذه الخصائص الصوتية مع النغمات؛و هي ما تجعل وظائف النغمات في اللغة المعينة تقارب وظائف النبر,أو بتعبير آخر عندما تشتمل لغة ما على ظاهرتي النبر و النغمات لهما أداء متميز منفصل عن بعضهما فيستوجب الأمر تبيين الحدود الفاصلة بينهما؛يقول مارتينيه:" يتم التأكيد النبري لأحد المقاطع في كل وحدة نبرية على حساب إمكانية التمييز بين النغمات في بقية المقاطع. هذا يعني أنه توجد لغات نغمية بلا نبر, يكون فيها لكل مقطع نغمة تمييزية, كما توجد لغات نبرية فيها نغمات,و عندئذ يكون لكل كلمة,أو لكل وحدة نبرية نغمة تميزية واحدة فقط,و يرتبط موضعها بموضع النبر ذاته,و يميل المرء في مثل هذه الحالة لأن يرى في كل نغمة نوعا من النبر, وأن يرى نوعين من النبر في اللغة التي تميز بين نغمتين مرتبطتين بالنبر."[268]

---

[266] المصدر السابق,ص نفسها.

[267] éléments de linguistique générale, André Martinet, p 89.

[268] نفس المصدر, و ص .

فالنغمات تؤدي بدرجة الأولى وظيفة تميزية, فلا وجود لنغمة واحدة, بل توجد مجموعة من النغمات في اللغة, أما النبر فوظيفته إبراز الكلمة في النسيج اللغوي,أو تحديد المقطع المقصود.

3-وظيفة النبر:

●وظيفة تعبيرية: وتتجلى في الكشف عن الانفعالات و الأحوال النفسية للمتكلم حين التركيز على نبر كلمة محددة في السلسلة الكلامية.

● وظيفة تباينية: تتمثل في إبراز الكلمة المقصودة بصورة واضحة عن الكلمات الأخرى في الكلام؛ و في هذه الحال تكون الكلمة مختلفة اختلافا جليا عما يسبقها أو يتلوها, وقد يقع النبر على المقطع الأول دائما, أو على المقطع الأخير.

●وظيفة أوجية (القمة): يقصد بها الإشارة إلى وجود عدد من المقاطع الهامة في الكلام؛و تجهل مواضع النبر فيها,و هو لا يمثل صفة ثابتة, فوظيفة النبر في هذه الحالة عكس الوظيفة التباينية. و يعتبر النبر هنا مهما حسب الموضع الذي سيرد فيه, ويوجد هذا على مستوى الخطاب حيث يسهل استيعابه.

● وظيفة تميزية: عندما تجهل حقيقة المقاطع المنبورة في الكلمة جراء سلسلة الوحدات الصوتية الواردة فيها, أي أننا أمام نبر غير ثابت؛ و بصورة أوضح عند وجود كلمة يمكن أن تكون كل مقاطعها منبورة في آن واحد, و وجود أخرى لا يكون في أي مقطع منها نبر.(على أن تكون الكلمة هنا تتركب من نفس الفونيمات). مثل a permit (رخصة) فهذه الكلمة هي اسم,و فعلها هو to permit(أجاز و سمح) فهما من حيث التركيب لا فرق بينهما, و يكون التمييز بينهما بواسطة النبر, ففي الاسم يقع النبر على المقطع الأول, و في الفعل يقع على المقطع الأخير.[269]

[269]انظر: المصدر السابق, ص 92.

ثالثا: التنغيم.

1- تعريفه: هو توتر اهتزازي في الأوتار الصوتية, فعندما يكون أحد الأوتار الصوتية مشدودا بقوة ينتج لنا صوتا عاليا, أما إذا كانت ضعيفة الشد فتنتج صوتا عميقا, فتنوع اهتزاز الأوتار الصوتية هو المسؤول عن الطبقات الصوتية المتنوعةو المتباينة.[270]

و التنغيم بمعنى آخر؛" هو حركة حنجرية تصاحب القول اللغوي و تتممه أحيانا."[271]

التنغيم: هو تنويع المتكلم في درجات الصوت و طبقاته وفقا لمحتوى كلامه, و الغرض الذي ينشده عند المتلقي.

و هو ظاهرة صوتية تمتلكها معظم اللغات كوسيلة وظيفية في الأداء الكلامي,و في حقيقته لا يشكل جزءا من الرسالة اللغوية,و لكنه يوفر إشارات و إيحاءات حول الطريقة التي يتفاعل من خلالها المتكلم بالنسبة إلى التجربة التي هي منبت الرسالة,و يمكن له أن يوصل معلومات حول شخصية المتكلم.و يقول أندريه مارتينيه في نفس السياق:"هذا يعني أن نغم الكلام شيء تلقائي إلى حد ما, أي أن المتكلم لا يستطيع أن يختار بين وجوده,و عدم وجوده,و مع أن الفرص المتاحة لاستعماله لغويا بهذه الطريقة فرص محدودة إلا أنه يؤدي دورا يختلف نوعه كما تختلف أهميته من لغة لأخرى اختلافا بينا. ولا توجد سوى لغات قليلة يستعمل فيها النغم في هيئة وحدات مقطعة,أي على شكل نغمات,و ليس من النادر أن يستعمل في سبيل إظهار التباين,أي عند التأكيد بواسطة النبر"[272]

يشترك التنغيم مع النبر و النغمات في الخصائص الصوتية السالفة الذكر-المد,الشدة, الطبقة الصوتية- كما تقتحمه بعض الظواهر الصوتية الخاصة بمجتمع معين,أو لغة ما.

"ومع أن كل الألسن تبدو أنها تمتلك مميزات مشتركة بما يتصل باشتغالية التنغيم, فإن وجود نغمات أو نبر في البعض منها, تستخدم المكونات الفيزيولوجية نفسها, يدخل

[270]انظر: éléments de linguistique générale, André Martinet, p84-83.

[271]وظيفة الألسن و ديناميتها, أندريه مارتيني, ص 206-207.

[272]المصدر السابق, ص 84..

في تنازع مع الاستخدام الحر للمنحنى التناغمي,و يمكنه أن يسبب انحرافات بالنسبة إلى ما يمكننا اعتباره بمثابة الاشتغالية العادية للتنغيم."[273]

2- درجات التنغيم:

التنغيم الصاعد: هو الذي تزداد فيه تكرار ذبذبات المزمار زيادة تدريجية مسببة صعودا تناغميا, و يكون هذا عند إلقاء القول و الاسترسال فيه.

التنغيم الهابط: هو الذي ينخفض فيه توتر المزمار مختصرا الذبذبات مما ينجم عنه هبوطا تناغميا, و يكون هذا عند ختام القول.

فمنحنى التنغيم مرتبط بأداء الخطاب أو القول و المقصد منه و صداه عند المتلقي؛"و بقدر ما يزداد الصعود سرعة, تبدو بقدر أقل الرسالة تأكيدية,و بخلاف ذلك, فكيفما يزدد الهبوط سرعة, يزدد التأكيد قطعا."[274]

و في حقيقة الأمر تنبئنا درجة التنغيم- الصاعدة و الهابطة- إلى غاية معينة مثل؛ الريب, و التردد, و التأكيد, و التساؤل, كما يشير إلى مواطن الفواصل الكلامية مثل الفاصلة, أو السكتة.

التنغيم الختامي: هو ضرب من الضروب الاجتماعية اللغوية يختلف تردده عن التنغيم الهابط, إذ يصبح ترددا غير عادي, حيث يوضحه مارتينيه بكونه غير مشتمل على هبوط في الذبذبات المزمارية, و هو تنغيم غالبا ما يصادف عند البريطانيين الشديدي التهذيب.[275]

3- وظيفته:

- يبين الأحوال النفسية للمتكلم أثناء كلامه؛ مثل السخرية,و التهكم,و التعجب, والاستفهام...و غيرها.
- يرسم صورة واضحة لشخصية المتكلم من حيث الطبع,و الأصل الاجتماعي, والجغرافي.
- يساهم في تحديد سياق الرسالة اللغوية,و يسهل تحقيق القصد منها.

[273]وظيفة الألسن وديناميتها, أندريه مارتينيه, ص 281.
[274]نفس المصدر , ص280.
[275]انظر: المصدر السابق, ص 291.

الفصـل الرابـع

مقارنة بين الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر ومدرسة براغ

المبحث الأول:أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر و مدرسة براغ.

المبحث الثاني:الفونيمات التركيبية عند كمال بشر و مدرسة براغ.

المبحث الثالث:الفونيمات فوق التركيبية عند كمال بشر ومدرسة براغ

المبحث الرابع:صدى كمال بشر في الدرس الصوتي و تجلياته.

المبحث الخامس:صدى مدرسة براغ في الدرس الصوتي و تجلياته.

المبحث الأول: أسس الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر و مدرسة براغ.

الجهود الصوتية الوظيفية التي قدمها كل من كمال بشر و مدرسة براغ في الدرس الصوتي الحديث؛ تمثل قطب البحث العلمي المعاصر,و انعكاس للتطور الفكري المنصهر مع روح الحداثة,و المراد من هذه المقارنة هو تتبع مسار الدرس الصوتي العربي و الغربي,و الوقوف على أوجه الاتفاق و الافتراق, لذلك نستهلها بالأسس الفكرية عندهما.

لقد كان التراث العربي العريق مصدر إلهام كمال بشر الذي استوحى منه فكره الهادف إلى ربط الجديد بالقديم و توضيح مناهجه و طرائق بحثه و تجويده؛ أي أنه يقتبس منه الأقوال و الشواهد, و ينقد الظواهر بكل مصداقية موضوعية متحريا بها الأمانة العلمية, و يحقق في النتائج, و يقدم الآراء الموثوق بها, و ينشر الرؤى الشارحة لها والمستندة إليها, و هذا الذي قام به مع ما ذهب إليه الخليل,و سيبويه,و ابن جني, والسكاكي؛ ليمد بها جسرا يبسط الطريق للحاضر من أجل الحفاظ على الموروث الذي يمثل الذات العربية الأصيلة, و أصالة اللسان الذي جاء به القرآن الكريم, فالتراث اللغوي جزء لا يتجزأ من الإبداع الحديث, إذ لا يمكننا الانسلاخ عنه؛" إن مبدأ استلهام التراث يتنزل لدى العرب في عصرنا منزلة مولد التأصيل الفردي الذي بدونه يظل الفكر العربي سجين الأخذ, محظور عليه العطاء."[276]

كما كانت الدراسة المتخصصة في علوم اللغة الحديثة التي زاولها كمال بشر في لندن خاصة على يد أستاذيه دنيال جونز و فيرث المصدر الملهم الثاني للقيام بدراسات صوتية و لغوية على أساس من الفهم الحديث للغة و مناهجها, و ربطها بالدرس اللغوي العربي.و من هذه المرجعية كانت البادرة التي بدأ منها كمال بشر معتمدا على اللغة العربية الفصيحة الصحيحة كما ينطقها الفصحاء الثقاة و مجيدو قراءات القرآن الكريم في مصر؛ فعليها كانت التجارب الصوتية و الدراسة المقارنة التي أثمرت فكرا صوتيا حديثا, يجمع بين تحقيق التراث,و تأسيس نظريات صوتية حديثة,و هذا "هو المطلوب هو

[276]التفكير اللساني عند العرب في الحضارة العربية, عبد السلام المسدي, الدار العربية للكتاب, الطبعة الثانية, سنة 1986م,ص 12.

أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين."[277]

و النتائج المتوصل إليها في الدرس الصوتي الحديث؛ فإنها تكشف عن دقة الملاحظة و جودة التحليل, و سلامة المنهج,و رهافة الحس, و ذوق الرفيع, و تحق براعة مذهلة في حقيقة الاكتشاف الذي تخطى صعاب العصر و انعدام الوسائل و ألمَّ بالمكان عند اللغويين العرب القدامى؛ إذ جعل من الأصوات العربية نظاما أبجديا إقليميا للعرب و المسلمين, يتجسد نظامه في الأصوات و صفاتها و مخارجها و خصائصها والمصطلحات الخاصة بها, و وظائفها. كما أعطت فرصة الكشف عن التطور الذي لحق بعض الأصوات و التغير الحاصل فيها.

أما مدرسة براغ فلم تنطلق من القديم,و إنما انطلقت من الثورة التي فجرها دي سوسير في دراساته اللغوية و خاصة فكرة ثنائياته(اللغة و الكلام) و (الدال و المدلول) و(التزامن و التعاقب) و (التبادل و التتابع) و (الشفرة و الرسالة)؛ و يقف كمال بشر هنا ناقدا:" كلاهما ثورة, و كلاهما منطلق أصيل لكثير من الدراسات اللغوية الحديثة, وبغيرهما ما كان هذا البحر الزاخر من البحوث اللغوية على مختلف المستويات في كل أنحاء العالم,و لكن كان الأولى بهذه الثورة- بحسب تعبير لغوي حديث- أن تكون تطويرا للقديم, و تنويعا لمسالكه,و تجويدا لمناهجه و خططه,و في كل الحالات يجب أن نقرر أن الفونولوجية الحديثة بكل اتجاهاتها إنما ترجع إلى أصولها الأولى التي أرست قواعدها مدرسة براغ اللغوية."[278] فدرست الأصوات اللغوية المنطوقة بالفعل في الكلام الناتجة عن حركات أعضاء النطق و أوضاعها المختلفة و الذبذبات الهوائية التي تصدرها, كما درست الفونيمات الموجودة في اللغة حيث تعتبر العناصر الأساسية المكونة للمعنى اللغوي و الوحدات الدالة باعتبار الفونيمات تصورات متنوعة للصوت.

يعد المنهج الوصفي أساس النتائج الصوتية المتوصل إليها من طرف كمال بشر ومدرسة براغ و اعتمادهما على الملاحظة الذاتية؛ في و صف الأصوات اللغوية

[277] التفكير اللساني عند العرب في الحضارة العربية, عبد السلام المسدي, و ص12.
[278] علم الأصوات, كمال بشر, ص83.

المنطوقة بالفعل الكلامي, كما تطرقا إلى دراسة جهاز النطق و ميكانيكيته, و وضعا مصطلحات تصف عملية الكلام أو التصويت بناء على جهاز النطق,التي أضحت صفاتا للأصوات؛ مثل الشفوي, الحنكي, اللثوي...إلخ و كذلك الجانب السمعي فيها؛ مثل الهمس و الجهر.

كما اعتمدا على المنهج المقارن, حيث قارن كمال بشر النتائج الصوتية التي توصل إليها بما قدمه القدامى لتحقيق ما وصفوه آنذاك, و لإثبات تقدمهم في المجال الصوتي وأسبقيتهم, و تتبع حقبات التطور اللغوي, بينما مدرسة براغ قارنت الأصوات اللغوية للغات عديدة ببعضها البعض كاللغة الفرنسية,و الايطالية, و الروسية,و الإسبانية... وغيرها للوقوف على الفوارق النطقية و العمل على منهج يتتبع التنوعات الصوتية وحصرها و المساهمة في وضع نظام أبجدي يساعد على التحليل الصوتي للغات. لذا نجد مدرسة براغ ترتكز على منهج آخر و هو المنهج التجريبي العلمي الذي يخضع الظاهرة الصوتية للتجربة و يكسبها الرؤية العلمية ذات التفكير الرياضي,و يستعمل النماذج والعلائق الرياضية الحديثة و الموضوعية المطلقة, فجعلت من علم الأصوات مادة حية كالعلوم الطبيعية,و عليها اعتمدت فكرة الثنائيات,و إقامة التقابل لرومان جاكبسون؛ أي عرض الأصوات اللغوية المنطوقة للآلات و الأجهزة الصوتية الخاصة بها, و هذا لدراسة الصوت اللغوي من الجانب النطقي الأدائي,و الجانب الفيزيائي؛ أي دراسة الذبذبات التي يصدرها و أثرها, و الجانب السمعي من حيث استقبالها. و من هنا يتضح الافتراق في بعض الرؤى بين كمال بشر و مدرسة براغ في تأسيس النظرية الفونولوجية.

و بناء على هذا فطريقة الدراسة عندهما تتأسس على الجانب الوظيفي للأصوات اللغوية,و عملها داخل التركيب, ارتكز كمال بشر على علم الأصوات النطقي الفسيولوجي عند رصد الظاهرة الصوتية, بداية بدراسة الصوت اللغوي دراسة مجردة معزولة عن التركيب,و الوقوف على سماته و خصائصه, ثم دراسته داخل التركيب وأثر السياق فيه, بعدها الانتقال إلى دراسة الأداء النطقي للكلام,لأن أساس البناء اللغوي

الفونيمات التركيبية,و أساس الأداء الكلامي الفونيمات فوق التركيبية؛ أي أن الخطاب الكلامي الصحيح يرتكز على صحة البناء الداخلي,و سلامة الطلاء الخارجي؛" فالكلام يتحدد بداهة بأنه أصوات متقطعة و منظومة في آن واحد, لأن مادة الكلام هي أصوات متقطعة, و لكنها منظومة على وجه مخصوص في كل لغة,و هذا التصور يؤدي إلى أن الدراسة العلمية تقتضي تحليله من الجزء إلى الكل و من الكل إلى الجزء, لأن الأصوات المفردة المعزولة, إذا نظمت صارت كلمات,و الكلمات بما تحمله من دلالات إذا دخلت في علاقات النظم صارت جملا و كلاما."[279]

لذلك يرى كمال بشر أن عملية الكلام بين المتكلم و السامع تنتظم وفق خمس خطوات وأحداث متتالية مترابطة, تقتضي من الدارس اللغوي أن يراعيها جيدا,و أن لا يهمل خطوة على حساب الأخرى؛ ليقف على حقيقة مادته الصوتية و طبيعتها و خصائصها وصولا إلى نتائج سليمة منطقية, و هي على النحو التالي:

1- الأحداث النفسية و العمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلم أثناء الكلام.
2- عملية إصدار الكلام المتمثلة في أصوات ينتجها جهاز النطق.
3- الموجات و الذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم و أذن السامع.
4- العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي للسامع الناجمة عن ردة فعله للموجات التي سمعها.
5- الأحداث النفسية و العمليات التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام و استقباله لتلك الموجات و الذبذبات المنقولة في الهواء.[280]

و ليس هذا ببعيد من المنطلق الوظيفي الذي نهجته مدرسة براغ في الدراسة الصوتية التي أسست عليه مبدأها في الدراسات اللغوية؛ فالرؤية الوظيفية للغة منطلقها الأساسي الرؤية الوظيفية للأصوات اللغوية, فإذا كانت الفونيمات لها القدرة على التغيير في المعاني, والتنويع في الدلالة, فكذلك اللغة لها قدرة الوصول للهدف و التأثير؛و تتمثل في التعبير والتواصل؛ و بينت أن الحدث التواصلي يبنى على العناصر الأساسية الستة للغة؛

[279]مقدمة لدراسة التراث المعجمي, حلمي خليل, دار النهضة العربية للطباعة و النشر, بيروت ,ص 124.
[280]انظر: علم الأصوات, كمال بشر, ص 38.

والمتجلية في المرسل, و المرسل إليه, السياق,و الرسالة,و قناة الاتصال,و الشفرة. والتي بدورها تؤدي الوظائف التالية: الوظيفة الشعورية (العاطفية),و المرجعية, والشعرية,و الإبلاغية,و التفسيرية,و التجاملية.

و خلاصة القول: أن كمال بشر و مدرسة براغ يتفقان في المنهج الوظيفي, وطرائق البحث, ويختلفان في المرجعية.

المبحث الثاني: الفونيمات التركيبية عند كمال بشر و مدرسة براغ.

النظرة الوظيفية هي أساس البعد الفونيمي عند كمال بشر و مدرسة براغ؛ فهما يحددان ماهيته انطلاقا من دوره المتمثل في التمييز بين المعاني عن طريق التوزيع, والتبادل في الموقع, فتغيير فونيم ما يتسبب في فقدان الكلمة لمعناها؛و التحول بها إلى معنى آخر,و لمعرفة الفونيمات في اللغة المعينة يستعان بما يسمى بالثنائية الصغرى؛ إذ تدرج كلمة مع كلمات أخرى تناظرها في جميع المكونات باستثناء مكون واحد, هو الذي يتبادل التوزيع و الموقع؛ مثل: قال/ مال/ سال/ لام. فهذه الكلمات تتكون من نفس الفونيمات و بنفس الترتيب, إلا أنها تختلف في فونيم واحد-المتمثل في القاف,و الميم والسين,و اللام-؛ هو الذي غير معناها و منحها قيما دلالية أخرى.

إن الفونيم هو أصغر وحدة صوتية, يتمثل في الصوامت و الصوائت, يختلف عدده من لغة إلى أخرى. لذلك فهو لا ينتج المعنى على انفراد, بل يجب أن ينتظم مع عدد من الفونيمات الأخرى ليشكل وحدة دلالية ذات معنى؛ هي الكلمة و ذات قيمة في البناء اللغوي, خاضعة لنظم السياق الواردة فيه, و بهذه العلاقات التجاورية لفونيم معين مع فونيمات أخرى تفرض عليه تنوعات أدائية, و صور نطقية حين الحدث الكلامي الفعلي بها.

و هذا ما جعل الفونيم يؤدي الوظائف التالية باتفاق كمال بشر و مدرسة براغ و هي:

1- الفونيم هو أصغر وحدة صوتية, تميز كلمة من الكلمات الأخرى, و تمنحها قيما لغوية؛ صرفية و تركيبية و دلالية.

2- الفونيم وسيلة مهمة في تعليم اللغات, و الأداء الجيد:

إن الدراسة الصوتية الدقيقة,و الواعية,و المتفهمة لفونيمات لغة ما؛ سواء كانت اللغة القومية,أو اللغة الأجنبية, هي الوسيلة الأساسية لتعلمها,و اكتسابها اكتسابا سليما, والتمكن منها؛ لأن معرفة أصوات اللغة,و صفاتها,و مخارجها,و طبائعا,و خصائصها, وكيفية نطقها, يؤدي حتما إلى الأداء الصحيح,و الجيد لها,و المحافظة على خواصها النطقية, وهذا المنطلق ساعد الكثير من اللغات على الانتشار في جميع أنحاء العالم.

3- الفونيم عدده محدود في اللغات, بينما تنوعاته لا حصر لها,و هذا ما يسهل تحدد الفئات, أو الأوساط الخاصة بالتحليل كاللغة الفصيحة,و اللهجات:

الكلام الإنساني عند الأداء النطقي الفعلي مكون من سلسلة من الأصوات المنطوقة المتداخلة المتشابكة التي يصعب التفريق بينها,أو وضع حدود فاصلة بينها فصلا حاسما,و هي كثيرة كثرة السياقات الواقعة فيها؛و هذا التداخل الصوتي موجود على مستوى الصوامت,و الصوائت,و على مستوى اللغة الفصيحة,و اللهجات, لذلك يصعب استقصاء هذه التنوعات,و حصرها,و تحليلها تحليلا علميا دقيقا, فكان السبيل الأيسر لذلك هو الاعتماد على الفونيمات؛فهي التي تتكون من تلك التنوعات النطقية المتداخلة,أو بمعنى آخر تضم حزم صوتية متباينة,و تستطيع أن تفي بدراسة الأصوات, والوقوف على أبعادها,و خصائصها.

4- الفونيم له دور بالغ الأهمية في اكتشاف الألفبائيات,و نظم الكتابة,و تطويرها,و المساعدة على دراستها و تحليلها:

تساهم الفونيمات بشكل رئيسي,و مهم في وضع نظام أبجدي للغات الإنسانية, كما تساهم في إصلاحها, لأن الفونيمات هي المادة الأصلية للغة, فهي تُستمد منها,و ترتبط بخواصها,و مقوماتها, لذلك يجب أن تراعى العلاقة الرابطة بين الصورة الكتابية, والصورة النطقية, إذ يقتضي أن يمثل الفونيم المنطوق,ما هو مكتوب تمثيلا صادقا في وضع هذا النظام,و أن تتبع التطور الذي يصيب اللغة خلال تعاقب الأزمنة, وتتداركه.

أما وجه الخلاف فيتجلى في النظرة الداخلية للفونيم, و التنوعات التي يرد بها داخل السياق؛و لقد قال بعضهم:" كمية كبيرة من المداد قد استخدمت في الجدال حول وداخل نظرية الفونيم."[281]

فالفونيم عند كمال بشر هو الصوت المنطوق بالفعل الكلامي يضم مجموعة من الصفات؛ مثلا الفونيم/**ب**/ يتحقق نطقا و يكسبه النطق الصفات التالية: شفوية وقفة انفجارية (شديدة) مجهورة. و هذه الصفات هي التي تميزه عن فونيم آخر. و قد تلحق بهذه

[281]دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, ص 166.

الصفات تغيرات نظر لمجاورتها فونيمات أخرى في التركيب فتمنحها صفات سمعية ونطقية جديدة؛و هي التي تنعت بالظواهر و التنوعات الصوتية. أي أن الفونيم أسرة صوتية تضم مجموعة من الأصوات النطقية و السمعية لا تحل محل الأخرى. و هو هنا -كما أشرنا- صوت فعلي قابل للتحليل مرة أخرى إلى عناصر أو مكونات.

أما مدرسة براغ فتنظر إلى الفونيم أنه حزمة من الملامح التمييزية الصوتية يعتمد عليها في التفريق بين الفونيمات الأخرى. مثلا الفونيم/p/: هو نتيجة تأليف عدد من الملامح الصوتية؛ الشفوية الوقفة الانفجارية(الشديدة) المهموسة. فهذا الفونيم هو رمز تختصر فيه تلك الصفات النطقية؛ أي أن الفونيم لا وجود له في ذاته إلا بوصفه مظهرا للملامح التميزية المنضمة إلى بعضها البعض.

و مما تقدم ذكره لا تظهر للقارئ بوادر الخلاف جلية للوهلة الأولى؛ لأن مدرسة براغ تكاد تتفق مع فكر كمال بشر, و في نفس الوقت تختلف عنه. و لإيصال الفكرة المنشودة بصورة جلية,و الابتعاد عن السطحية, وجب علينا أن نعرض المفاهيم و النظرات التي وضعت للفوينم؛ و هي أربع نظرات مشهورة في الدرس اللغوي الحديث:

1- <u>النظرة العقلية و النفسية:</u>

ترى أن الفونيم صوت مثالي يهدف المتكلم لا شعوريا إلى نطقه مستحضرا صورته في ذهنه,و لكنه لا يستطيع فينحرف عنه؛ إما لأنه قد ينجح في تحقيق الصورة الذهنية والتعبير عنها,و قد لا ينجح.

أما بودوان دي كورتيني وضع له تفسير نفسي: يمثل الفونيم صوتا متخيلا مبتكرا يقابل الصوت المحذوف كظاهرة نفسية-صوتية للواقعة النفسية الصوتية, فهو مكافئ عقلي لصوت خارجي. و ينظر إلى وحدة الفونيم مقارنة بتنوع أشكال تحققه, بوصفها تعارضا بين الدافع الداخلي الذي يستهدف النطق نفسه و التردد غير المقصود في الإنجاز.[282]

---

[282]انظر: علم الأصوات, كمال بشر,487-488. و أساسيات اللغة,رومان جاكبسون, ص45.

و ممن تبنى هذه الفكرة أحد رواد مدرسة براغ؛ نيكولاي تروبتسكوي في بداية أمره في تعريفه للفونيم: "هو الصورة العلقية للصوت". ثم عدله بتعرف آخر يناقضه؛ "إن الفونيم فكرة لغوية, و ليست فكرة نفسية.".

هذه النظرية-العقلية و النفسية- تتفق معها مدرسة براغ في كون الفونيم ليس صوتا, وتختلف معها في الأفكار الأخرى؛و من بين الانتقادات التي قدمت لها:" أنه ليس أمرا سهلا أن نضع اختبارات عملية لتقعيد مثل هذا الصوت النموذجي,و أن استخدام المنهج النفسي يعني أن اللغوي يلقى عبء شرح وحدته على فرع أخر من العلم."[283]

أما بالنسبة لكمال بشر فلا تتفق مع رأيه.

2- <u>النظرة المادية:</u>

و هي التي اشتهر بها دانيال جونز العالم اللغوي الأنجليزي؛ "إذ يرى أن الفونيم عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة,و التي تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها."[284] هذه النظرية تتفق مع ما ذهب إليه كمال بشر في كل دراساته الصوتية, و يقول في ذلك :" و هو رأي يتمشى مع شرحنا لكلمة صوت بمعنييه المختلفين."[285] و يضيف موضحا:" فوظيفة الفونيم على هذا الرأي هي التمييز بين الكلمات و منح هذه الكلمات قيما لغوية مختلفة, صرفية أو نحوية أو دلالية."[286]

بينما مدرسة براغ فلا تنحو هذا النحو و يقول رومان جاكبسون ناقدا نظرة دانيال جونز: " كثيرا ما تتم مقابلة الفونيم بالصوت بوصفه فئة كلية تضاد العينة المفردة. و قد وصف بأنه عائلة أو فئة من الأصوات المترابطة من خلال تشابه صوتي. غير أن مثل هذه التعريفات عرضة للانتقاد من نواحي كثيرة."[287] و يطرح ثلاثة انتقادات تبرز في حقيقة أمرها الاختلاف بين كمال بشر و مدرسة براغ في تصور الفونيم ,و هي:

---

[283] دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, ص177.
[284] المرجع نفسه, و ص. و انظر: علم الأصوات كمال بشر, ص 485.
[285] علم الأصوات, كمال بشر, ص 485.
[286] المصدر نفسه, ص 486.
[287] أساسيات اللغة, رومان جاكبسون, ص47.

- غموض هذه النظرة؛إذ يستحيل تحديد درجة الخلاف التي تمنع صوتين من انتسابهما لفونيم واحد.
- صعوبة التحقق من التشابه الصوتي بين أفراد الفونيم ؛ لأن طبيعة الصوت مركبة, فهو قد يكون مشابها لصوت ما, و مخالفا لصوت آخر.
- حين نعني صوتا محددا,و في لغة معينة,و في موقع محدد,و في شروط أسلوبية محددة, فنحن نواجه فئة من حالات ورود و معينها المشترك, و ليس عينة واحدة, سواء أدرسنا الفونيمات أو الألوفونات فإنا ما نحدده هو خطة العلامة و ليس حدث العلامة.[288]

3- النظرة الوظيفية:

ترى الفونيم أنماطا صوتية مستقلة هي التي تميز الكلمات و أشكالها مع إحداث تغير دلالي,و تعد هذه الفونيمات كوحدات مناسبة للتعبير الألفبائي[289]. و هذه النظرية تجسد التقاطع أو الاتفاق بين كمال بشر و مدرسة براغ.

4- النظرة التجريدية:

من أصحابها العالم اللغوي الأمريكي توادل؛ يرى أن الفونيم لا وجود له من الناحية العضوية,و لا من الناحية العقلية, هو وحدة تجريدية خيالية يقوم الباحث باستخلاصها من الأحداث النطقية ليصل إلى وحدة مستقلة. و هذه النظرية تتفق معها مدرسة براغ فالتجريد يكون على المستوى الفيزيائي و النطقي, أما في الأفكار الأخرى فلا تتفق معها. أما كمال بشر فلا تتفق مع رأيه.

و مما تقدم نخلص إلى أن الاختلاف الحاصل في تعريف الفونيم مرده إلى الاختلاف في وجهة النظر إليه خاصة, و الاختلاف في مناهج البحث اللغوي عامة, و لقد صرح دانيال جونزه حول تنوع المفاهيم للفونيم قائلا:" لا واحد من التعريفات التي سمعت بها لا يمكن مهاجمته. و لا أظن أنه من الممكن تقديم تفسير لا يترك منفذا للشذوذ و الاستثناء."[290]

[288] أساسيات اللغة, رومان جاكبسون, ص47.
[289] انظر: دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, ص179-180.
[290] المرجع نفسه, ص174.

المبحث الثالث: الفونيمات فوق التركيبية عند كمال بشر و مدرسة براغ.

احتلت الظواهر الصوتية التي تكسو الحدث الكلامي المنطوق؛و المتمثلة في المقطع و النبر و التنغيم, حظا وافرا من الدراسة و التحليل عند كمال بشر و مدرسة براغ؛لأن التركيب الصوتي و أداؤه المستوى الأول في أية لغة,و جانب مهم فيها, فهو أساس نطق الكلام,و فنه,و بيان صور ألفاظه,و كشف القناع عن معانيها,و به يتم التأثير في السامع لينجذب إلى الرسالة المقصودة بكل حواسه السمعية,و البصرية,و الشعورية.فلما كانت الفونيمات أساس البناء التركيبي للغة,اقتضى الحال أن تكون الفونيمات فوق التركيبية هي أساس أدائها السليم يحفظها و يحميها و يحييها؛لأن " هذه الظواهر لا تؤدي دورها لغويا من خلال وجودها أو عدمه عند نقطة معينة من الكلام بل من خلال أشكال ظهورها,و هي أشكال تختلف من جزء إلى آخر من أجزاء الكلام."[291]

و رغم ذلك فإننا سنقف على أوجه الاتفاق فيما بينهما فقط, أما أوجه الخلاف فنعرض عنها؛و يعزى ذلك للأسباب التالية و هي:

- الخلاف الوارد بينهما يتجلى في مكونات هذه الوحدات أو الظواهر,و مواطنها في البناء اللغوي؛و هو خلاف يمكننا أن نغض عنه الطرف؛ لأنه راجع لطبيعة لغاتهما, وخصائصهما فلا داعي للوقوف على المكونات و الماهيات, بل الوقوف على الوظائف التي تؤديها؛ فمثلا لا يمكننا أن نقارن المقطع العربي و خصائصه و أنماطه (ص+ح+ص)...إلخ بالمقطع الفرنسي و أنماطه(ح+ص),(ص+ص+ح)...إلخ, أو النبر يكون في الكلمة العربية على المقطع الأول مثلا, و في الإسبانية على المقطع الثاني؛ لأن مرد هذا لطبيعة اللغة المعينة.
- لا وجود لخلاف بينهما في هذا المجال؛ لأنهما انطلاقا من المنهج الوظيفي لهذه الظواهر في الكلام,و أثرها في فهمه و إفهامه لدى السامع, فهما يتفقان أكثر منهما مختلفان.
- كلاهما انطلاقا من العملية التواصلية السارية بين المرسل و المتلقي و التركيز عليها.

فكانت النتائج المتوصل إليها ما يلي:

[291] éléments de linguistique générale, André Martinet, p 83 .

1- المقطع: يمثل المقطع الوسط الذي يظهر فيه نشاط الفونيم, و هو الواصل بين الفونيمات فهي لبنات للبناء,و الظواهر الصوتية طلاؤه؛ فهو يؤدي دورا فاعلا في المستويين البنائي و الأدائي يتمثل في:

- ترجمة الظواهر الصوتية و التغيرات الناجمة عن تعاقب الفونيمات داخل النسيج اللغوي:

تطرأ تغيرات صوتية على الأصوات اللغوية داخل النسيج اللغوي من أجل إقرار الانسجام خلال الإنتاج الأدائي للكلام, وهذه التغيرات أوجدت علاقات في البنية التركيبية اللغوية للنظام الصوتي تحْكُمُه و تحْكِمُهُ؛ تعزى في حقيقة أمرها إلى المقطع,و خصائصه في اللغة المعينة, الذي يقوم بتفسير التحولات,و الانجذابات,و التبدلات الصوتية التي تمس البنى التركيبية جراء عملية التأثير والتأثر التي تطرأ على الأصوات حين مجاورتها لبعضها أو تباعدها, ناجمة عن التباين في الفونيمات؛أي طريقة تعاقب الصوامت, والصوائت,أو عن التماثل في الصفة أو اختلافها,أو التبادل في المواقع, و التحول في المخرج,أو الانصهار والذوبان في الصوت الآخر؛ كل هذا من أجل إحداث التوازن والتوافق في التيار الصوتي والنسيج اللغوي؛"فالمتكلمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها,أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا,و إنما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع,و لذا يقال إنه في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة,و لكي تصف المقطع أنت تخبر كيف تشكله الفونيمات,و لتصف الفونيمات أنت تدرس كيف تنظم نفسها في المقاطع."[292]

- يساهم في تسهيل التحليل الصوتي:

يوضح المقطع بجلاء السمات,و العلائق الرابطة بين الفونيمات التركيبية, والظواهر الصوتية للحدث الكلامي المنطوق بالفعل. لذلك يعتمد عليه بالدرجة الأولى في التحليل الصوتي للغة؛ فبواسطته تشرح كيفية تجمع الفونيمات,و تشكيل الوحدات الكبرى؛ فهي عبارة عن تتابعات من المقاطع,و الأنظمة المقطعية تختلف من لغة إلى أخرى,و تساعد كثيرا في تحليل الأصوات خاصة في الأصوات المتداخلة؛ أي عندما

[292] دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, ص 281.

نقف أمام صوتين متداخلين؛ هل هما فونيمان مستقلان, أم يمثلان فونيما واحدا.و الفيصل في هذا هو موقعهما في المقطع و كيفية ترجمة المقطع لهذه الظواهر أو الأصوات.

كما يفسر التحولات الصوتية في الكلام المتمثلة في النبر,و النغمات,و التنغيم؛ فالكثير من الظواهر العروضية,و الأنظمة الصوتية تقوم على أساس المقطع.

- يحدد بنية الوحدات الدالة, و بيان نوعها:

يؤدي النظام المقطعي دورا بالغ الأهمية في الكشف عن طبيعة تركيب الكلمات (الوحدات الدالة),و النوع الذي تنتمي إليه؛ اسم,أو فعل,أو حرف,و ذلك من خلال تعاقب الفونيمات,و المدى الذي يسمح به المقطع؛ ففي اللغة العربية "كل فعل ماض ثلاثي خال من حروف المد هو من المقطع القصير(ص+ح) مثل كَتَبَ,و كل اسم فاعل من الفعل الثلاثي هو من المقطع المتوسط (ص+ح+ح) مثل كَاتِبٌ."[293]

2- النبر: ظاهرة صوتية تنبئ عن المقطع في التيار الكلامي, فدوره لا يقل أهمية عن دور سابقه و يتمثل في:

- الكشف عن النطق الصوتي الخاص, أو اللكنة في اللغة المعينة:

يكشف النبر عن التنويع الأدائي للكلام بين الأفراد أو البيئات المختلفة؛و يتضح بصورة كبيرة عند مقارنة نطق بعض الجهات ببعضها البعض من ذلك نطق المغاربة يختلف عن نطق المشارقة,و نطق أهل العراق مثلا يختلف عن نطق أهل سوريا. كما تختلف اللكنة الأنجليزية الأمريكية عن اللكنة الأنجليزية البريطانية.

- إظهار الأحوال النفسية للمتكلم و انفعالاته أثناء الكلام:

لتحقيق الغرض القصدي في الكلام,و إيصاله بقوة للمتلقي يعتمد على النبر, فهو كفيل بنقل انفعالات المتكلم,و أحواله النفسية, وتترجم من خلال المنحنى التبايني الذي يظهره أثناء التنويع في درجات الكلام؛ فالمتكلم عندما يكون مادحا,أو ساخرا,أو مندهشا, أو متحسرا, لا يدرك مقصده من هذا إلا عن طريق النبر,و الكيفية التي يؤدى بها القول.

[293]انظر: علم الأصوات, كمال بشر, ص 510- 511.

- إبراز الكلمة المقصودة في الخطاب:

كما يمنح النبر الكلمة أو الجملة نوعا من الأداء النطقي الذي يميزها عن غيرها, ويساعد على تحديد هيئتها التركيبية. "إنه عنصر يكسب بنية الكلمة تكاملها,و يمنحها قواما متميزا خاصا بها, الأمر الذي يجعل من الكلمة وحدة متكاملة متسقة البناء و الطلاء معا"[294].

- يبرز التتابع المقطعي للكلمات ذات الأصل الواحد, أو التركيب الواحد, و التمييز بينها:

يعد النبر ملمحا صوتيا تميزيا عندما يكون مميزا في الكلمات ذات الأصل الواحد فهو الذي يوضح الجنس الصرفي الذي تنتمي إليه الكلمة؛اسم,أو فعل,أو حرف,و يوجد هذا في اللغات التي تنعت باللغات النبرية؛إذ يعتمد المعنى فيها على النبر و تنوع درجاته, كاللغة الأنجليزية,و اللغة الإسبانية,و اللغة الألمانية؛ مثل هذه الحالة في اللغة الإسبانية "حيث لا نستطيع أن نعرف من سلسلة الوحدات الصوتية في /termino/ فيما إذا كان المقصود término النهاية أو /termino/termíno أنا أنهي أو terminó هو أنهى."[295] إلا من خلال النبر إذا كان على المقطع الأول,أو المقطع الثاني.
و كذلك الحال في اللغة الأنجليزية ففي كلمة record إذا وقع النبر على المقطع الأول فهي اسم, أما إذا وقع النبر على المقطع الأخير فهي فعل.[296]

3- <u>التنغيم:</u> هو الحدث الصوتي الذي يلف كل الظواهر الصوتية بما فيها المقطع و النبر, وعليه يعتمد الحدث الكلامي, و يتجلى دوره في:

- الكشف عن الفوارق الاجتماعية و الثقافية في المجتمع:

يتنوع الأداء اللغوي في المجتمع المعين,و يتعدد بتنوع طبقات أفراده الاجتماعية و الثقافية؛و ما يوضح ذلك إلا التنغيم؛ فهو يحدد أنماط الجمل من حيث التركيب والموسيقى,و التنوع في الدرجات التنغيمية و تباينها هو ما يبين الفوارق الاجتماعية بوضوح."و هذه هي الحال في النغمية, حقيقة فيزيائية بعينها, تناغم اللسان, تستخدم

---

[294] علم الأصوات,كمال بشر, ص 513.
[295] éléments de linguistique générale, André Martinet, p 91-92 .
[296] انظر: المصدر السابق, ص525-526.

لغايات ثلاث مختلفة, في بضعة ألسن على الأقل, إن المقاربة الوظيفية تشكل المنهج الملائم الوحيد لفهم الأحداث النغمية,و معالجتها العلمية و عرضها."[297]

- يكسب الجملة معاني دلالية جديدة حسب السياق الواردة فيه:

فالجملة الواحدة قد يتنوع معناها بتنوع صور نطقها,و كيفية التنويع في تنغيمها, ويبين الحالة النفسية للمتكلم من ذلك قولنا: "يا بني" فقد تعني النداء,أو الزجر, أوالمداعبة,أو التشجيع.و غيرها من الضروب اللغوية التي يكون فيها التنغيم عاملا مهما في التمييز بين أنماطها التركيبية,و كيفيات أدائها الفعلي,و مساهم أساسي في تحليلها اللغوي؛ فالتنغيم ظاهرة مهمة و مميزة في عملية الفهم و الإفهام,و تصنيف الجمل إلى أجناسها النحوية و الدلالية المختلفة.

- التمييز بين معاني الكلمات:

يمثل التنغيم ملمحا تميزيا خاصة في اللغات التي يعتمد فيها المعنى على التنغيم, و التنوع في درجاته؛حيث تتجلى قيمته في الكلمات التي تتكون من نفس الفونيمات إذ تفترق عن بعضها في المعنى عن طريق اختلاف درجة التنغيم؛و منه تسمى اللغات النغمية.و من هذه اللغات اللغة الصينية.[298]

[297]وظيفة الألسن و ديناميتها, أندريه مارتينيه, ص 281.
[298]انظر ص 30 ,و ص 90 من هذا البحث.

المبحث الرابع: صدى كمال بشر في الدرس الصوتي الحديث و تجلياته.

لقد قدم كمال بشر آراء علمية,و تجارب موضوعية في الدرس اللساني الحديث عامة و الدرس الصوتي خاصة, تعكس عظمة المجهودات التي قام بها من أجل الرقي بمستوى اللغة العربية,و النضال لاسترداد مكانتها في وقت كانت عرضة فيه للغزو, والاستعمار من الأجانب, و وهن و خمول و تعصب للقديم و رفض للجديد من أهلها؛ إذ يقول في هذا الموقف محمود السعران داعما ما أشرنا إليه:" أما جمهور المشتغلين بالدراسات اللغوية عندنا فأغلبهم يرفض النظر في هذا العلم الجديد,أو لا يحاول تفهمه, أو يعجب أن ما في يده من علم قد يحل محله علم حادث وافد من البلاد الغربية و خيرهم ظنا بهذه الدراسة الجديدة, و بالقلة القائمة بها من أبناء العربية يعد علم اللغة أو بعض فروعه, كعلم الأصوات اللغوية ترفا علميا لم يؤن الأوان بعد للانغماس فيه أو التطلع إليه."[299]

و في ظل هذا الوسط تعتبر جهود كمال بشر من أوائل الجهود اللغوية, والصوتية,و أهمها التي شقت طريق النور للكشف عن جوانب النظرية اللسانية العربية وتأسيسها لا تطبيق المناهج الحديثة تطبيقا صارما على اللغة العربية نظرا لاختلاف الأصول,و الوسائل,و السياق الحضاري؛ حيث خصص أبوابا للدراسة الصوتية ليبحث في التفكير اللغوي عند العرب قديما من خلال كتابه دراسات في علم اللغة, بعدها وسع مجال البحث ليربط التراث بالجديد دارسا التفكير اللغوي عند العرب قديما و حديثا في ضوء علم اللغة الحديث من خلال كتابه التفكير اللغوي بين القديم و الجديد, أما معظم الجهود الصوتية في علم الأصوات اللغوية العربية تجلت في كتابيه علم الأصوات العام وفن الكلام, كما تطرق إلى أبرز القضايا الراهنة التي تمس اللغة العربية اليوم في كتابه العربية بين الوهم وسوء الفهم,و كان هذا تطويرا للدراسات التي سبقته؛" لقد سبقت محاولات قليلة و مشكورة في مطلع نهضتنا الحديثة,و استمرت و لا تزال تخطو على وهن, ترمي إلى وصل دارسي العربية بالدراسات اللغوية الحديثة ....ثم خلف جيل

[299] علم اللغة مقدمة للقاريء العربي, محمود السعران, ص22.

أَحْدَثُ ممن أسلفنا الإشارة إليهم تخصص أكثر في علم اللغة, أوفي فروعه الأخرى.... مثل تمام حسان,و عبد الرحمان أيوب, وكمال بشر."[300]

و لنقف على ثمار تلك الجهود موجزين مفيدين تفاديا للتكرار,و التي حصرت في القضايا الرئيسية التالية:

- <u>الدراسة الصوتية أساس التحليل اللغوي في جميع مستوياته</u>:

تعتمد أية دراسة لغوية في جميع مستوياتها على النتائج التي يقدمها علم الأصوات. و لو عدنا بأدراجنا إلى التراث,و تأملنا القضايا اللغوية التي أعاد المحدثون فيها النظر جراء الغموض الذي يعتريها و الخلط والاضطراب الذي تتسم به لتوصلنا إلى أهم نتيجة مفادها أن اللغويين القدامى لم يعطوا للدراسة الصوتية حقها,و إن وجدت فهي لم تدرس لذاتها؛ ويشير في هذا المقام كمال بشر إلى ثلاثة أسباب مهمة و هي؛

- السبب الأول: الدراسات الصوتية لم تخصص في أعمال مستقلة,و لم تدرس لذاتها بل عدت كعتبة إلى دراسة قضايا أخرى؛فقد عرض لها الخليل في مقدمة كتابه العين عرضا يوحي بأنها لم تكن سوى مقدمة عابرة أراد الدخول بها إلى ترتيب معجمه. وسيبويه رغم دقة ما أتى به وجودته تناول قضاياه الصوتية تحت باب الإدغام, وهو ظاهرة صوتية صرفية,شابها نوع من الغموض والاضطراب,و يعزى هذا إلى الافتراض العقلي والتأويل التعسفي, وما يؤخذ عليه كذلك أنه ألحق دراساته الصوتية بآخر بحوثه اللغوية فبدت كما لو كانت شيئا إضافيا, أو تذييلا لجملة أعماله.
- السبب الثاني: جاء على اللغويين وقت أهملوا فيه النظر في أصوات اللغة نظرا جادا وتركوا هذه الدراسة إلى علماء التجويد والأداء القرآني ظنا منهم أنها دراسة خاصة بهؤلاء القوم وأضرابهم ممن كرسوا جهودهم لقراءة القرآن الكريم و إقرائه.
- السبب الثالث: نظرتهم القاصرة إذ يمكن أن تتم دراسة اللغة على المستويين النظري والتطبيقي دون الالتفات إلى الأصوات.[301]

[300]انظر:علم اللغة مقدمة للقاريء العربي, محمود السعران , ص23. و انظر: الهامش من ص 28.
[301]انظر: دراسات في علم اللغة, كمال بشر, ص 18-19.

و هذا ما يفسر أن علماء العربية القدامى لم يدركوا العلاقة الرابطة بين فروع الدراسات اللغوية, فقد نظروا إليها كما لو كانت منفصلة عن بعضها البعض لا تنتمي إلى إطار عام واحد مشترك؛ فعلم النحو يعتمد على علم الصرف و علم الصرف يعتمد على علم الأصوات. فكان الأولى و الأجدر استغلال حقائق الدرس الصوتي في التحليل العلمي للغة,و حل مشكلاتها؛و هذه ما يقودنا إلى الحديث نتائج و مخلفات هذا الفكر في قضيتين مهمتين هما:

1- عدم استغلال نتائج الدرس الصوتي في التحليل العلمي للغة:

الجهود الصوتية التي قدمها القدامى لا يمكن الاعتماد عليها في التحليل الصرفي أو النحوي؛"لقد اقتصر هؤلاء القوم- كما هو معروف- على دراسة الأصوات(الحروف) المفردة,و بعض الظواهر العامة التي تنتج عن اتصال هذه الأصوات ببعضها البعض في الكلمة المعينة."[302] فهم لم يدرسوا الظواهر الكلامية التي تتصف بها الكلمة أو الجملة والمتمثلة في المقطع,و النبر,,و التنغيم,و الفواصل الكلامية,و لم يدركوا قيمتها في تفسير القضايا النحوية و الصرفية.

2- إهمال عامل الزمن:

لم يتفطن العلماء القدامى الذين خلفوا الخليل ,و سيبويه,و ابن جني إلى عامل الزمن, ولم يضعوه في الحسبان, مما أوقعهم في التقليد,و النقل الأعمى؛ فاللغة ظاهرة اجتماعية تتطور مع مرور الأيام,و الحقائق الصوتية التي وصلتنا لم تنقل بنظرة علمية تتماشى وروح عصرها,و تترصد التغيرات الطارئة؛ فكانت الدراسة الصوتية محدودة ومحصورة في فترة زمنية معينة؛" هناك أصوات في اللغة العربية اضطرب العلماء في وصفها وتحديد خواصها, كصوتي الجيم و القاف,و كظاهرة التنوين و همزة الوصل إلخ,و كلها حالات كانت في حاجة إلى الرجوع إلى فترة تاريخية سابقة."[303] و هذا ما جعلنا اليوم في عجز تام عن إدراك ما أصاب أصوات العربية في عصورها الطويلة, فلا يمكننا الوقوف على محطات التطور الذي لحق بها, أو ظروف هذا التطور.

- <u>الجهود الصوتية لكمال بشر:</u>

---

[302] دراسات في علم اللغة, كمال بشر, ص 24.
[303] المصدر نفسه, ص 52.

من الأوائل الذين خاضوا مضمار الدراسات الصوتية,و قدموا فيها أعمالا ضخمة و مجهودات عظيمة تعكس حرصهم الشديد على اللغة العربية,و الرغبة في مسايرة الجديد الذي استحدث في علم اللغة في العصر الراهن, و هذه المجهودات كانت نتيجة خبرات مستوحاة من التراث,و خبرات مستوحاة من الدراسات اللغوية الحديثة,فكانت بذرة خصبة للخالفين بعده,أو من حاول دراسة هذا العلم-علم الأصوات- فكانت دراسته على مرحلتين أساسيتين في هذا العلم:

1- الدراسة الصوتية العامة(الجانب الفوناتيكي):

درس فيها الأصوات اللغوية العربية دراسة علمية دقيقة, حيث عرفها,و وصفها, وبين خصائصها,و ذكر صفاتها,و عدد مخارجها, معتمدا على الجانب النطقي و الملاحظة الذاتية, فهذا لايعنى إغفال الجوانب الصوتية الأخرى؛فكانت نتيجة هذه الدراسة هي اكتشاف نقاط مهمة تشكل ثغرات في الدراسات الحديثة اليوم يمكن ترميمها,و هي:

أ- وجود أصوات في اللغة العربية لحقها تطور منها صوت العين,و الضاد...الخ.

ب- إزالة الغموض,و التعقيد على المصطلحات التي عرفها القدامى كالجهر,و الهمس, والرخو,و الشديد.

ج- الاعتراف بالمجهود العلمي,و الموروث الصوتي الضخم الذي وصلنا من القدامى.

د- تجديد الصلة بالتراث,و تنمية الفكر الصوتي و الفكر اللغوي الحديث.

ه- الأبجدية العربية ذات نظام صوتي سليم المعالم يتماشى وفق المعايير العالمية.

2- الدراسة الوظيفية للأصوات(الفونولوجيا العربية):

قدم كمال بشر جهودا صوتية جليلة للغة العربية,كما يعد رائدا من أهم رواد الفونولوجيا العربية حيث درس الظواهر الصوتية التي تظهر في الحدث الكلامي المنطوق؛و هي المقطع,و النبر,و التنغيم,و الفواصل الكلامية, متطرقا إلى ماهيتها,و الوظائف التي تؤديها في البناء اللغوي,و بين قيمتها في التحليل العلمي للغة, إذ يجب على دارس اللغة أن يربط هذه الظواهر بالمستوى الصرفي و النحوي و الدلالي,و استغلال نتائجها في عملية الفهم و الإفهام.

- <u>اللغة العربية و نظام كتابتها:</u>

يمثل نظام الكتابة العربية عاملا من العوامل المهمة في فهمها واستيعابها كتابة ونطقا,و هي من أهم القضايا التي شغلت مساحة في فكر كمال بشر" كل ما أردنا بيانه, وقصدنا إليه هو التنبيه إلى هذه النواقص,و لفت أنظار الناس إليها,و دعوتهم إلى تعرفها,و وجوب مراعاتها في كل ما يكتبون,و ذلك يحفزهم على استيعاب طبيعة هذا النظام,و وظائفه,و ضرورة تطبيقه تطبيقا سليما كاملا حتى يسلم لسانهم من الخطأ والتجاوز." [304] ؛ لذلك يجب مراعاته,و مراعاة قواعده,و في حقيقة الأمر نجد الكثير من عوام الناس يقعون في أخطاء فادحة تعزى أسبابها لعدم مراعاة هذه القواعد؛نذكر أهمها: عدم التفريق بين همزة القطع,و همزة الوصل,و إهمالها في الكتابة أحيانا.إهمال حركات الشكل(الفتحة,و الضمة,و الكسرة)و التنوين ,و الشدة؛ فهي تؤدي دورا كبيرا في فهم النص المكتوب,و المنطوق معا, لأنها فونيمات حالها حال الصوامت و إهمالها يوقع في الخطأ,و التصحيف و التحريف, وهي أخطأ في ازدياد مستمر في وقتنا الحالي, أسبابها و دوافعها كثيرة لا يسعنا المقام لذكرها,و ما ينتج عنها يتمثل في؛ إخراج الكلم عن مواضعه,و ارتكاب أخطاء في بنية الكلمة, الوقوع في أخطاء إعرابية... وغيرها,فإن لم نتصد لها مع مرور الوقت فستصيب البناء اللغوي بخدوش و جروح يصعب ترميمها,و تفقد تماسكها,و تمتزج بالعاميات.

خلف كمال بشر موسوعة لغوية جليلة, و صدى فكريا يحتذى به في الدراسات العلمية, كما ساهم في شرح التراث الأصيل بكل دقة موضوعية؛ لذلك فهو يعتبرا مرجعا لغويا هاما في عصرنا و أخص بالذكر الدراسة الصوتية بشقيها, و دليلا موثوقا يحتج به؛" و الحقيقة أن البحث الذي أسسه كمال بشر ظل متواترا عند نخبة من الباحثين اهتمت رأسا بتأصيل النظريات اللسانية و الكشف عن جذورها في الفكر اللساني العربي."[305]

---

[304] اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم, كمال بشر, ص 188.

[305] المدارس اللسانية, نعمان بوقرة, ص 33.

المبحث الخامس: صدى مدرسة براغ في الدرس الصوتي و تجلياته.

كان لمدرسة براغ الصدى الكبير في الأوساط اللسانية العالمية, و لدى عدد كبير من المهتمين بالدرس اللغوي الحديث, حيث تميزت عن غيرها بالرؤية الوظيفية للغة, وأولت أهمية بالغة للدراسة الصوتية, حتى ذاع صيتها في حقل الفونولوجيا تحديدا, فباتت امتدادا لغيرها من المدارس اللسانية الأخرى,و أصبحت ثورة في التفكير اللساني الحديث؛و قد قال في هذا رومان جاكبسون:" إن حلقة براغ اللسانية التي واجهت المؤتمر بمجموعة كبيرة من مشكلات اللسانيات البنيوية كانت قد وحدت صفوف عدد من الشبان التشيك و باحثين ألمان فضلا عن لسانين شباب من روسيا, إن أنشطة حلقة براغ اللسانية ليست عملا لمجموعة منعزلة بل أنشطة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتيارات اللسانية الغربية و الروسية المعاصرة."[306]

و إن المجال ليضيق بنا لسرد أعمالها و فضائلها, لذلك سنركز على أهم جهودها في الفكر الصوتي الوظيفي الذي يتجلى في القضايا التالية :

- <u>البعد الوظيفي في التحليل الصوتي و اللغوي:</u>

إن المبدأ الوظيفي للغة هو المنطلق الأساسي الذي انطلقت منه مدرسة براغ, وأسقطته على الدرس الصوتي؛ كما نظرت في الوظائف التي تؤديها مختلف الأجزاء, أومكوناتها العاملة,و كيف تؤثر طبيعة كل جزء على طبيعة و عمل الأجزاء الأخرى وصولا إلى أصغر وحدة فيها- الفونيم-لأن هذه الوحدات الصغرى ترقى و تتطور على مر المستويات اللغوية؛بمعنى آخر تتحول من الفونيم إلى المونيم ثم الوحدة الدالة حتى الجملة لتصل إلى النسيج أو البناء اللغوي الذي يقدم معلومات جمة للمتلقي,و يحمل في طياته هدفا محددا؛فبهذا المفهوم تقر أن اللغة أداة لها وظيفة؛ يقول جيفري سامبسون: " الصفة المميزة لمدرسة براغ هي أنها نظرت إلى اللغة في جانبها الوظيفي؛ أعني بهذا أن أعضاء مدرسة براغ فقط, فكروا أو نظروا إلى اللغة على أنها تعمل ككل من أجل خدمة الهدف,و هي الحقيقة التي تميزهم عن غيرهم,و لكن لأنهم حللو لغة معينة بصورة

[306]الاتجاهات الأساسية في اللغة , رومان جاكبسون,تر علي صالح الحاكم و حسن ناظم,المركز الثقافي العربي,ط 1 ,2002ص13-14.

تبين الوظائف الخاصة التي تقوم بها,و المكونات البنيوية عند استعمال اللغة الكلية, هذا ما يميز مدرسة براغ بقوة عن المدارس الأخرى المعاصرة, مثل المدرسة الأمريكية, و المدرسة التشومسكسة."[307]لذلك نجدها ركزت على النقاط التالية التي تعد بمثابة أهداف لها:

- دراسة التغيرات الصوتية و أثرها في الاقتصاد اللغوي:

حيث نظرت مدرسة براغ إلى التغيرات الصوتية باعتبارها تفسيرا للصراع المتواجد بين الأصوات اللغوية من أجل إحلال التوازن و الانسجام, و إيثار الخفة في الكلام, فالتغيرات الصوتية هي انعكاس للتطور الذي يصيب اللغة الإنسانية.

- الدراسة اللغوية يجب أن تكون تاريخية في ضوء الوصفية من أجل تتبع التطور الحاصل فيها و رصده:

و مما تقدم ذكره فدراسة اللغة يجب أن تكون تاريخية, فاللغة نظام متماسك متكامل, فالتغير الحاصل فيها يدرس من الجانب التاريخي,و الجانب الوصفي,و هذا مخالف لما أتى به سوسير؛ "فهو قابل علم اللغة الوصفي باعتباره دراسة النظام الذي تشق عناصره المختلفة في قيمتها من علاقاتها المتبادلة مع علم اللغة التاريخي باعتباره وصفا للتتابعات المنعزلة للحوادث غير النظامية."[308]

- الوظيفة الحقيقة للغة هي المتجلية في التعبير و التواصل:

إن الهدف الأساسي من استعمال اللغة هو التعبير و التواصل, و لا يتحقق هذا الهدف إلا إذا اكتملت عناصر العملية الاتصالية الستة؛ وهي المرسل,و المتلقي,والرسالة, والقناة,السياق,و الشفرة؛ وهذه العناصر المنطلق الأساسي في الدراسة التحليلية للحدث التواصلي.

[307]المدارس اللغوية التطور و الصراع, جيفري سامبسون, ترجمة؛د أحمد نعيم الكراعين, ص106-107.
[308]المرجع نفسه, ص 117.

● <u>تطوير نظرية الفونيم إلى نظرية الملامح التميزية:</u>

اهتمت هذه المدرسة بالدور المركزي الذي يؤديه الفونيم و بينت العلاقات التي تربطه في التيار الصوتي,و البناء اللغوي, و عرضت الأنواع المختلفة من التقابلات الصوتية له. ثم أخرجت نظرية جديدة تعد امتدادا لسابقتها و تطويرا لها -فكرة الفونيم- ووجه جديد له هي نظرية الملامح التميزية؛ يقول ديفيد كرستال صاحب كتاب علم اللغة وعلم الصوت:" يمكن النظر إلى الملامح التميزية إما كجزء من تعريف الفونيمات, أوكبديل عن فكرة الفونيم, و أولى هاتين النظرتين توجد في متناول مدرسة براغ."[309] ونظرية الملامح التميزية تمثل المعايير الصوتية المناسبة للقيام بدور تميزي جوهري لغوي,و لقد بنيت على أساس المقابلة الثنائية التي تستند إلى التصنيف السمعي و التوليدي؛ أي أن كل ملمح تميزي يرد في مقابلة ثنائية من شأنها أن تحدث تغيرا على مستوى الدلالة,و هذا الملمح يكتسب مرتبة الفونيم و يستقل كصوت أساسي في اللغة " فأصوات اللغات تعد بالنسبة لجاكبسون تنوعات رئيسية تخضع لموضوع ثابت ودقيق لذا فقد هاجم جاكبسون النسبية في علم الأصوات عند سوسير."[310] و التقابلات الصوتية التي يمكن أن نجدها في لغات العالم المختلفة تعود في أساسها إلى اثنى عشر تقابلا ثنائيا يمكن أن تحدد في مستويات شتى تتعلق بمراحل متتالية من الحدث التواصلي وخاصة على المستوى النطقي و السمعي,و كل ملمح من الملامح التميزية لا وجود له, و لا قيمة له دون وجود نظيره."هذه الثنائية المحدودة في عدد صغير من التقابلات تعكس ميل الاستعمال اللغوي إلى الاقتصاد في الجهد, كما تساعد في الوقت ذاته الدارس في تحليل البنيات اللغوية,و يخلص جاكبسون من ذلك إلى القول بأن هذه الطريقة تسهل مهمة الإدراك باللجو إلى ثنائية السمات التمايزية و ما تقدمه من تبسط."[311]

---

[309] انظر: المقدمة العربية من كتاب أساسيات اللغة, رومان جاكبسون, ص 15.
[310] المدارس اللغوية التطور و الصراع, جيفري سامبسون, ص 125.
[311] انظر: مجلة الأثر؛ الدراسات اللغوية بين الأصالة و المعاصرة, مقال لد: لحسن بلبشير, ص19.

●تطوير نظريات سوسير الصوتية:

صحيح أن مدرسة براغ انطلقت من ثنائيات دي سوسير,و عدت مرجعية لها, إلا أن ما في الأمر أنها طورت بعض الرؤى فيها, و بنت عليها أفكارا خاصة بها؛فهي التي كانت سببا في إخراج نظرية دي سوسير إلى الوجود و لفتت الأنظار إليها؛لأن البنيوية لم يذع صيتها في أوروبا و أمريكا إلا بعد وفاته "و يعود الفضل في الانتباه لهذه النظرية كمنهج لدراسة اللغة في ذاتها إلى جاكبسون,و تروبتسكوي الروسيين ففي عام 1917 ذهب إلى موسكو أحد طلبة دي سوسير و هو كارسفسكي و أطلع اللغويين الروس على نظرية أستاذه البنيوية فأعجبوا بها و بآلياتها في دراسة اللسان موضوع اللسانيات. بمعزل عن الأبعاد التاريخية التطورية الخارجية, و من هنا بدأ اللغويون يهتمون بأفكار دي سوسير, فكثرت الترجمات المتعلقة بكتابه,و بخاصة بعد مؤتمر لاهاي 1920 الذي عرضت فيه أهم أفكاره."[312] فمدرسة براغ تدرس اللغة بحثا عن الوظائف التي تؤديها في المجتمع أثناء تواصل أفراده.

و من ثم نظرت إلى ثنائية التعاقب و التزامنباعتبارها مقياسا لدراسة أحداث لغوية تكون بوقوعها المتزامن حالة من حالات اللغة, أما التعاقبية فهي دراسة تاريخية للغة في تطورها و تغيرها,و ما ينطبق على اللغة ينطبق كذلك على أصواتها"إن اعتماد جاكبسون على ثنائية دي سوسير في التزامن و التعاقب لم يكن عشوائيا فليس هناك زمن ثابت في مفهوم جاكبسون, فيما يكون تزامنيا في هذا الزمان, يصبح تعاقبيا بعد حين. فليس هناك من زمن ثابت في مفهوم جاكبسون,و ليس هناك زمن عالمي موحد, فكل نظام من الأنظمة هو في حركة ذات زمن خاص تختلف سرعته من زمن لأخر."[313]

أما ثنائية الانتقاء و التأليف فهي ظاهرة لغوية يعتمد عليها الإنسان في كلامه, فيستحضر عناصر من رصيده اللغوي ثم يؤلف بين هذه العناصر لتكون وحدات لسانية معقدة.

[312] محاضرات في المدارس اللسانية, شفيقة العلوي, ص16.
[313] مجلة الأثر, الدراسات اللغوية بين الأصالة و المعاصرة, مقال لد: لحسن بلبشير, ص 17.

●استغلال نتائج التحليل الصوتي في قضايا لسانية أخرى:

إن نظرية الملامح التميزية,و فكرة التقطيع المزدوج لا ينحصر مفعولهما عند الأبعاد الصوتية و حسب؛بل تساهم كل منهما في دراسة العديد من الجوانب اللغوية؛مثل القضايا اللسانية التعليمية,و معالجة بعض الأمراض الكلامية؛ وأبرزها يتمثل في ما يلي:

- كيفية اكتساب الأطفال للغة:

تهتم بدراسة الأصوات اللغوية التي ينطقها الطفل,و الأصوات التي يغفلها,و دراسة المقاطع التي ينتجها و أنواعها؛ لأن الطفل يتمرن على إنتاج مقطعين يمثلان إمكانيتين متقابلتين في جهازه الصوتي(ma) و (pa) و بتنويع الطفل الصامتين و الصائت يجرب ما يمكن أن يصدره حهازه النطقي حتى يتطور من مرحلة الأصوات الشفوية إلى مرحلة الكلام اللغوي.[314]

- معالجة بعض أمراض الكلام و عيوبه كالحبسة:

تعتبر الحبسة عبارة عن اضطرابات لغوية تعكس إتلافا حاصلا في اللغة أو في أحد وظائفها, فهي تمثل مشكلة عويصة لا يمكن حلها دون مشاركة لغوي محترف, و على دراية باللغة و وظائفها.

- دور التقطيع في التحليل العلمي للغة:

يعتمد التحليل الوظيفي على إحصاء الوحدات الدالة,ثم يدرسها دراسة تقابلية بحثا عن أوجه الاتفاق,و أوجه الاختلاف للكشف عن الوظائف التي تؤديها الوحدات اللغوية الفارقة,و لا يتأتى هذا إلا بواسطة التقطيع الذي يجسد الوظائف التي تقوم بها اللغة الإنسانية و هو التعبير عن عدد غير محدود من المعاني و الأفكار.بمعنى آخر أن اللغة وظيفتها التبليغ و التخاطب,و التقطيع و ظيفته الكشف عن خواص هذه اللغة,و تحليلها إلى مستويات متنوعة؛المستوى الصوتي,و الصرفي,و التركيبي,و الدلالي. .

[314]انظر: أساسيات اللغة, رومان جاكبسون و موريس هالة, ص 18-19.

الخـاتـمـة

نعرض في خاتمة هذا البحث أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة المقارنة بين فكر كمال بشر و مدرسة براغ؛ و هي:

انطلق كمال بشر من التراث اللغوي العربي الذي يمثل مرجعيته الأولى, وفكر أستاذيه دانيال جونز,و فيرث المرجعية الثانية؛و عدت دراساته همزة وصل بين التراث العريق,و ما وصل إليه العلم الحديث, حيثأثبت أن العرب درسوا أصوات لغتهم دراسة علمية صحيحة, تعكس منهجهم السليم,و طريقة تفكيرهم؛إذ اعتمدوا على الجانب الفيسولوجي (النطقي),والملاحظة الذاتية, كانت أساس الحقائق الصوتية التي توصلوا إليها,و أشاروا إشارات جانبية للجانب السمعي,و الفيزيائي منها, كما أقر أن تصور الفونيم كان موجودا عندهم,و لكنه بصورة غير واضحة المعالم,و أنهم أهملوا دراسة المقطع إهمالا تاما,ولم يشروا إلى وظيفة النبر ومواضعه في اللغة العربية.

بينما مدرسة براغ لم تكن امتدادا للقديم من حيث المنهج,والفكرة,والمبدأ, بل انطلقت من الفكر اللساني لفيردنان دي سوسير فهو المرجعية الأولى و الأساسية لها,حيث قامت بتطوير فكرة ثنائياته في اللغة و تجويدها,و أقامت على غرارها نظام التقابلات الصوتية التي تأسست عليها نظرية الملامح التميزية,كما طوروا أرائه في الفونيم, واستثمروها في الدراسة الصوتية,و البعد الوظيفي لها, وربطها بمستويات التحليل اللغوي الأخرى و معالجة قضاياه.

أسست الدراسة الصوتية عند كمال بشر على دراسة الأصوات اللغوية دراسة مجردة؛ أي معزولة عن السياق,و إخضاعها للوصف و التحليل, ثم الانتقال بها إلى دراستها داخل التركيب اللغوي,و أثناء النطق الفعلي لها؛ معتمدا على المنهج الوصفي والمنهج المقارن؛أي اعتمدعلى الجانب الفيسولوجي النطقي و الملاحظة الذاتية,ومقارنتها بالنتائج التي توصل إليها القدامى,و ما تقره الوسائل الحديثة؛وعليهصنف الأصوات اللغوية وفق معايير عالمية متفق عليها,و معايير تراثية, و عدّ المخارج أحد عشر مخرجا.
أما مدرسة براغ فاعتمدت في الدراسة الصوتية على المنهج الوصفي و المنهج الوظيفي. و اعتمدت الجانب الفيسيولوجي و السمعي و الفيزيائي والجانب التجريبي الآلي في

النتائج التي قدمتها,إضافة إلى المنهج المقارن فهي رصدت الظاهرة الصوتية من خلال دراسة أصوات للغات متنوعة؛ لإيضاح الفوارق الصوتية والأدائية,و بناء نظرية فونولوجية يمكن تطبيقها على لغات كثيرة.

و مما تقدم جاء مفهوم الفونيم عند مدرسة براغ؛هو أصغر وحدة لسانية صوتية تختصر مجموعة من الملامح الصوتية التميزية, مهمته التمييز بين معاني الكلمات.أما عند كمال بشر؛ فهو وحدة صوتية تمثل نمطا مستقلا؛ تضم تحتها مجموعة من الصفات النطقية و السمعية, لها القدرة على تمييز معاني الكلمات, ومنحها قيما لغوية.و منه نستنتج أن كمال بشر يتفق و مدرسة براغ في الوظائف اللغوية التي يؤديها الفونيم,و يختلفان في مفهوم الفونيم.

كما يتفقان في الفونيمات فوق التركيبية: فهي الظواهر الصوتية التي تلف الكلام المنطوق,و تؤدي وظائف مهمة في تحقيق الفعل القصدي,و لا تخضع للتقطيع؛ وتتمثل في المقطع, والنبر، و التنغيم، والفواصل الكلامية.

لقد خلف كمال بشر و مدرسة براغ صدى فكريا يعكس عظمة المجهودات التي قدماها في الدرس الصوتي الحديث.

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

1- الاتجاهات الأساسية في اللغة, رومان جاكبسون, ترجمة علي حاكم صالح و حسن ناظم, المركز الثقافي العربي, الطبعة الأولى, الدار البيضاء, المغرب, سنة 2002

2- أساسيات في اللغة, رومان جاكبسون و موريس هالة, ترجمة سعيد الغانمي,الناشر؛كلمة و المركز الثقافي العربي, ط الأولى, سنة 2008م.

3- الأصوات اللغوية, إبراهيم أنيس, الناشر مكتبة الأنجلو المصرية, الطبعة الرابعة, سنة 1999م.

4- الأصوات اللغوية, عبد القادر عبد الجليل, دار الصفاء للنشر و التوزيع, عمان, الأردن, الطبعة الأولى, سنة 2010م.

5- الأصوات و وظائفها, محمد منصف القماطي, منشورات جامعة الفاتح, سنة 1986م.

6- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين, أحمد محمد قدور, دار الفكر, دمشق, ط الثانية, سنة 2003م.

7- البحث اللغوي عند العرب, أحمد مختار عمر, عالم الكتب, القاهرة, الطبعة السادسة, سنة 1988.

8- البيان و التبيين, أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ, تحقيق عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي, القاهرة, الطبعة السابعة, سنة 1998م.

9- التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية, سلمان حسن العاني, ترجمة الدكتور ياسر الملاح, النادي الأدبي الثقافي, جدة, المملكة العربية السعودية, الطبعة الأولى, سنة 1983م.

10- التطور اللغوي قوانينه و مظاهره و علله, رمضان عبد التواب, الناشر مكتبة الخانجي, القاهرة, الطبعة الثالثة,سنة 1997م.

11- التفكير اللغوي بين القديم والجديد, كمال بشر, دار غريب, القاهرة, سنة 2005م.

12- التفكير اللساني عند العرب في الحضارة العربية, الدكتور عبد السلام المسدي, الدار العربية للكتاب, الطبعة الثانية, سنة 1986م.

13- التمهيد في علم التجويد, أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري, تحقيق الدكتور علي حسين البواب, مكتبة المعارف, الرياض, الطبعة الأولى, 1985م.

14- التنوعات اللغوية, عبد القادر عبد الجليل, دار الصفاء للنشر و التوزيع, عمان, الأردن, الطبعة الأولى, سنة 2009م.

15- الخصائص, أبو فتح عثمان بن جني, تحقيق, محمد علي النجار, دار الكتب المصرية,الطبعة الثانية, سنة 1952م.

16- دراسات في علم اللغة, كمال بشر, دار المعارف, القاهرة, مصر, الطبعة التاسعة, سنة 1986م.

17- دراسة الصوت اللغوي, أحمد مختار عمر, عالم الكتب, القاهرة, سنة ط 1997م

18- رسالة أسباب حدوث الحروف, أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا, تحقيق محمد حسان الطيان و يحي مير علم, مطبوعات مجمع اللغة العربية, دمشق, الطبعة الأولى, سنة 1983م.

19- رسائل إخوان الصفا و خلان الوفا, المجلد الأول, مكتبة الإعلام الإسلامي,قم, سنة 1405هـ.

20- الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة, أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي, تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات, دار عمار, عمان, الأردن, الطبعة الثالثة, سنة 1996م.

21- سر صناعة الإعراب, أبو فتح عثمان بن جني, تحقيق حسن هنداوي, دار القلم, دمشق, الطبعة الثانية, سنة 1993م, الجزء الأول.

22- الصوتيات و الفونولوجيا, مصطفى حركات, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت, الطبعة الأولى, سنة 1998م.

23- العربية بين الوهم و سوء الفهم, كمال بشر, دار غريب, القاهرة,

24- علم التعمية و استخراج المعمى عند العرب, أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي, تحقيق محمد مراياتي, محمد حسان الطيان, يحي مير علم, مطبوعات مجمع اللغة العربية, دمشق, سنة 1987م.

25- علم الأصوات, كمال بشر,, دار غريب, القاهرة, سنة 2000م.

26- علم اللغة العام, فريدنان دي سوسير, ترجمة؛ د. يوئيل يوسف عزيز, دار أفاق عربية, بغداد, الطبعة الثالثة.

27- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, محمد السعران, دار النهضة العربية, بيروت.

28- فن الكلام, كمال بشر, دار غريب, القاهرة, سنة 2003م.

29- الكتاب, أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه, تحقيق عبد السلام محمد هارون, دار الجيل, بيروت.

30- كتاب السبعة في القراءات, لابن مجاهد, تحقيق؛شوقي ضيف, دار المعارف, بمصر,

31- اللغة العربية معناها ومبناها, تمام حسان, دار الثقافة, الدار البيضاء, المغرب, طبعة سنة 1994م.

32- اللغة بين المعيارية و الوصفية, تمام حسان, عالم الكتب, القاهرة, الطبعة الرابعة, سنة 2001م.

33- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة, شفيقة العلوي, أبحاث للترجمة و النشر و التوزيع, بيروت-لبنان, الطبعة الأولى, سنة 2004.

34- مختارات صوتية, الدكتور زين كامل خويسكي و الدكتورة نجلاء محمد عمران, دار المعرفة الجامعية, سنة 2007م.

35- المدارس اللسانية المعاصرة, نعمان بوقرة, الناشر مكتبة الآداب, القاهرة.

36- المدارس اللغوية التطور و الصراع, جيفري سامبسون, ترجمة أحمد نعيم الكراعين, المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع, بيروت-لبنان, الطبعة الأولى, سنة 1993.

37- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي, رمضان عبد التواب, الناشر مكتبة الخانجي, القاهرة, الطبعة الثالثة,سنة 1997م.

38- مدخل إلى الصوتيات, محمد إسحاق العناني، دار وائل للنشر, عمان, الأردن, الطبعة الأولى, سنة 2008م.

39- مفتاح العلوم, أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي, طبع بالمطبعة الميمنية, مصر.

40- مقدمة لدراسة التراث المعجمي, حلمي خليل, دار النهضة العربية للطباعة و النشر, بيروت.
41- مناهج البحث, تمام حسان, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, سنة 1990م.
42- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي, عبد الصبور شاهين, مؤسسة الرسالة, بيروت, سنة 1980.
43- الموسيقى الكبير, الفاربي- أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان-, تحقيق و شرح غطاس عبد الملك خشبة, دار الكتاب العربي للطباعة و النشر, القاهرة.
44- وظيفية الألسن و ديناميتها, أندريه مارتيني, ترجمة نادر سراج, دار المنتخب العربي,بيروت-لبنان, ط الأولى, سنة1996.

المعاجم و القواميس:

1-العين, عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ تحقيق د مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي, دار و مكتبة الهلال, الجزء الأول.
2-القاموس المحيط , مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي, تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, مؤسسة الرسالة, بيروت, لبنان, الطبعة الثامنة, سنة 2005م.
3-لسان العرب, لابن منظور, دار المعارف, القاهرة.
4-المنجد في اللغة و الأعلام,دار المشرق, بيروت,لبنان ,الطبعة الخامسة و العشرون.

المجلات العلمية و الدوريات:

1- مقال؛الدراسات اللغوية بين الأصالة و المعاصرة, مقال لدكتور لحسن بلبشير, مجلة الأثر, كلية الآداب و العلوم الإنسانية, جامعة قاصدي مرباح, ورقلة- الجزائر, العدد الثامن, شهر ماي سنة 2009.

المصادر و المراجع الأجنبية:

1-Élements de linguistique générale, André Martinet, Armand Colin, Quatrième édition, Paris, 2003.

2- Dictionnaire de linguistique ,Jean Dubois . Mathée

Giacomo. Louis Guespin. Christian Marcellesi. JeanBaptiste Marcellesi. Jean-Pierre Mével; Larousse, Paris, 2002.

3- 100 Fiches pour comprendre la linguistique, Gilles Siouffi et Dan van Raemdonck, Bréal, Paris.

الفهرس

الملخص:

يعتبر التطور الهائل في علم اللغة بصفة عامة,و الاهتمام بالدرس الصوتي بصفة خاصة من أهم الانشغالات الحديثة اليوم,و ما هذه الدراسة التي قمنا بها إلا جزء من ذلك؛ المتجلية في مقارنة الفكر الصوتي الوظيفي عند كمال بشر و مدرسة براغ, حيث تناولنا فيها تحليل الأسس الفكرية الصوتية الوظيفية عندهما؛و تتمثل في المرجعية, والمنهج,و طرائق البحث التي ساهمت في الوصول إلى حقائقهم الصوتية,و بينا طبيعة الأصوات اللغوية عندهما و الوظائف التي تؤديها في البناء اللغوي, و الظواهر الصوتية التي تظهر في الكلام المنطوق.

و وقفنا على أبرز الجهود الصوتية التي قدماها في الدرس الصوتي الحديث.

Résumé:

L'énorme développement de la linguistique en général et des études phonologiques, en particulier, se considère parmi l'une des préoccupations les plus importantes de l'époque moderne. La présente étude fait ainsi une partie de celui-ci ; elle vise essentiellement à comparer les fondements phonologiques fonctionnels qui se manifestent chez Kamal Bichre et ceux de l'École de Prague. Notre sujet essaie d'analyser les bases intellectuelles de la phonologie fonctionnelle qui se représentent dans la référence et la méthode et les techniques de recherches qui ont contribué à créer leur vues phonologiques .On a montré aussi la nature des phonèmes articulatoires. L'étude n'a pas oublié de citer les efforts aux champs de la phonologie pris par ces deux.